دراسات ومقالات

عن معالي الشيخ

محمد بن ناصر العبودي

جمع وإعداد

محمد عبدالله بن إبراهيم المشوح

الناشر

دار الثلوثية للنشر والتوزيع

١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م

ح دار الثلوثية للنشر ، ١٤٣٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المشوح ، محمد عبدالله

شهادات ودراسات عن معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي / محمد عبدالله المشوح – الرياض ، ١٤٣٣هـ

ص ، ١٧×٢٤سم .

ردمك : ٢-٠-٩٠٤٠٠ - ٦٠٣-٩٧٨

١- العبودي ، محمد بن ناصر ٢- الرحالة السعوديون ، أ- العنوان

ديوي : ٩ ' ٩٢٣ ١٤٣٣/٩٤٥٢

رقم الإيداع : ١٤٣٣/٩٤٥٢

ردمك : ٢-٠- ٩٠٤٠٠ - ٦٠٣-٩٧٨

دار الثلوثية للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية – الرياض

تليفون : ٤٥٠٧٨٣٢

فاكس : ٤٦٤٥٩٩٩

email :tholothia@gmail.com

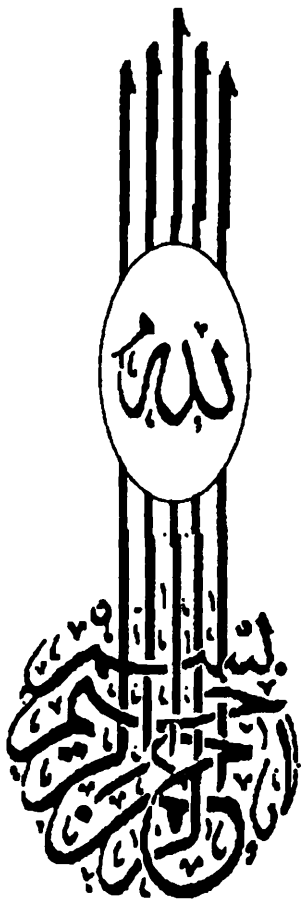

مدخل

ليس سهلاً أن نتحدث عن مسيرة طويلة قطعها العلامة الشيخ محمد بن ناصر العبودي خلال مسيرة حياته مع الكتابة والتأليف والتدوين تجاوزت في عمرها خمسة وسبعين عاماً وفي عددها ما يقارب أربعمائة كتاب المطبوع منها مائتا كتاب .

لكنها لحظة تأمل وتوقف مع هذا الإنجاز العظيم المتنوع الذي يحمل أفقاً ودراية علمية مبكرة .

في حدود سنة ١٣٥٥ هـ كان شيخنا طفلاً يناهز العاشرة من عمره ويقرأ ويتعلم مبادئ الكتابة والقراءة على أستاذه المعلم الشهير الشيخ محمد بن صالح الوهيبي رحمه الله .

يقول كان لديه نسخة وحيدة في بريدة من كتاب " جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب" لأحمد الهاشمي فطلبت منه أن يمنحني تلك النسخة إعارة يوم الجمعة فقط لأن الطلاب كانوا يقرؤون عنده كل يوم عدا يوم الجمعة فأعطاني الكتاب فأعجبت في طريقة تقسيمه وتبويبه فكتبت كتاباً على منواله وطريقته .

وأسميته " أنيس الجليس فيما تزول بذكره الهواجيس "

و ضمنت الكتاب حكماً وأمثالاً وألغازاً وغير ذلك.

وقد كان ذلك فكرة لأول كتاب طبعه وهو كتاب "الأمثال العامية

في نجد" المطبوع سنة ١٣٧٩هـ

ليكون بذلك أول سعودي ألّف في الأمثال العامية في بلادنا متصدراً بذلك ريادة من رياداته العلمية المبكرة العديدة.

أجزم أنه ليس سهلاً في الستينات الهجرية وفي مجتمع نجدي والتعليم النظامي آنذاك لم يطلق شرارته بعد أن يكتب شاب عن موضوع جديد غير مألوف في ذلك المجتمع إلا أن تلك الرغبات المبكرة لدى الشاب محمد عبرت بوضوح عن انطلاق قلمه في التأليف وتفتق مواهبه الغزيرة التي انكشفت بكتاب مغاير لواقعه وحياته العلمية الشرعية البحتة.

كانت كوامن العلامة العبودي الشاب آنذاك تتدفق حماساً وتلتفت في شتى الاتجاهات بحثاً عن الابتكار والتجديد .

كان إذ ذاك طالباً وأميناً لمكتبة ومديراً لمدرسة ثم معهد ثم تتزاحم حوله المسؤوليات طوال سبعين عاماً أمضاها في الوظيفة مؤكدة علو الهمَّة والبحث عن المعالي متذرعاً ومتأبطاً علومه الغزيرة التي التقطها منذ صغره شاهدة بنبوغ فريد لعالم موسوعي كبير

لقد اطلعت من خلال ملازمتي لشيخنا العلامة محمد العبودي على تفاصيل أفكاره ومدونات مشاريعه العلمية التي لم تتوقف بل تلاحقه طوال سنى عمره المديد بإذن الله والتي تحمل في كل منها إبداعاً ثقافياً وعلمياً متوقداً

لم يـرض لنفـسه أن تكـون كتبـه أفكـاراً مكـررة وأقاويـل معـادة وعناوين مبتذلة .

ولكنه بحث بكل جدية عن الإبداع والتجديد فكانت مساراته العلمية والكتابية شاهدة بذلك .

فكتبه في الرحلات وطريقتها ليست مكرورة أبداً بل يصدر الحديث بمعلومات دقيقة عن الدولة والبلد الذي سوف يحط رحاله فيه .

يتتبع أخباره السياسية وقبلها التاريخية ويعرج على أوضاعه الاقتصادية والاجتماعية .

يلاحق كل ذلك بحسه الدقيق وملاحظته التي ترقب كل منظر أو مخبر أو مشهد .

فتحظى بالتعليق عليه يربط فيه القديم بالحديث ويمزج الأدب بالدعوة ويراوح فيها بين الجد وما أسماه الفضول حلًا ذلك كله بتصويره " كاميرته" التي يحملها على عاتقه منذ أكثر من أربعين عاماً .

يعاين المشاهد ويلتقط الصور لكل حدث يمر خصوصاً ذلك المتعلق بأمور المسلمين وأخبارهم وأحوالهم وبالأخص المساجد والمراكز والجمعيات

أما معاجمه البلدانية التي صدرها بكتابه العظيم " المعجم الجغرافي لبلاد القصيم "

فهو يقدم العالم البحثي والموسوعي بكل تفاصيله وما حواه ذلكم

المعجم من معلومات تاريخية وأدبية جغرافية غزيرة .

وضع المؤلف حفظه الله منذ أكثر من خمسة وثلاثين عاماً في مصاف كبار العلماء الموسوعيين .

أما معاجم الأسر فهو فتح جديد وطريقة فريدة دلف فيها عن طريق الأوراق والوثائق وهي المهارة التي لم يبرزها سواه بما حباه الله من دقة عجيبة وذاكرة فريدة وتحليل شرعي واجتماعي ومالي لكل وثيقة مما جعلنا أمام ثروة علمية جديدة لم تكتشف .

وهو يظهر في تلك المعاجم مهاراته العالية وقدراته العلمية في معرفة الأشخاص والأعلام والأعيان من الرجال والنساء والتواريخ والأحداث .

بل إن القارئ يعجب مما وهبه الله إياه من قدرات في التمييز بين الأسر المتشابهة والشخصيات المتقاربة فيحسن فرزها ويتقن التعريف بها في ظاهرة تستحق الدراسة المتأملة .

أما معاجمه اللغوية فهي شاهدة حيَّة على موسوعيته وأصدر كتباً تحمل الريادة في ذلك .

ومنها معجمه الضخم " الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة " وكذلك الأصول الفصيحة للأمثال الدارجة .

وهو التقاط لغوي معرفي دقيق يستحق أن يستخلص منه دراسات علمية ورسائل جامعية.

تتناول هذا الجمع الفريد بتلك الدراسة اللغوية التي قدمها بكل إتقان .

لن أستطيع في هذه العجالة أن آتى على جميع ما كتبه شيخنا في الرواية والأدب وعلوم الشريعة وعلم الفلك ومعاجم الطبيعة والنبات والنخلة .

وكلها تحمل ذات القيمة وتستنشق ذلكم النفس الاستقصائي الدقيق .

لكن القارئ لكتبه في شتى علومها ومعارفها يدرك بجلاء اللمسات اللغوية والحس والذائقة الأدبية والمعلومة الشرعية والذاكرة التاريخية التي لا تخطئ والمواهب والقدرات والإمكانات التي وهبها الله لهذا العلامة الموسوعي الكبير .

حتى عد بلا جدل أبرز المؤلفين العرب غزارة عدداً وموضوعاً .

لقد قصدت دار الثلوثية بهذا الإصدار أن يكون متزامناً مع بلوغ المطبوع من مؤلفات شيخنا مائتي كتاب بعضها عدة أجزاء ومجلدات عديدة يصل مجموع صفحات هذه الكتب إلى عشرات الألوف من الصفحات .

وهي تؤكد بلا شك ريادته الأولى على الأقل سعودياً في عدد المؤلفات وتنوعها .

كما أن ما حواه هذا الإصدار من شهادات ودراسات أجمعت واتفقت على عمق تلك المؤلفات وغزارة المؤلف وموسوعيته .

وهي من علماء وباحثين ومؤلفين يدركون أهمية التأليف وكلفته وعناءه وهو إصدار يحمل معه عرفاناً وتقديراً لهذا العالم الموسوعي الذي نذر وقته

وجهده وحياته للعلم فحسب .

كما ألحقت بهذه الكلمة أول مقالة نشرها في حياته الذي نشر في مجلة المنهل سنة ١٣٧١هـ

ومن المصادفات الجميلة أن تلك المقالة تتحدث عن هموم الكتابة والتأليف وهو لم يدرك بعد أنه سوف يصبح أكثر المؤلفين السعوديين غزارة في التأليف وسوف يطلع القراء على تلكم المقالة العتيقة التي مضى عليها حتى اليوم أربع وستون عاماً والتي تحمل معها ذكريات وأبعاداً رائعة .

وفي الختام فإن عمل شيخنا في تلك المؤلفات عمل يستحق الدعم والتشجيع والمؤازرة وهو ما دأبنا في دار الثلوثية على تحمله والنهوض والقيام به اعترافاً وتقديراً لهذا العالم الموسوعي الكبير .

وسنكون في دار الثلوثية سعداء في نشر أي دراسات وبحوث تتناول جهوده العلمية وإسهاماته العلمية وإبداعاته الفكرية والثقافية .

سائلين الله أن يبارك في عمر شيخنا وأن يمده بعون منه وتوفيق ليكمل بقية معاجمه ومشاريعه الرائدة التي قضى حياته وعمره من أجل نشرها وشيوعها ووصولها للقراء والمهتمين والباحثين .

وكتبه/ محمد بن عبدالله المشوح

الكتابة[1]

كنا جماعة من هواة الأدب و(الكتابة) جلسنا مجلساً أدبياً ونحن مخلصون للأدب. صادقون في رغبتنا فيه، حتى وصل الحديث إلى طريقة الكتابة والشروط التي ينبغي أن تتوافر للشخص عندما يريد الكتابة.

وجعل كل واحد منا يعرض ما يراه تلك الشروط ويفنِّد ما لا يراه.

وكان ذلك كثيراً جداً وكان البحث في متشعباً جداً إلا أننا كدنا أن نلتقي عند نقطة واحدة بعد أن سلك كل منا طريقاً غير التي سلكها صاحبة تلك النقطة هي أنه لابد للكاتب إذا ما أراد أن يكتب أن تكون في رأسه فكرة عما سوف يكتب فيه، وليس ذلك فحسب بل لابد أن يكون مستحضراً للنواحي أو بعض النواحي التي سوف يعالج الموضوع الذي يريد الكتابة فيه منها.

إذاً لابد قبل الكتابة من أن يكون الكاتب قد رسم صورة عامة في ذهنه عما يريد الكتابة فيه.

هذا ما كدنا أن نتفق عليه، أو على الأصح ما اتفقنا عليه جميعنا، ولم يشذ عنا إلا واحداً فقط، لأنه في نظرنا لابد للكاتب لكن تجيء كتابته في موضوع ما كاملة من جميع النواحي، مستوفية للشروط، لابد له من أن

---

(1) كتبت في يوم الأربعاء ١٣٧٠/١/٢٧هـ الموافق ٨ نوفمبر ١٩٥٠م نشرت في مجلة المنهل لشهر رجب ١٣٧١هـ

يؤمن في نفسه بالفكرة التي يريد أن يكتب فيها قبل البدء في الكتابة لتبدأ الحرارة والوضوح معه في مبدأ كتابته.

أما ذلك الواحد الذي خرج على إجماعنا فهو يرى غير رأينا، وهو يخالفنا في تلك المسألة على طول الخط ـ كما يقولون ـ لأنه يرى أن الكاتب القدير وهذا نعت لابد للكاتب الذي يقول: إنه يستطيع أن يكتب وأن يجيد الكتابة في موضوع ما، وبدون أن يرسم فكرة واضحة محددة في ذهنه لذلك الموضوع قبل البدء في الكتابة.

هذا نعت ـ كما يقول صاحبنا ـ لابد لذلك الكاتب منه. قال: وحجتي على ما ذهب إليه الكاتب القدير، الكاتب الذي يكتب بدافع من نفسه، أو بعبارة أخرى بدافع من قلمه ـ إن صح التعبير ـ وأنا أقصد بقلمه لا اللدائن والحديد بطبيعة الحال ولكن المعاني والخواطر التي يختلج بها فكره.

الكاتب الذي ذكرت لابد في صفته من أن يكون كاتباً مطلقاً أي ليس كاتباً مقيداً كالكاتب الاجتماعي والكاتب الصحفي والكاتب السياسي أو غير أولئك ذلك الكاتب يستطيع أن يكتب في موضع ما وإن يجيد الكتابة بدون ضرورة أن يكون في نفسه فكره واضحه محددة عن الموضوع الذي يريد الكتابة فيه قبل البدء في الكتابة.

ودليلي على ذلك أن الحياة بالنسبة للكاتب هي مجموعة موضوعات وبحوث ومواد يتصل بعضها ببعض لا يوجد منها موضوع واحد ليس له علاقة

بموضوع غيره ولكن تلك العلاقة قد تكون خفية لا يهتدي إلى كشفها إلا ذلك الكاتب القدير الذي ذكرته.

ذلك الكاتب يستطيع أن يكتب أول كلمة في الموضوع قبل أن يكتب عنوانه وقبل أن يكون عنه فكرة محددة بل قبل أن يكون له في نفسه وجود بعينه في تلك اللحظة.

وأقول: بعينه في تلك اللحظة لأن الكاتب وفكره ما هو إلا مرآه تعكس ما حولها فتتطبع فيها.

وقد يكون في نفس الكاتب بعض الموضوعات التي لا تبرز إلى ذهنه إلا بعد إمعان نظر وطول تفكير ولأن الموضوعات الحيوية ـ كما قلت ـ بمثابة حلقات متصلة تربط بعضها ببعض وشائج متينة أو ضعيفة لا يكتشفها إلا من اوتي حظاً من النظر الثاقب والعقل الباحث المُنقّب.

فإن بعض الأشياء التي قد يبتدأ الكاتب بكتابتها وهي لا تصلح موضوعاً للكاتب ربما أثارت موضوعاً صالحاً للكتابة، وربما أهاجت من أعماق الذاكرة مشاعر كانت كامنة.

فالكاتب القدير يستطيع أن يبدأ الكتابة بدون أن يكون له اقل فكرة عن الموضوع الذي يكتب فيه بعد ذلك ولكنه يبدأ الكتابة بما يعنُّ له، أو ما يصادفه، أو عن شيء آخر معتاد في البيت ـ مثلاً ـ ثم يسترسل في الكتابة فيؤاتيه الإلهام وتهطل عليه شآبيب المعاني حتى يضيق بها المقام

وحتى يترك الكتابة قبل أن تتركه دواعيها.

ذلك بأن الحياة كما قلت متشابكة وإن كانت متشعبة وقريب بعضها من بعض وإن كان في بادئ الأمر بعيداً.

يستطيع ذلك الكاتب مثلاً أن يرى لعبة ولده ولتكن السيارة الصغيرة عندما يخط أول كلمة فيكتب اسم لعبة ولده، أو لفظها، أو وصفها، ثم يتدرج من ذلك إلى ما لا نهاية له من المعاني والمواد والميادين بدون أن يخرج عن موضوع الحديث عن لعبة ولده.

يستطيع ـ مثلاً ـ أن يتحدث عن نفسية الطفل، وأثر اللعب فيها، ويستطيع أن يكتب عن الفرق بين شعور الكبار وشعور الصغار في اللعب، وعن نمو مشاعر الطفل، وعن اختراع السيارات وأن يقارن بين لعب الأطفال في الماضي والحاضر.

كل ذلك على سبيل المثال والإشارة وإلا فالمواد والميادين أمامه كثيرة واسعة ثم ليجعل العنوان بعد ذلك (لعب الأطفال).

هذا مثال واحد ولن يعوز كاتب أن يجد الألوف المؤلفة مثله أما عجز عن أن يجد موضوعاً يكتبه أو موضوعاً يثير موضوعاً يكتب فيه أو عبارة تثير موضوعاً، وذلك قريب من المستحيل، فإنه لن يعجز عن أن يكتب في موضوع الكتابة ذاتها وفي عجزه عن الكتابة وفي مقدرته عليها وفي الأحوال التي تؤاتيه المعاني فيها والظروف التي تساعده على الكتابة وذلك موضوع

طويل يستطيع الكاتب أن يصول ويجول، ويستخرج منه لا مقالاً ولا مقالين فحسب وإنما عدة مقالات.

ولكن لا تنسوا نعتي لذلك الكاتب بأنه الكاتب القدير.

نعم إن حجة صاحبنا قوية وإن ما ذهب إليه صحيح ولكن بقي أن نسأل صاحبنا سؤالاً واحداً هو كم يظن بين الكتَّاب الذين تعارف الناس على أن يسموهم كتَّاباً مثل ذلك الكاتب الذي ينعته بالكاتب القدير.

لقد سألناه عن ذلك فأجاب بأنه يظن أنه موجود فيهم ولكن بنسبة قليلة ولم نشأ أن نناقشه في مقدار تلك النسبة حتى حددها بقوله:

قد يجوز أنها الربع ولكننا سألناه بقولنا:

والأرباع الثلاثة الباقية من الكتاب كيف حالهم؟

فأجاب قائلاً: إنهم كتَّاباً قديرين فهم لم يدخلوا تحت حكمي.

محمد بن ناصر العبودي

سوانح أدبيّة

بقلم
محمّد بن ناصر العُبُودي

الطبعة الأولى
١٤٠٩هـ
١٩٨٩م

«الكتابة»[1]

كنا جماعة من هواة الأدب و(الكتابة) جلسنا مجلسًا أدبيًا ونحن مخلصون للأدب. صادقون في رغبتنا فيه، حتى وصل الحديث إلى طريقة الكتابة، والشروط التي ينبغي أن تتوافر للشخص عندما يريد الكتابة.

وجعل كل واحد منا يعرض ما يراه من تلك الشروط، ويفَنِّد ما لايراه.

وكان ذلك كثيرًا جدًا. وكان البحث فيه متشعبًا جدًا، إلا أننا كدنا أن نلتقي عند نقطة واحدة بعد أن سلك كل منا طريقًا غير التي سلكها صاحبه تلك النقطة هي أنه لابد للكاتب إذا ما أراد أن يكتب أن تكون في رأسه فكرة عما سوف يكتب فيه، وليس ذلك فحسب بل لابد أن يكون مستحضرًا للنواحي أو بعض النواحي التي سوف يعالج الموضوع الذي يريد الكتابة فيه منها.

---

(١) كتبت في يوم الأربعاء ١/٢٧/ موافق ٨ نوفمبر ١٩٥٠م ونشرت في مجلة المنهل لشهر رجب ١٣٧١هـ.

إذًا لابد قبل الكتابة من أن يكون الكاتب قد رسم صورة عامة في ذهنه عما يريد الكتابة فيه.

هذا ما كدنا أن نتفق عليه، أو على الأصح ما اتفقنا عليه جميعنا، ولم يشذ عنا إلا واحد فقط، لأنه في نظرنا لابد للكاتب لكي تجيء كتابته في موضوع ما كاملة من جميع النواحي، مستوفية للشروط، لابد له من أن يؤمن في نفسه بالفكرة التي يريد أن يكتب فيها قبل البدء في الكتابة لتبدأ الحرارة والوضوح معه في مبدأ كتابته.

أما ذلك الواحد الذي خرج على إجماعنا فهو يرى غير رأينا، هو يخالفنا في تلك المسألة على طول الخط ـــ كما يقولون ـــ لأنه يرى أن الكاتب القدير. وهذا نعت لابد للكاتب الذي يقول: إنه يستطيع أن يكتب. وأن يجيد الكتابة في موضوع ما، وبدون أن يرسم فكرة واضحة محددة في ذهنه لذلك الموضوع قبل البدء في الكتابة.

هذا نعت ـــ كما يقول صاحبنا ـــ لابد لذلك الكاتب منه. قال: وحجتي على ما ذهبت إليه أن الكاتب القدير، الكاتب الذي يكتب بدافع من نفسه، أو بعبارة أخرى بدافع من قلمه ـــ إن صح هذا التعبير ـــ وأنا أقصد بقلمه لا اللدائن والحديد بطبيعة الحال ولَ ي والخواطر التي يختلج بها فكره.

الكاتب الذي ذكرت لا بد في صفته من أن يكون كاتبًا مطلقًا أي ليس كاتبًا مقيدًا كالكاتب الاجتماعي والكاتب الصحفي والكاتب السياسي أو غير أولئك. ذلك الكاتب يستطيع أن يكتب في موضع ما. وإن يجيد الكتابة بدون ضرورة أن يكون في نفسه فكرة واضحة محددة عن الموضوع الذي يريد الكتابة فيه قبل البدء في الكتابة.

ودليلي على ذلك أن الحياة بالنسبة للكاتب هي مجموعة موضوعات وبحوث ومواد يتصل بعضها ببعض، لا يوجد منها موضوع واحد ليس له علاقة بموضوع غيره ولكن تلك العلاقة قد تكون خفية لا يهتدي إلى كشفها إلا ذلك الكاتب القدير الذي ذكرته.

ذلك الكاتب يستطيع أن يكتب أول كلمة في الموضوع قبل أن يكتب عنوانه، وقبل أن يكون عنه فكرة محددة، بل قبل أن يكون له في نفسه وجود بعينه في تلك اللحظة.

وأقول: بعينه في تلك اللحظة لأن الكاتب وفكره ونفسه ما هو إلاَّ مرآة تعكس ما حولها فتنطبع فيها.

وقد يكون في نفس الكاتب بعض الموضوعات التي لا تبرز إلى ذهنه إلا بعد امعان نظر، وطول تفكير، ولأن الموضوعات

الحيوية ـــ كما قلت ـــ بمثابة حلقات متصلة تربط بعضها ببعض وشائج متينة، أو ضعيفة لا يكتشفها إلا من أوتي حظًا من النظر الثاقب، والعقل الباحث المُنقِّب.

فإنَّ بعض الأشياء التي قد يبتدأ الكاتب بكتابتها وهي لا تصلح موضوعاً للكاتب ربما أثارت موضوعًا صالحًا للكتابة، وربما أهاجت من أعماق الذاكرة مشاعر كانت كامنة.

فالكاتب القدير يستطيع أن يبدأ الكتابة بدون أن يكون له أقل فكرة عن الموضوع الذي يكتب فيه بعد ذلك، ولكنه يبدأ الكتابة بما يعنُّ له، أو ما يصادفه، أو عن شيء آخر معتاد في البيت ـــ مثلاً ـــ ثم يسترسل في الكتابة فيؤاتيه الإلهام، وتهطل عليه شآبيب المعاني حتى يضيق بها المقام. وحتى يترك الكتابة قبل أن تتركه دواعيها.

ذلك بأن الحياة كما قلت متشابكة، وإن كانت متشعبة، وقريب بعضها من بعض، وإن كان في بادىء الأمر بعيدًا.

يستطيع ذلك الكاتب مثلاً أن يرى لعبة ولده ولتكن السيارة الصغيرة عندما يخط أول كلمة، فيكتب اسم لعبة ولده، أو لفظها، أو وصفها، ثم يتدرج من ذلك إلى ما لا نهاية له من المعاني والمواد والميادين بدون أن يخرج عن موضوع الحديث عن لعبة ولده.

يستطيع ـــ مثلاً ـــ أن يتحدث عن نفسية الطفل، وأثر اللعب فيها، ويستطيع أن يكتب عن الفرق بين شعور الكبار وشعور الصغار في اللعب، وعن نمو مشاعر الطفل، وعن اختراع السيارات، وأن يقارن بين لعب الأطفال في الماضي والحاضر.

كل ذلك على سبيل المثال والإشارة وإلاَّ فالمواد والميادين أمامه كثيرة واسعة. ثم ليجعل العنوان بعد ذلك (لعب الأطفال).

هذا مثال واحد. ولن يعوز كاتب أن يجد الألوف المؤلفة مثله. أما إذا عجز عن أن يجد موضوعًا يكتبه أو موضوعًا يثير موضوعًا يكتب فيه. أو عبارة تثير موضوعًا، وذلك قريب من المستحيل، فإنه لن يعجز عن أن يكتب في موضوع الكتابة ذاتها، وفي عجزه عن الكتابة. وفي مقدرته عليها. وفي الأحوال التي تؤاتيه المعاني فيها والظروف التي تساعده على الكتابة، وذلك موضوع طويل يستطيع الكاتب أن يصول فيه ويجول، ويستخرج منه لا مقالاً ولا مقالين فحسب، وإنما عدة مقالات.

ولكن. لا تنسوا نعتي .... الكاتب بأنه الكاتب القدير.

نعم، إن حجة صاحبنا قوية، وإن ما ذهب إليه صحيح ولكن بقي أن نسأل صاحبنا سؤالاً واحدًا هو كم يظن بين الكتَّاب الذين تعارف الناس على أن يُسموهم كتَّابًا مثل ذلك الكاتب الذي ينعته بالكاتب القدير؟.

لقد سألناه عن ذلك فأجاب بأنه يظن أنه موجود فيهم ولكن بنسبة قليلة ولم نشأ أن نناقشه في مقدار تلك النسبة حتى حددها بقوله :

قد يجوز أنها الربع ولكننا سألناه بقولنا :

والأرباع الثلاثة الباقية من الكتاب: كيف حالهم؟

فأجاب قائلاً: إنهم ليسوا كتَّابًا قديرين فهم لم يدخلوا تحت حكمي.

العبودي.. عالم.. كاتب.. مفكر

د. عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر

معالي الأخ الشيخ محمد بن ناصر العبودي، عالم، كاتب، مفكر، لا يفيه حقه إلا دراسة علمية يقوم بها طلاب دكتوراه يختارون جوانب من فكره الضافي ويركزون عليها، دراسةً وتحليلاً، يكون العمق صفتها، والشمول إطارها، وأن تتوالى هذه الدراسة «الأكاديمية» لتلمس جميع جوانب الفكر عنده.

لا أتصور عدد الرسائل التي يمكن أن تكتب عنه، وأتصور أن أجيالاً من الطلاب سيجدون على مر الأعوام المقبلة مادة ثرية يستقون منها الفكر والمعرفة، ويلقون ضوءاً ساطعاً على الفكر في زمن معالي الشيخ محمد.

إن كاتباً مبدعاً مثله لا يقف التصور عنده وحده، بل يشمل عصره عموماً، يرسم محيط تربيته، ونشأته، ومحيط الدولة الذي عاش فيه، بما فيه من أمان، وفرص تعليم وعمل.

إن معالي الشيخ محمد تطرق إلى جوانب مختلفة من مواضيع الاهتمام، ومن جملة إبداعه أنه اهتم بما هو مهم، ولكن الكُتّاب والعلماء لم يلفتوا له، فالتفت له بعناية وصبر وجلد، وأخرج ما هو مفخرة له ولكل صاحب فكر يقدر العمل الأصيل، ولكل مواطن يلمح حرصه على إضاءة شمعة في كل ركن منسي، اشتغل الناس عنه بالدنيا.

لمحة سريعة، وتفكير متأنٍ عن ما قام به، توصل على أنه ـ حفظه الله ـ أغلى وقته، ولم يُضع منه دقيقة تمر من دون أن يكون دوّن فيها عصارة

فكره ما يجعلها ثمينة بحق. قليل من المفكرين تابع جزءاً ضئيلاً مما تابعه في جمع الوثائق ودراستها.

إن من يتابع جهده في هذا يجد أن الوثيقة الواحدة، وما أكثر ما جمع، أخذت من جهده ووقته ما يجعل العارف العالم المنصف يدعو له مقابل ما بذله.

أرجو ألا يكون جهد الثلاثية محصوراً على جمع كلمات وطبعها في كتاب، بل في شيء أعمق من هذا، أن تجد الوسيلة للكتابة عنه من القادرين كتابة متأنية عميقة، لا سريعة، لا يزيد الأمر فيها على قص ولصق.

ولك أطيب التحية والتقدير، ، ،

«ومن أفضاله عليَّ»

أ. د. صالح بن فوزان الفوزان

معالي الشيخ: محمد بن ناصر العبودي، حفظه الله، تعرفت عليه من خلال إدارته للمعهد العلمي ببريدة، إذ كنت ضمن الطلبة الدارسين فيه حينذاك، ومن أفضاله عليّ، جزاه الله خيراً، أنه أكد عليّ وألح بدخول المعهد المذكور واستقبلني استقبالاً أغراني بالالتحاق بالمعهد، على رغم أني كنت مدرساً في الابتدائي بعد تخرجي من الدراسة الابتدائية، فتركت الوظيفة والتحقت بالمعهد نزولاً على رغبته، فحمدت العاقبة ـ ولله الحمد ـ وكان ذلك بسببه وتشجيعه.

كنت أعرف فيه من خلال إدارته للمعهد مديراً حازماً فاضلاً يملأ المكان كفاءة، إضافة إلى أنه كان تلميذاً لكبار العلماء في القصيم، وعلى رأسهم سماحة الشيخ: عبدالله بن محمد بن حميد، رحمه الله.

كان الشيخ من الشخصيات العلمية الفذة في القصيم، معروفاً في أوساط العلماء والأدباء والمثقفين بالرزانة والشخصية العلمية المحترمة، يبرز ذلك من خلال عطائه العلمي في رحلاته وجولاته في العالم الإسلامي، تتحدث عنه مؤلفاته الكثيرة الغزيرة المفيدة.

وقد أعطاه الله أسلوباً ممتعاً سهلاً يأخذ القارئ حينما يقرأ له أي كتاب.

ذلك قليل من كثير مما له من المكانة العلمية والمكانة الشخصية. ومعرفتي به قليلة لا تفي ببعض حقه، لأنني كنت أعيش بعيداً منه في قرية نائية من قرى القصيم، وأنا أعتذر عن ضحالة ما قلته عنه لكنه جهد المقل. والعذر عند كرام مقبول... والله يحفظكم ويحفظ معالي الشيخ محمد ويمده بالصحة وطول العمر ليواصل عطاءه العلمي.

كتبه/ صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

العالم الموسوعي الشيخ محمد العبودي

الشيخ د. صالح بن عبدالله بن حميد

الحمد لله والصلاة على من لا نبي بعده ، وبعد ...

يجمل الحديث عن المعرفة و تعلق النفوس النخب المثقفة بها ، و تزدان المنديات العلمية بالتداولات التي تضيف للعقول وصفا ورصفا تكمل به نظرتهم للواقع و الأحداث، وتشرئب أعناق الباحثين لأخبار البحث و التنقيب عن المعارف ،وأخبار الأمم والدول وتحليلها ، ويجتمع ذلك كله حينما تطلع على تلك السياقات الوصفية السردية في مدونات الرحلات التي تعد نقلاً خطياً مصوراً للعالم و ما يضمه من معارف في الآفاق وفي الأنفس وطبائع الشعوب و مسالكهم في الحياة ، و أثر العلم و الجهل والغني والفقر والرخاء والشدة على بناء بيئاتهم، و الوقوف على انعكاس العلاقات بين الأمم والأعراف و الأعراق .

وقد قيض الله تعالى على مر العصور و تنوع الدور رجالاً يعنون بالتنقل و التدوين لما يلاقون و يعايشون من أحداث ، ابتداءً من التضاريس سهولا وجبالا وبحارا وانهارا واودية وصحارى ، و انتهاء بالطبائع و السلوك في الأفراد و السياسات والمناهج ،حتى تشكل على ضوء ذلك ما يُسمى بأدب الرحلات ، وكان لجملة من رجالات العلم والثقافة و الأدب والتاريخ من العرب نصيب وافر ، إذ اشتهروا في هذا التخصص ، فمن المتقدمين على

سبيل المثال :ابن حوقل، والمقدسي، والمسعودي ،والبيروني،وابن جبير ....وابن بطوطة .

وأما من المتأخرين فقد عُد منهم: الطهطاوي، والآلوسي، وعبدالله فكري، طه حسين وهيكل ،وحسين فوزي،وأمين الريحاني،وأنيس منصور ..،واختلفت طرائقهم واهتماماتهم ودوافعهم .

وأما في المملكة العربية السعودية ، فقد استوفى جانباً منه الأستاذ :عبدالله بن أحمد حامد آل حمادي في رسالته الأكاديمية"أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية" ، وممن كانت لهم كتب في(أدب الرحلة) من علماء بلادنا وأدبائها ومؤرخيها : العلاَّمة حمد الجاسر، الأساتذة وأحمد عبدالغفور عطار، وعاتق البلادي، وعبدالعزيز الرفاعي،وعبدالعزيز المسند ،وعبدالقدوس الأنصاري وعبدالعزيز الرفاعي، وعبدالله بن خميس، وعلي حسن فدعق،وفؤاد شاكر،ومحمد السديري، ويحيى المعلمي، وغيرهم.. وهؤلاء يتفاوتون في مستوياتهم واهتماماتهم، ولكن لم يتخصص احد منهم بالكتابة في أدب الرحلة .

وقد شاء الله بعزته وقدرته أن يحمل لواء هذا الفن في بلادنا المملكة العربية السعودية معالي الشيخ/محمد بن ناصر العُبودي، العالم الموسوعي المعجمي البحاثة الرحَّالة، إذ تمحض لهذا العلم فلم تصرفه المناصب ولم تشغله عن أن ينطلق إلى البلاد و المناظر و المشاهد في أوكارها و في

مرابعها ، هواية غذاها ذكاء متقد وعقلية فذة وثقافة واسعة ،ثم تطور و ترقى في غايتها ليخدم دينه وأمته و الدعوة إلى دين الله .

ولعل في المقارنة مات يشحذ الهمم ،أحسب أن العبودي المشرقي يفوق ابن بطوطة المغربي، فهو أوسع انتشاراً و أغزر إنتاجاً، وأبعد مدى، و لعل مواصلات هذا العصر واتصالاته قدمت الأول و عذرت الثاني .

لقد تميز معاليه بوفرة حصيد قلمه وانطلاق بنان بيانه في مدونات جمعت بين التأسيس و التأكيد وبين المنشئ الكاشف، إذ عمر المكتبة العربية والإسلامية بمائة وأربعة كتاب في موضوع الرحلات ، ولديه أكثر من ستين كتاباً تنتظر الطبع ، وكذلك ما يزيد على ثلاثين كتاباً في الدعوة واللغة والأدب والتاريخ والاجتماع والتربية ، بعضها في مجلدات عدة متوفرة في معظم المكتبات، عكست هذه الكتب شخصية الداعي المربي والأديب والرحالة والمؤرخ والعالم الفقيه .

وقد تقصى الأستاذ/محمد بن عبدالله المشوح في كتابه الممتع (عميد الرحالة محمد بن ناصر العبودي" كل ما يتعلق بادب الرحلات عند الشيخ محمد العبودي .

المتأمل في شخصية معاليه يبرز له تكوّن ثلاث شخصيات علمية تدرك شواهدها بتتبع نتاجه –حفظه الله- وهذه الشخصيات على النحو التالي :

الشخصية الأولى: شخصيه الرحالة محمد العبودي، فقد عرف ،حفظه

الله ، برحلاته الماتعة التي نهضت بها حبه للبحث و الاطلاع ، ولذلك آلت لديه السياحة وسيلة للدراسة و الوقوف على ما في بلاد الله من العجائب والغرائب، إذ كانت تلك السياحة و الرحلة و الضرب في الأرض من أكبر عوامل بناء شخصيته و معارفه الجغرافية و الشعوبية و النسبية و التاريخيه، والناظر في كتابه"معجم بلدان القصيم" ، الذي استوفى فيه لكل بلد حقه ومستحقه من الوصف الدقيق، فقد عني بذكر

الأسر التي تقطن البلد، ويتبع ذلك بذكر اسماء الشخصيات البارزة من سلالات تلك الأسر في الجوانب العلمية و الاجتماعية كافة ، وقد اتسم مؤلفه"معجم بلاد القصيم "بعرض الشواهد ، والوصف، والربط بأصوله العربية وماارتبط بذلك من أحداث و وقائع.

كما أن كتب الرحلة التي دونها ، والتي تعرض طبائع بلدان الدنيا شرقها ،وغربها ، وشمالها ، وجنوبها بحارها وقارها وغيرها من البلاد التي تعسر تضاريسها كما تعسر معرفة أسمائها و أصول و أعراف سكانها، كان معاليه يسردها سرداً تعجب منه العيون ،و تطرب له الآذان ، وتتغذى به عقول المثقفين و المؤرخين والأدباء وطبقات اهل العلم كافة ..

الشخصية الثانية :شخصية اللغوي الأديب أبو ناصر ، إن عناية معاليه باللغة و تراكيبها و أصولها تظهر لمُجالِسه من أول وهلة، إذ عرف بجزالة مكتوبه و منطوقه ، كما تميز بتتبعه لأصول اللهجة العامية و بذل الجهد

لتأصيلها من مفرداتها و ألفاظها و أمثالها في سباقها ولحاقها ،فمن المدونات في هذا الشأن "معجم الألفاظ العامية" ، و "تكملة المعجم اللغوي في جزيرة العرب" ، أو "معجم ما ليس في المعجم "، و" الكناية والمجاز في اللغة العامية" و"الأصول الفصيحة للأمثال الدارجة "و"غرائب الألفاظ النجدية ذوات الأصول الفصيحة"، ومما يؤسف أن جملة من هذه المؤلفات لا تزال رهينة الأدراج ، أمد الله في عمر شيخنا ليبعثها من مرقدها .

الشخصية الثالثة: شخصية الفقيه العالم ،إن تواصل الشيخ مع العلم وأهله عزز بناء الشخصية الفقهية لدى معاليه ، فهو رحالة داعية معلم ومتعلم، بل ناقد حاذق ، فمن تتبع كتابه النفيس حول أسر بريدة و ما يعرض له من الوثائق و الأحكام القضائية والتحليل الدقيق والعميق لهذه الوثائق ، يلمس ملكة معاليه الفقهية ، إذ يسلط الضوء في أثناء عرضه لتلك الوثائق وما تعرض له من مبادئ فقهية و تسبيبات و قواعد ، فإما أن يبين أو ينقد تحقيقاً لمبدأ التكاملية العلمية بين فصول مدوناته .

إن هذه السطور قد لا تكون موصلة لما أعرفه ويعرفه غيري عن هذا العالم الموسوعي الذي تفخر به بلاد الحرمين الشريفين، وهو من رجالاتها الذين ما فتئوا بذلاً لدينهم و مجتمعهم، وهو مثال يُحتذى للأجيال المثقفة المؤرخة و الأدبي، ومن هنا أؤكد على أهمية التواصل مع معاليه ممن يسعى لنشر العلم و المعرفة ، و تعزيز الوعي المعرفي للعالم العربي و الإسلامي من

رجالات الأموال أن يمدوا جسور التعاون والتكامل في نشر علم معاليه وتجميل المكتبة العربية و الإسلامية بمخرجاته الثقافية التي تنم عن مسيرة حافلة حملت لواء الحق وبذور الخير لتغرسها في العقول و المعاقل.

ومن عظيم الخدمة لمؤلفاته أن يعنى بختمها بفهارس موضوعية تحليلية لما ورد فيها من فوائد ونكت علمية يندر وجودها عند غيره ، و قد يعسر معرفة موضعها من مؤلفه .

وإن كان ما أختم به حقه أن يقدم ، والمقدمة – كما يقال – أخر ما يكتب وأول ما يُقرأ ،والخاتمة آخر ما يُكتب وآخر ما يُقرأ .

أقول إن كان ما أختم به فهو العلاقة الشخصية العلمية التي بين الوالد –رحمه الله – وبين معالي الشيخ محمد – أمد الله في عمره – التي تجاوزت ثلاثين عاماً ، وهي علاقة اعلم علم اليقين ان الطرفين يعتزان بها ، وكم كانا محافظين عليها حضراً وسفراً ، وكم كان الشيخ محمد وفيا لها بعد وفاة الوالد – رحمه الله – فلا اعرف مناسبة ورد فيها ذكر الوالد ، سواء في مجالسه او اجتماعاته او في مؤلفاته ومدوناته ، إلا وهو يلهج بذكر الوالد معترفا – جزاه الله خيرا - بالتلمذة عليه ، مشيداً بحسن رعايته العلمية وجميل متابعته لطلابه ،ولا سيما النجباء والأذكياء والنوابغ ، والشيخ محمد العبودي في مقدمتهم ، وامتد وفاء الشيخ ليتصل بأبناء الوالد وأسرته ، خصوصاً أخي أحمد – حفظه الله – ولي شخصياً ، فهو دائم

الاتصال والتواصل والذكر الحسن وإظهار الإعجاب والتشجيع ، حتى أنه يقول إذا رآنا مشجعاً : بودي لو أن الوالد – رحمه الله – امتد به العمر ليرى ما انتم عليه فانه رجل يحب معالي الأمور . " هذه عبارة الشيخ العبودي بالنص " ، أوردتها لا سجل وفاءه وتشجيعه ومحبته للوالد وأولاده ، وهو حسنُ ظنٍ من معالي الشيخ وتشجيع كما ذكرت .

سائلاً المولى لمعالي الشيخ طول العمر على خير إيمان و عمل و أن يبارك في علمه و ولده يجزيه عن الإسلام و المسلمين خير الجزاء و أوفاه .

معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي
العالم الأديب الموسوعي المعاصر

معالي د. علي بن مرشد المرشد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد.

فقد تكاثرت المشاغل، التي تتجاذب الإنسان في هذا العصر، إلى جانب ثورة المعلومات الحديثة، التي شغلت معظم الناس، حتى ندر وجود الباحثين الجادين المنقطعين لصيد العلم وتدوينه، ونشره، وحينما نجد في عصرنا أديباً متعدد المواهب، وفقه الله لاستثمار وقته في البحث، والتتبع، والاستقراء، والرحلات العلمية، وتدوين المشاهدات والملاحظات، مع التوصيات التي تعالج مواطن الضعف في برامج إصلاح أحوال المجتمعات الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، فإن ذلك يبعث الأمل في امتداد جهود أولئك العلماء السابقين من الأدباء والمؤرخين، الموهوبين ممن برزوا في مجال التحقيق والتأليف في شتى العلوم، وسجل لهم التاريخ سيرهم وآثارهم.

ومعالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي يُعد واحداً من هؤلاء المؤلفين الموهوبين، فهو أحد العلماء في فنه، البارزين في عصرنا الحاضر من خلال مؤلفاته الشاملة لعدد من الفنون المهمة، فهو مؤرخ ونسابة، ولغوي، وجغرافي، ورحالة، وقد بلغت مؤلفاته المطبوع منها والمخطوط (٢٤٧) مؤلفاً،

منها (١٦٢) كتاباً مطبوعاً، و(٨٥) كتاباً مخطوطاً.

ولقد كان لهذه المؤلفات تميز في إثراء الجانب الثقافي في بلادنا، وسد الفراغ في المكتبة الإسلامية، وما أحوج الأجيال المقبلة، والحاضرة إلى مثل هذه المؤلفات من نتاج أديب موسوعي كالشيخ محمد، الذي تناول أحداث العصر، وفصَّل البيان في أحوال معاصريه، وأنسابهم، وأخبار مجتمعاتهم، وبلدانهم.

لقد هيأ الله للشيخ أسباب تحقيق طموحاته بفضل الله وتوفيقه، ثم بمساعدة وتشجيع ولاة أمرنا ـ حفظهم الله ـ للمهتمين بالبحوث ونشر العلم النافعة حتى أضحت المملكة ـ ولله الحمد ـ واحة للعلم، وموئلاً للعلماء، ومقصداً لصنّاع الحضارات، والثقافات في العالم يأتون إليها، متأملين في تجربة المملكة، وتحولها من بلاد صحراوية مضطربة الأمن، يسودها الجهل، وينتشر فيها المرض، ويلفها الفقر، إلى بلاد آمنة، ينعم في رغد من العيش، ويؤمها مشاهير الاقتصاديين في العالم لاقتناص فرص الحصول على عقود العمل والتجارة، وتتعاقب عليها زيارات وفود الجمعيات والمؤسسات العلمية، والثقافية، وغيرها لتبادل الخبرات، وتحقيق المصالح.

وحول المواهب التي منحها الله للشيخ محمد العبودي، وما حققه في مختلف المجالات العلمية، أكاد أجزم على اتفاق المطلعين على هذه المواهب على استحقاقه للتكريم الذي يليق به، تقديراً لخدماته، ومكانته،

وعلمه، إذ إنه توجد مجموعة من الوسائل يمكن التنسيق مع الجهات المختصة لتكريمه من خلالها، منها:

أولاً: ترشيحه للحصول على إحدى الجوائز العلمية التقديرية من إحدى المؤسسات الاجتماعية، والثقافية.

ثانياً: إيجاد دار للثقافة في بلاد الحرمين تُعنى بنشر مؤلفاته، وأمثاله من أبناء هذا الوطن العزيز، وفي نظري أن إبراز جهود المميزين في مجتمعنا من أمثال الشيخ محمد، وتكريمهم يُعد من المظاهر الحضارية الطيبة في هذا المجتمع الكريم، الذي أكرمه الله بولاة أمر يناصرون العلماء ويقدّرون علمهم، ويباركون نشر مؤلفاتهم.

أتمنى أن يشمل هذا التكريم كل من لهم جهود ملموسة في خدمة العلم ونشر الثقافة النافعة في هذا الوطن العزيز، ومثل هذا التكريم سوف يمكن شباب هذه الأمة، خصوصاً من أبناء المملكة من معرفة رموزه، وأسباب شهرتهم، وتقديرهم في مجتمعهم، وإعطاء فكرة عمّا يتحلى به هذا المجتمع من وفاء، وتقدير، وإشادة بأسلافه، وما قدموه من علوم وآداب لأمتهم.

هذا وإنه ليطيب لي في ختام حديثي هذا، أن أشكر الأخ الكريم الدكتور محمد بن عبدالله المشوح على ما بذله من جهد لخدمة الثقافة، وما قام به من تقدير لجهود العلماء، والمثقفين، إذ قام مشكوراً بتسليط

الضوء على جهود الشيخ محمد، ومؤلفاته، وعمل على إنشاء موقع له على «الانترنت»، لتعم الفائدة منه.

أسأل الله أن يبارك في عمر معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي، وأن يمنحه تمام الصحة والعافية، ويوفقه لمواصلة عطاءاته، وإنجازاته لخدمة البلاد والعباد، وشكراً مرة أخرى لأخي الدكتور محمد المشوح على إتاحته لي هذه الفرصة.

وفق الله الجميع لما فيه الخير، وبارك في كل الجهود التي تسعى لنشر العلم والخير ووحدة الكلمة في بلادنا، وأدام الله علينا أمننا، واستقرارنا في ظل قيادتنا الحكيمة.

والسلام عليكم ورحمته وبركاته.

محمد الناصر العبودي

الريادة الثالثة: المعاجم والموسوعات

للدكتور: عبدالرحمن بن صالح الشبيلي[1]

في بداية ظهور اسم الشيخ العبودي في الوسط الثقافي السعودي، مطلع الثمانينات من القرن الهجري الماضي (الستينات من القرن الميلادي المنصرم)، حينما تلقّى القارئُ كتابَه الجامع الأوّل المكوّن من خمسة أجزاء: الأمثال العامية في نجد (١٣٧٩ هجرية ـ ١٩٦٠ م)، وهي الفترة التي ظهر فيها نجم روّاد من أمثال عبدالقدوس الأنصاري وحمد الجاسر وعبدالله بن خميس وغيرهم، كان الإحساس لدى بعض القرّاء أنهم يقفون أمام مؤلف دؤوب مثابر رصين جديد، سيكون له شأنه في عالم التدوين والتوثيق والتأليف، والوقوف بنفسه على المواقع والمعلومات والبحث عن الوثائق والمخطوطات، جنباً إلى جنب مع كبار المؤلّفين الجادّين الآخرين، وقد أعيدت طباعة كتابه الأول هذا مرات عدة، مما مهّد الطريق أمامه لمزيد من البحث في تتبع الأمثال الشعبية في الجزيرة العربية.

ثم بدأ القرّاء يتلقّون سلسلة طويلة من كتب خصّصها للبلدانيات، واصفاً فيها مختلف دول العالم التي زارها، داعيةً منتدباً من الجامعة

---

(1) للمزيد باحث وإعلامي سعودي aalshobaily@gmail.com
عبدالرحمن الشبيلي A.Al Shobaily

الإسلامية في المدينة المنورة منذ تعيينه فيها عام ١٣٨٠هجرية (١٩٦٠ م)، ثم فيما بعد من الهيئة العليا للدعوة الإسلامية بعد ارتباطه معها عام ١٣٩٤ هجرية (١٩٧٤م)، ورابطة العالم الإسلامي بعد تعيينه مساعداً لأمينها العام سنة ١٤٠٣ هجرية (١٩٨٣م)، وقد شكّلت تلك السلسلة في مجموعها، الذي تجاوز مئة وعشرين كتاباً، أول موسوعة من نوعها في وصف تلك البلدان ومجتمعاتها وأحوالها المعيشية والثقافية، بل لعلها كانت أوسع إنجاز علمي عربي فردي في ميدان (البلدانيات والرحلات)، واقترن هذا العمل بتحويله إلى برنامج إذاعي مُحبّب للمستمعين، ساعد في تعريفهم بتلك الشعوب وبمؤلف تلك المجموعة، التي لا يمكن النظر إليها في مجملها إلا بمقياس الموسوعات.

ثم شارك العبودي في المشروع العلمي الكبير الذي تبنّاه الشيخ حمد الجاسر (المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية)، واشترك فيه نخبة من كبار المؤلفين السعوديين، وكانت ثمرة نصيب الشيخ العبودي من هذا المعجم ستة مجلدات تصف جغرافية منطقة القصيم، وتُفصّل في اقتصاديات الإقليم وتاريخه وتركيبة سكانه وعاداته وتراثه الشعبي، وقد صدر هذا المعجم الخاص بالقصيم سنة ١٣٩٩ هجرية (١٩٨٠م) عن دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، فصار ثالث عمل موسوعي له، وأول معجم من نوعه عن جغرافية المنطقة، وهنا حقّق الشيخ العبودي ريادة جديدة بين أمثاله العرب في مجالات المعاجم والموسوعات، و أدب الرحلات، وتدوين الأمثال والموروث

الشعبي، و في عالم التأليف الذي تجاوز فيه (٢٠٠) كتاب حتى الآن.

فتّقت هذه الأعمال الموسوعية الثلاثة قريحة الشيخ العبودي لمزيد من المشاريع المماثلة، فاتجه في جهوده التالية إلى مجال انفرد فيه بين أمثاله من المؤلفين العرب، وهو التخصص في التأليف الموسوعي الغزير.

الموسوعات والمعاجم، كما هو معروف، هي أعمال معرفية من مجلدات عدة، مصنّفة ومفهرسة، تدور حول موضوع معيّن، وهناك عشرات الموسوعات العربية والإسلامية والعالمية الشهيرة، والموسوعات في الغالب، جهد يسهم فيه عدد من المؤلفين في التخصص ذاته، وإذا ما قام به مؤلف واحد فإن من النادر أن يدأب على تأليف أعمال أخرى، لكنه قد يستمر في تحديثه والإضافة عليه.

أما بالنسبة للشيخ العبودي، المولود في بريدة بالقصيم عام ١٣٤٥ هجرية (١٩٢٦ م) فقد اتجه لارتياد العمل الموسوعي والمعجمي، متفرّداً بعدد من الميزات، من أهمها تعدّد المواضيع وتنوّعها، وأنه نحا في منهجه منحىً مستقلاً يخدم التراث والبيئة التي نشأ فيها (القصيم خصوصاً ونجد عموماً) والمعتقد أنه كان يعتمد على نفسه وعلى إمكاناته الذاتية في الجمع والتنقيح والكتابة والتصحيح والأمور الفنية الأخرى، متحمّلاً بنفسه نفقات ذلك، باستثناء ما تمّت طباعته على نفقة دارة الملك عبدالعزيز، أو مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، أو دار اليمامة للبحث والترجمة والتأليف، التي

أنشأها حمد الجاسر سنة ١٣٨٦ هجرية (١٩٦٦م).

لكنه منذ سنوات قريبة، صار يتلقّى مساعدة فنية سرّعت في طبع مخطوطاته الموسوعية التي كانت تنتظر دورها في الصدور، إذ بادر المحامي المعروف د. محمد المشوّح إلى مدّ يد العون «اللوجستي» له في مجال الصف والإخراج الإلكتروني، وأنشأ موقعاً إلكترونيّاً باسم شيخه، ومكتبة متخصصة لتوفير كتبه للقراء، والمرجو أن يسارع محبوه في إنشاء مركز ثقافي يُعنى بثراثه الغزير، ويعمل على تحديثه بين حين وآخر، وعلى إجراء الدراسات عليه، وكان د. المشوّح أصدر في عام ١٤٢٤هجرية (٢٠٠٤م) كتاباً شاملاً في حينه عن سيرة الشيخ العبودي، حمل عنوان: «عميد الرحالين».

تجاوزت قائمة مؤلفات العبودي، التي صدرت حتى الآن، رقم المئتين كما سلف، وهي تضم بعض الموسوعات، إلا أن لديه موسوعات أخرى لاتزال مخطوطة، ويستفاد من موقعه الإلكتروني أن مجموع ما أعده منها قد يتجاوز الثلاثين، صدر منها حتى الأن نحو خمسة وعشرين معجماً ما بين صغير وكبير، تتعلق بالمرأة والإنسان وصفاته، وبالأقارب والأصهار، وبالحرف والصنائع، والشجر والنبات والحيوان، والمال والتجارة، والعلم والجهل، والمنازل والديار، ووجه الأرض والمطر والسحاب، وألفاظ الحضارة والإبل، والنخلة والفروسية والقتال، والطعام والشراب واللباس، والمرض

والصحة، والأنواء والفصول، والديانة والتديّن، وكذلك غريب الألفاظ في نجد، وغريب الألفاظ والأمثال ذات الأصول الفصيحة وحِكَم العوام.

كان معجم «أسر القصيم» أكبر موسوعاته على الإطلاق من حيث الحجم والشمولية، إذ يضمّ خمسة أقسام، صدر منها حتى الآن القسم الأول الخاص بأسر بريدة في ثلاثة وعشرين مجلداً، وينتظر أن تصدر أقسامه الأربعة الباقية لاحقاً، لتُغطي أهل القصيم كافه؛ شماله وجنوبه وشرقه وغربه، ويتكوّن كل قسم منها من ثلاثة إلى سبعة مجلدات.

الشيخ العبودي وُلد ونشأ في بريدة بمنطقة القصيم، إذ الاقتصاد في إقليم نجد يعتمد ـ كما هو معروف ـ على الزراعة، أو على التجارة بالنسبة للمقتدرين، وظهر في القرون الماضية نوع من التجارة اشتهر باسم (العقيلات)، عنوانها الإبل والخيل والمُؤن، تقوم على التبادل مع بلاد الشام ومصر، برز معظم رجالاتها من أهل القصيم، خصوصاً من أسر بريدة، مثل الحجيلان والرواف والرشودي والربدي والقرعاوي والجربوع، وقد تحدث الشيخ العبودي عن ظاهرة «العقيلات» في كثير من كتبه، إذ شارك والدُه فيها، ولا بد أن في جعبة الشيخ مخطّطاً لأن يخُصّها بإحدى موسوعاته، إضافةً لما كتبه عنها إبراهيم المسلّم ونواف الحليسي وإبراهيم المعارك ـ وكلهم من بريدة ـ إلا أن ارتباط أسرته بالزراعة جعله يعطيها الأولويّة، فظهر له في العام الماضي (١٤٣٢ هجرية ٢٠١٠ م) معجم عن النخلة في المأثور

الشعبي، يقع في ٣٦٠ صفحة، استفاد في تأليفه من معلوماته المتراكمة في القرية النجدية (وفي خبوب بريدة خصوصاً) من ممارسة زراعة النخيل وكل ما يحيط بها، كالبذور والتربة والسماد والحصاد والتلقيح والتهذيب والغرس والأدوات والمواسم والبروج والعادات المتصلة بذلك، إذ تكون زراعة النخيل والتمور حديث المجتمع ومناقشاته وتبادل الخبرات بشأنها.

وغير بعيد عن هذا الموضوع، أصدر الشيخ العبودي عام ١٤٣١ هجرية (٢٠١١م) من مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية (معجم الحيوان عند العامة) مكوّناً من جزأين، ومشتملاً على كل ما يتعلق بهذا الموضوع من جُمل وألفاظ وتعبيرات وأمثال وأشعار وحكايات ومعارف، وهو مرة أخرى يستمدّ معلوماته في هذا المعجم مما هو سائد عند العامة في دائرة نجد، والقصيم خصوصاً، وقد رتّب مفرداته بحسب ترتيب حروف الهجاء.

خصّ الشيخ العبودى التراث اللغوي بعدد من كتبه وبحوثه، منها ما صدر، ومنها ما ينتظر مغادرة أدراج مخطوطاته، وكان معجمه المكوّن من مجلّدين كبيرين: كلمات قضت (أي توقّف استعمالها)، الصادر عام ١٤٢٤ هجرية (٢٠٠٤ م) عن دارة الملك عبدالعزيز بالرياض، من أجمل أبحاثه اللغوية الأصيلة، إذ تتبّع فيه ألفاظاً عامية كانت دارجة الاستعمال في القرون الماضية ثم انقرضت أو كادت، لكنه مرة أخرى ـ كما أظن ـ يركّز معظم ما تتبعه من مفردات في هذا المعجم على اللهجة المحلية

(القصيمية)، وهو ما تداركه في معاجم أخرى، أما بحثه الأشمل والأوسع في هذا الميدان، فهو (معجم الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة، أو ما فعلته القرون بالعربية في مهدها)، الذي أصدرته مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في الرياض عام ١٤٣١ هجرية (٢٠١٠ م) في ثلاثة عشر مجلّداً، وبحثه الثاني (معجم الأصول الفصيحة للأمثال الدارجة)، المكوّن من ثمانية أجزاء، و(معجم الكلمات الدخيلة في لغتنا الدارجة)، الذي صدر سنة ١٤٢٦ هجرية (٢٠٠٥ م) في مجلدين.

وبعد؛

فلقد كشفت موسوعاته التي استعرض المقال طرفاً منها، أن العبودي كان يدوّن المعلومات ويُخطط منذ شبابه، استعداداً لمثل هذا العمل الموسوعي، بإعداد أرشيف منفرد متكامل لكل موسوعة من موسوعاته، التي غلب عليها التركيز على الأنساب، أو على التراث الشعبي (المادي)، وأن المؤلف كان يستقي معلوماته من مخزونه القديم في البيئة التي عاش فيها وهي منطقة القصيم، الخبير بأحوالها وثقافتها، وقد عاش سنيّ شبابه فيها، فموسوعاته بهذا تُعد، في الواقع، مصدراً مهماً في دراسة بيئة المؤلف وثقافتها ولهجتها التي تنفرد بها بين سائر مناطق المملكة، عندما يقال مثلاً إن لكل إقليم لهجةً تختلف في نطقها ومعاني بعض مفرداتها عن لهجات بقية أقاليم نجد (حائل و سدير والوشم والحوطة وغيرها).

الشيخ محمد العبودي يستحق التقدير

الأستاذ : عبدالرحمن بن المعمر

سمعت باسم الشيخ محمد بن ناصر العبودي قبل أن أراه ورأيته، قبل أن أقرأ له، كان ذلك عام ١٣٨٠هـ بضاحية الملز، يوم كان حي الملز في ضواحي الرياض، كنا نسكن منزلاً متظاهراً مع منزل الشيخ صالح السليمان العمري «رحمه الله»، كان منزل الشيخ العمري في تلك الأيام مقصداً لبعض القادمين من رجالات القصيم، في تلك الفترة رأيت «أبو ناصر» كان يشغل منصب مدير المعهد ببريدة - على ما أذكر - وقد ذكرني منظره ومظهره ومرآه للمرة الأولى باهتماماته بالتاريخ والعاديات والآثار ومسالك الديار.

ولما صدر كتاب (تاريخ ملوك آل سعود) للأمير سعود بن هذلول «رحمه الله»، سارعت إلى شرائه وعكفت على مطالعته وتتبع محتواه بدقة وعناية. أدركت بعدها ما للشيخ العبودي من دور في تقديم هذا الكتاب، والإشراف على طباعته، وقبل ذلك حث الأمير المؤلف وتحفيزه على إخراج ما لديه من معلومات وعدم حبسها في الذاكرة والصدر، وهكذا يكون الجليس الصالح يعين صديقه على تدوين ما لديه من محفوظات وتداركها وعدم طيها أو تركها. وترك الشيخ العبودي القصيم ونجد وانتقل إلى المدينة لشغل منصب الأمين العام للجامعة الإسلامية، وهناك ظهرت كفاءته

وكفايته وقدرته ومقدرته، وهكذا الرجال الكبار أينما ذهبوا يحسنون الصنع ويتقنون العمل ويملأون المنصب ويبارك الله في أوقاتهم.

وباشر رحلاته إلى الخارج وجولاته حول العالم، وأخرج للناس أول كتاب (في أفريقيا الخضراء)، ولم يقل السوداء، وتتابعت الرحلات وأتبعها بالكتب والإصدارات حتى بلغت العشرات، وما بالغ الدكتور عبدالرحمن الشبيلي يوم كتب في «عكاظ» يُحيي الشيخ العبودي ويثني على مؤلفاته ويذكّر بجهوده ورحلاته وبالمناسبة فأبو طلال (الدكتور الشبيلي) رجل منصف غير متكلف، يضع الموازين القسط، وينزل الناس منازلهم، ويسر بتكريمهم ويسعى للتذكير بهم.

أعود للشيخ محمد العبودي، كنت أتابع ما يصدر من كتب، وأتتبع ما ينشر من أحاديث، واستمع إلى ما يُجرى معه من لقاءات إذاعية، فأعجب بذاكرته القوية، ومعلوماته الثرية، وترتيبه لفن القول، وحُسن تصرفه فيما قابله أثناء رحلاته من مواقف عجيبة أو مفآجات غريبة، وهكذا الرجل المجرب المحنك العاقل المتعقل، يتصرف في المواقف بهدوء، ويواجه الأمور بتؤدة ولا ينفعل ولا يرتبك ولا يحرج نفسه ومن معه وقد أكسبته الرحلات الطويلة والقراءات الواسعة (قيمة مضافة)، كما يقال في قاموس رجال الأعمال، كنت أعجب به وأتعجب منه كيف لا يستفاد من تجاربه ومؤلفاته وخبراته، وكم تمنيت أن أكتب عن الرجل، أو أتحدث في مناسبة تقام له

وصدف أن لقيت الأخ الكريم والصديق القديم أبو أحمد الدكتور صالح التويجري مدير عام التربية والتعليم بمنطقة القصيم، كان ذلك قبل ثلاثة أعوام أثناء فترة الصيف في الطائف وجرى الحديث حول الشيخ العبودي وجهوده، فسرني الدكتور بأن اسمه أطلق على مدرسة في مدينة بريدة مسقط رأس العبودي، وأن صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر بن عبدالعزيز أمير منطقة القصيم ترأس حفل تكريم أقيم له هناك، وتحدث سموه أمام الجميع وأثنى على دور الشيخ العبودي الثقافي وريادته وإجادته، وشارك الحضور الاحتفال تقديراً للرجل الكبير، فحيا الله سمو الأمير فيصل والحضور من الجمهور الذين لا يبخسون الناس أشياءهم ويقدرون من يستحق ويثنون على من يستاهل (وقولوا للناس حسنى).

أعود إلى الماضي والصيف والطيف والضيف والشيخ بعد أن ترك الجامعة الإسلامية وشغل منصباً آخر قبل أن يأتي للرابطة، فقد صادف أن اصطاف المرحوم الشيخ صالح السليمان العمري بدار له بمنطقة زراعية بين الطائف والحوية تسمى (القيم)، فسعيت للسلام عليه والجلوس بين يديه، ودعوته لقبول دعوتي وتشريف منزلي، وقد تلطف، رحمه الله، فطيب خاطري ولبى واستجاب، ومن حسن حظي أن كان الشيخ العبودي حاضراً فسرني بموافقته ومرافقته للشيخ صالح، وكانت ليلة أدبية وجلسة طائفية لا تنسى، كان محييها وقائد سفينتها ومجريها أبو ناصر، وحسبك به متحدثاً

وراوية محيطاً، يحسن إدارة دفة الحديث وتنقل المواضيع وتنوعها، وقد ذكر لنا في تلك الليلة أن لديه مشروعاً عن ظرفاء القصيم الذين يسمون بلغة العامة «العيايرة» وقد رجوته ورجاه الحضور بالتعجيل في إخراجه للناس ليخفف عنهم كربات الحياة المادية المتوحشة وكرب اللهاث والجري المسعور وراء ما يجوز وما لا يجوز وبعد. فقد أثار لدي اختيار الشيخ محمد العبودي شخصية العام تذكر تلك الأيام، وقد أتيت الآن أحيي كبيراً من رجالنا الكبار بحق، ورمزاً من رموزنا الوطنية الذين يستحقون كل تقدير من المجتمع والجميع.

أحيي الرجل الذي يعمل بصمت ويؤلف بعمق يرحل ويتجول، لا يمل ولا يتحول، أحيي المؤرخ الكبير والعالم النحرير المجغرف والباحث المحقق والمدقق إنه كل هؤلاء وأكثر إنه أعظم من هذا وأكبر.

لم يلعب البلوت..

د. إبراهيم بن عبدالرحمن التركي

وعينا دوره عبر استفهامٍ عابرٍ طرحناه على أنفسنا، أو ربما سمعناه فرددناه، وكنا طلاباً في التعليم (المعهدي العام) وقد درسونا في (تقويم البلدان) - وهو المصطلحُ الالتفافيُّ الدال على علم (الجغرافيا) سيءِ السمعة إذ ذاك - أن قارة أفريقية، سمراءُ أو سوداء؛ فما بال شيخنا يسِمُها الخضراء؟

دار في أذهاننا استقاءً من ذواتنا، أو نقلاً عن غيرنا، أنها صفةُ إنصافٍ لقارةٍ ظلمها التأريخ واستعبدتها السياسةُ ولم ينتصف لها إعلامٌ أو أَعلام، وربما كانت هذه الخضراءُ مبتدأ اتجاه الشيخ التطوافي الذي انتهى به مرتاداً معظم دول العالم، ويذكر صاحبُكم أنه سأله - ذاتَ غفلةٍ - عن البلدان التي زارها؛ فأجابه الشيخ بهدوئه وتهذيبه المشهودين: لعلك تسألني عن تلك التي لم أزرها، إذ يسهل حصرها، وقد تواضع كعادته فلم يشأ أن يقول: إنه زار كلَّ بلاد الدنيا أو يكاد، وفيها جزرٌ وأقاليمُ وولاياتٌ وبحيرات، وليست عواصم ومدناً مليونيةً، كما نفعل نحن السائحين الباحثين عن الظل والشاطئ والجمال.

لم يسعَ للواجهة كي نعرف أنه أولُ من ألف في الأمثال العامية، ولم يعنه أن ندرك أن تآليفه فاقت ٢٠٠ مؤلف تصدر بها المؤلفين السعوديين والخليجيين ومعظم العرب، ولا تراه مستكثراً أخباره أو ساعياً لنشرها،

وعلى نقيض ذلك، فلا نكاد نفقد كتاباته التي يُطري فيها مؤلّفاً أو مؤلَّفا، وإذ لم يسعَ إلى الواجهة أو الوجاهة فقد سعت إليه وسعدت به.

يملك الوقت للإنجاز؛ فلا تُهمه الحواشي، ويسكنه التواضع؛ فلا يعنيه البريق، وتعجب - حين تغشى مجلسه - لما يملكه من حسن إنصات؛ فكأنه المريدُ لا الشيخ، ولن يفاجأ زائروه حين يرونه واقفاً بين فترةٍ وأخرى، ليحادث من شاء مخاطبته عن قرب، مستكثراً جلوسه بحضرة تلاميذ له: وفيهم من هم في عمر أولاده من محبيه ومرتادي مجلسه الإثنيني العامر.

يذكر أنه جرى الحديثُ عن علامتنا - في مجلس صديقه الدكتور عبدالعزيز الخويطر - وأجمع الحاضرون على قاسمٍ مشتركٍ بينهما وهو الإنتاجُ الغزيرُ ذو القيمة، على رغم الأعباء الرسميةِ التي حملاها طويلاً حتى في شيخوختيهما - فبرر أبو محمدٍ ذلك بأنه وصَفِيَّه أبا ناصر لا يعرفان لعبة «البلوت»، ولعله اختصر بتعليقه الطريف واحداً من أسرار نجاحهما؛ فقد حددا هدفيهما وسارا إليه من دون أن يضيعا وقتاً يزجيه كثيرون في استرخاءٍ يطول فيعبر الزمن ويُنسى العابرون ويمكث العاملون.

شيخنا وحبيبنا ورمزنا المضيءُ أكبر من كلماتٍ مزجاةٍ لا تصطفُّ بجوار قامته إلا لتقول له: إنها وإننا نعلو به.

العبودي ذاكرةُ رحلةٍ وعنوانُ مرحلة.

العبودي ذاكرة بريدة والقصيم

د. عبدالعزيز الجار الله

لكل مدينة أو منطقة أو ناحية جغرافية وبيئية ذاكرة، والشيخ محمد بن ناصر العبودي هو ذاكرة بريدة ،وذاكرة القصيم ، هو سجلها التاريخي والجغرافي ، وهو بلداني بريدة ومدائني القصيم ،هو من قافلة البلدانيين العرب والعجم والرحالة المتشرقين الذين مروا على الجزيرة العربية في رحلات الحج والتجارة والاستكشاف.

ففي مساء السبت الماضي احتفل وزير الإعلام معالي د. عبدالعزيز خوجه والنادي الأدبي بتكريم الشيخ محمد العبودي لمنحة جائزة كتاب العام في دورتها الثالثة ٢٠١٠م، عن كتابه «معجم الأصول الفصيحة الألفاظ الدارجة». والشيخ العبودي الذي تجاوزت معاجمه وكتبه ورحلاته المكتوبة (٢٠٠) كتاب وعنوان ومازال يصدر الكتب ويؤلف ،أمده الله بالصحة والعافية وأبقاه الله لمحبيه وأهله وناسه ولمشاريعه،.

هذا الشيخ الجليل محمد العبودي كتب للقصيم ولناسها وجغرافيتها في معاجمه؛ المعجم الجغرافي ومعجم أسر بريدة والسلسلة التي في صدد إصدارها عائلات وأسر عنيزة وجنوب القصيم، والرس وغرب القصيم، وعيون الجواء وشمال القصيم، والأسياح وشرق القصيم، لكنه لم يكن

منغلقاً في فهم الحركة السكانية، لأنه يكتب تاريخ الناس الثقافي والاجتماعي، وحركة القبائل، والسجل السياسي، ويدون قصائدهم وهمومهم وأحزانهم وأفراحهم.

وكيف أن الشيخ العبودي أوجد لنا ممرات حضارية إذ تحرك الناس والعائلات في هجرات شبه منتظمة عبر مسالك حضارية منذ التاريخ الحديث في القرن العاشر الهجري، وقبل ذلك حركة السكان في عصور ما قبل التاريخ والعصر الكلاسيكي، وعصر الممالك العربية قبل الإسلام ،وفي عصر الإسلام الذي شهدت الجزيرة العربية هجرات متتابعة لشعوب وقبائل باتجاه شرق العالم الإسلامي وبلاد الرافدين وبلاد الشام وحوض النيل ،لكن الشيخ العبودي ركز فيما يسميه أهل التاريخ فترة الظلام التاريخي، إذ تغيب المدونات والكتب،وتتوقف أقدام البلدانيين عن السير باتجاه وسط الجزيرة العربية.

العبودي نبش الأرض والأوراق والوصايا والمديونيات والأشعار والمخطوطات ليكتب تاريخ القصيم وتاريخ الناس ممن استوطنوا بريدة وعنيزة والرس والمذنب والبكرية والبدائع والخبراء والنبهانية وعيون الجواء والأسياح وجميع بلاد القصيم، وكتب أسماء وعائلات وقبائل من جاؤوا إلى القصيم من خلال المعابر الحضارية، ومسالك الطرق والبيئات، فمن مسالك حركة السكان إلى بريدة وعنيزة والرس والقصيم في فترة الاستقرار

السياسي والحضاري الذي عاشته القصيم في القرن العاشر منذ بداية ظهور القرى النجدية المسورة، مرت حركة سكانية من سدير عبر نفوذ الثويرات،ونفود عريق البلدان ،ونتواءات وأودية المستوى.

ومن الوشم سلكت عبر منخفضات نفود السر وصعافيق ووادي الأدغم. ومن عفيف والدوادمي مرت عبر ممرات نفود العريق ووادي الجرير وجبال عسعس ووسط وجبلة وطخفة. ومن منطقة حائل عبر فرع وادي الرمة ووادي الشعبه والأطراف الشرقية لحرة خيبر وجبال الأبيض والأكليل وجبال رمان.

ومن المدينة المنورة من جبال العلم والتين ووادي الرقب والطرفاوي، ومن بادية الركن الشمالي الشرقي للمملكة عبر نفود الدهناء والمظهور ووادييي الباطن والإجردي .. فالعبودي مزج الناس بالجغرافيا وفتح معابر التواصل الحضاري.

العبودي كتب التاريخ الاجتماعي لبريدة

د. عبدالعزيز جار الله الجار الله

هناك شخصيات اعتبارية تثير ضجة علمية إيجابية لما تمتلكه من قدرة على العطاء والتغيير، ومن أولئك الشخصيات الشيخ محمد بن ناصر العبودي، الذي حفظ للقصيم جغرافية الأرض وتاريخ الناس في إصداره قبل ربع قرن أو أكثر كتابه: (بلاد القصيم المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية) ، إذ رصد الأرض: الحجر والرمل والهضاب والحافات والجبال والقرى والأرياف. ورصد تاريخ الناس الحضاري والسياسي: منازلهم وأوطانهم وحروبهم وغزواتهم وتحركاتهم وقبائلهم وأنسابهم وأصولهم البعيدة .

ففي إصداره المعجم الجغرافي أحدث الشيخ محمد العبودي هزة علمية إيجابية استثارت الباحثين للكتابة فالباحثون يتغذون عليه وينهلون منه لأن العبودي رصد القصيم وهي على (عروشها)، مياهها سائحة على الأرض، والقرويون في قراهم يبنون بيوت الطين ويعتاشون من الحرف اليدوية والتجارة الموسمية، وأهل الريف في أريافهم يحرثون الأرض ويستنبتون النخيل والأثل. والبادية في ترحال دائم تطارد السحاب والمياه وإخضرار الأرض وأعشاب الفياض والخباري، أما المدن فرصدها وهي لتوها متحللة من الطين والحجر، بيوتها متطامنة تكاد تلامس شفافية الناس، وأطوال قامة رجال

وشوارعها تضيق وتتسع وفقاً لوجاهة الأحياء والسكان، رصد القصيم قبل الثمانينات الهجرية، والناس في هجرهم وقراهم والهضاب والتلال والآبار كما هي لم تجرفها سنوات الطفرة العمرانية والاقتصادية، وفي العقد الأول من المئة الأولى من الألفية الميلادية الثالثة يحدث الشيخ العبودي ضجة علمية إيجابية عندما أصدر كتابه: (معجم أسر بريدة)، الذي جاء على ٢٣ ، مجلداً نشرته دار الثلوثية بالرياض، إذ رصد سجل وتاريخ معظم أسر بريدة، ليقدم للباحثين مادة علمية غنية في علوم: التاريخ والجغرافيا والاجتماع والسياسة والأدب، وفي دراسات معمقة في الانثروبولوجيا والاثواركيولوجيا وفي اللسانيات، عندما اتكأ على تراث كامل من المخطوطات والسجلات المكتوبة والروايات الشفوية، فقد كسر الشيخ محمد العبودي حاجزاً زمنياً، هو زمن حسين بن غنام، المتوفى عام ١٢٢٥هـ، وعثمان بن بشر، المتوفى عام ١٢٩٠هـ، وزمن إبراهيم بن عيسى، المتوفى عام ١٣٤٣هـ، وهي أهم الكتب التي تؤرخ لمملكتنا في التاريخ الحديث، بل إن العبودي ومن خلال الوثائق ربما عاد إلى ما قبل القرن العاشر، قبل أن تتشكل الجزيرة العربية، وتظهر الدولة السعودية الأولى في منتصف القرن الثاني عشر الهجري... وهنا أهمية ما يحمله معجم أسر بريدة؛ لأنه يعيد رسم التاريخ الاجتماعي والحضاري والثقافي لمنطقة كانت فيما مضى قلب الحدث السياسي والاجتماعي، ومحور صراع قوى محلية حضرية وقبلية وقوى دولية:

الدولة العثمانية والبريطانية والبرتغالية، وتتجاذبها التيارات السياسية والحضارية في العراق والشام.

معجم الشيخ العبودي سيكون نقطة تحول للبحث العلمي والاجتماعي والثقافي والاستيطاني في القصيم، لأنه أوجد ووفر مادة علمية جديدة لم يكشف عنها من قبل، وجمع شتاتاً تاريخياً كان متفرقاً لمجتمعات عاشت في الماضي، ومجتمعات مازالت تعيش في حاضر القصيم.

قبل أن نفقدهم.. الرحالة العبودي (أنموذجاً)

أ/ علي بن زيد القرون

صورة الرحالة المعروف الدكتور محمد بن ناصر العبودي، الذي يتميز دائماً بكتاباته وحديثه عن أدب الرحلات، وكان نشر صورته بسبب تعليقه وتعريفه بأحد الكتب الجغرافية عن السعودية، وعند مشاهدتي لصورته دعوت الله أن يرزقه العمر المديد لكي يمتعنا بالجواهر والدرر التي يقدمها، وإن كنت شعرت بالحسرة من عدم استفادتنا الكاملة مما يكتنزه الشيخ العبودي من علم ومعرفة، اكتسبهما من رحلاته ودراسته، فالشيخ له برنامج وحيد فقط في إذاعة القرآن الكريم، يتحدث فيه عن الدول التي زارها، وعن عاداتها وتقاليدها وطبيعة الشعوب التي تعيش فيها، وعن الجهود الدعوية التي قام بها وغيره من الأفراد والمنظمات الإسلامية، كما أن له الكثير من المؤلفات ومنها أربعة عشر كتاباً عن الهند فقط، وبعضها مكون من أجزاء عدة، ولكن السؤال هو: هل هذا كل ما عند الدكتور العبودي؟!

أجزم أنه لا يزال لديه الكثير والكثير، ولكن نحتاج إلى من يستطيع أن يستخرج منه هذه الكنوز والمعارف، فهو كالبحر الذي لا ينضب، وهو كذلك كالبحر الذي يحتاج إلى من يغوص فيه ويكشف أسراره وغموضه، فهو رحالة منذ سنوات شبابه الأولى إذ ذكر عن نفسه أنه قام

بـأول رحلـة خـارج المملكـة إلى القـارة الإفريقيـة، وكانـت في عـام ١٣٨٤هـ ومـدتها علـى وجـه الدقـة ثلاثـة أشـهر وسـبعة عشر يومـاً، وزار خلالهـا ثـلاث عشرة دولة إفريقية وكانت حصيلتها زيارة مئتي مدينة، وحسب ما ذكره أن الناس في ذلك الوقت لم يصدقوه ومن يومها صار يوثق أي رحلة يقوم بها من خلال التقاط صور للمكان الذي يزوره.

وهذه العزيمة وهذا الإصرار هو ما جعل الرحالة المشهور ابن بطوطة هو مثلـه الأعلـى، وإلا فالـسفر قطعـة مـن العـذاب خـصوصاً في الـزمن الماضـي ولكن الشيخ العبودي تعلق بالسفر والرحلات ونهل من كتب ابن بطوطة الشيء الكثير، فصار السفر بالنسبة له هدفاً لغاية نبيلة وليس مجرد متعة وتسلية، وهذا ما جعله كذلك يسير في ركب ابن بطوطة إلى أبعد حد إلا أنه اعترف أن هناك فرقاً بينه وبين ابن بطوطة يتمثل في أنه اكتفى بزوجة واحدة!! بعكس ابن بطوطة الذي كان رجلاً مزواجاً حتى قيل إنه كان يتزوج بفتاة في كل بلد يزورها ثم يفارقها عندما يرحل عن ذلك البلد، ولكن هذا الفارق لم يمنع الشيخ العبودي من قراءة جميع ما كتب ابن بطوطة ليظهر بالكثير من المعلومات القيمة ومنها معلومة طريفة ذكرها في أحد لقاءاته الصحافية، إذ ذكر أنه لم يجد في أي كتاب من كتب الرحلات القديمة من ذكر «الكليجا» الأكلة الشعبية المعروفة جداً في القصيم سوى ابن بطوطة الذي ذكرها في كتابه مرتين.

والشيخ العبودي الذي أمضى في السفر قرابة الخمسين سنة، وزار الكثير من البلدان كانت حصيلتها مؤلفات تزيد على سنوات عمره الثمانين، يحتاج إلى أن يتفرغ بصورة كاملة للتأليف، ويحتاج كذلك إلى جهة تتبنى استضافته بصورة دورية لكي يلقي محاضرات ويستقبل أسئلة الحاضرين الذين سيفتحون بأسئلتهم مجالات أوسع للحوار والنقاش ليس هو فقط ولكن كل الرموز الوطنية في شتى المجالات الذين نحن أحوج إلى توثيق حياتهم وتجاربهم وخبراتهم لكي نستفيد منها وتستفيد منها الأجيال المقبلة، أما الانشغال عن ذلك والتسويف فهو بلا أدنى شك سيولد الندم والحسرة حين لا يكون للشعور بهما أدنى فائدة، فهؤلاء الأشخاص يعيشون بيننا ويمكننا أن ننهل من علمهم ومعرفتهم ولكن غداً قد نفقدهم فماذا سيكون شعورنا؟

وإن سمحتم فلي تجربة في هذا المجال وعلى تواضعها إلا أنها في نظري تستحق الذكر إذ كان يسكن بجانبي في الحوطة رجل كبير في السن والقدر هو الشيخ سعود بن صالح العنيزان، عليه رحمة الله، وكان موسوعة متنقلة بكل معاني الكلمة، فهو راوية للأحداث والوقائع التاريخية، ويحمل أرشيفاً كاملاً من القصص والنوادر والألغاز، وبصدق كان حديثه لا يمل وكنت أحرص على مجالسته، وعندما انتقلت للعيش في الرياض كنت أشعر بأني فقدت بنكاً معلوماتياً من الصعوبة تعويضه،

فعزمت على تسجيل كل ما يقول في أشرطة كاسيت لكي أقوم بتفريغها بعد ذلك على الورق، ولكن كنت أتكاسل وأسوف، وقد غرني أنني كنت أراه في كامل صحته وعافيته، ولم أكن أدرك أن الموت يقترب منه رويداً رويداً إلا عندما اتصل ابنه سعد وأخبرني بأن والده قد توفي وكان ذلك قبل أكثر من ثماني سنوات، حينها شعرت بمقدار ما فقدت فأصبحت ألوم نفسي على تسويفها وتفريطها. لقد كنت أتمنى على الأقل أن أتصل على الأستاذ إبراهيم الصقعوب مقدم برنامج رجال في ذاكرتهم، الذي تبثه إذاعة الرياض، لكي يجري معه لقاء وكنت متأكداً أن الحلقة ستكون مميزة وتستحق المتابعة.

ولذا ليت إحدى الجهات تقوم بتخصيص جائزة باسم الدكتور العبودي وأمثاله من الأعلام بحيث يقوم المشاركون بإعداد بحوث مطولة عنهم وعن علمهم وجميع جوانب حياتهم العلمية والعملية، على أن تكون المعلومات من مصدرها الذي هو الشخصية نفسها، ويكرم الفائزون، على أن تقوم تلك الجهة بتنقيح تلك البحوث وجمعها وطبعها في كتاب سنوي، وبذلك ستكون مصادر المعلومات متعددة وتصب بعد ذلك في مصبٍ واحد، وقد تكون دارة الملك عبدالعزيز هي المرشحة للقيام بهذه المهمة، على أن تقوم الشركات الوطنية برعاية الجائزة وتقديم الجوائز وطبع الكتاب بحيث يكون شعارها أو علامتها التجارية على أوراق الكتاب.

محمد بن ناصر العبودي الرحالة الفذ

أ/ علي التمني

أحاول قدر الإمكان ألا يفوتني الاستماع إلى إذاعة القرآن الكريم ، لعظمة هذه الإذاعة ونقائها في عصر التلوث السمعي البصري ، وأحرص على الاستماع بل بالإصغاء إلى البرنامج الإذاعي – وأظن اسمه "المسلمون في العالم " الذي تذيعه إذاعة القرآن الكريم من المملكة العربية السعودية عن رحلات الشيخ محمد بن ناصر العبودي الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي والبرنامج عبارة عن لقاء يمتد إلى قريب من الساعة أسبوعياً ، مع فضيلة الشيخ الرحالة الداعية الأديب محمد بن ناصر العبودي ، ويتضمن اللقاء حديثاً تفصيلياً بصوت الشيخ الجذاب الآسر لنستمع وفيه يلحق بنا الشيخ في آفاق العلم والمعرفة من خلال سرده الجميل جداً لوقائع رحلاته إلى أكثر بلدان العالم من أقاصي أمريكا الجنوبية غرباً إلى أقاصي قارة آسيا شرقاً ، ومن أدغال أفريقيا إلى بلاد الاسكندنافية في شمال أوروبا ،بل وفي جزر المحيط الهندي الجنوبية والشرقية وسواها من أرض الله الفسيحة .

ويتمتع الشيخ العبودي ، وفقه الله وجزاه الله عن المسلمين خيراً ،بقدرة فائقة على سرد أدق تفاصيل المكان الذي يصفه حتى لكأنك تراه أمامك رأي العين ، وهذه الخاصية التي يتمتع بها الشيخ ، قل أن تجدها لدى غيره ممن عرفت من الرحالة قارئاً لهم أو مستمعاً ، وهو حين يقوم بشرح أدق

تفاصيل المكان الذي قام بزيارته -وقد تكون الزيارة لهذا المكان قبل سنوات وسنوات تفصلها عن وقت تسجيل اللقاء مع فضيلة الشيخ العبودي - فهو حين يقوم بشرح أدق التفاصيل لا تشعر بالملل ولا بالحشو أو التكرار في كلامه ، بل تشعر بالرغبة في المزيد من الوصف الدقيق وتشعر بأن كل كلمة يقولها ضرورية لاستكمال معمار المكان في مخيلتك ، وهذه الصفة التي يتمتع بها الشيخ تؤكد ما ذهبت إليه من وصف الشيخ بالأديب أنفاً ، ذلك لأن القدرة على الوصف الدقيق مع جمال العبارة والقدرة على الاستحواذ على ذهن ووجدان القارئ ، أو المستمع إلى النص من أبرز صفات الأديب الحق هي الصفة قل أن تجدها لدى الكثير من مدعي الأدب والمتطفلين على ساحته .

والشيخ العبودي لم يبدع ويتألق في وصف الأمكنة ، مدناً وأريافاً وطبيعة بكراً ، ومساجد وقصوراً ومنازل وفنادق تاريخية ، وقناطر وأسواقاً وغيرها ، بل برع وأبدع في وصف الشخصيات ونقل أدق دقائقها الشخصية من حيث الصورة والسلوك والحديث والأخلاق وغيرها ، كما أبدع في وصف المجتمعات الإسلامية في تلك الديار ، ونقل صورة عن مدى حبها للإسلام حتى لو تكن على شيء ذي بال من العلم به ، فهو يصف احتفاء المسلمين بوفد الرابطة أنى سار وارتحل وأنى حل وقدم ، كما يقدم للمستمع صورة عن مدى احترام وحب المسلمين من غير العرب لإخوانهم

العرب المسلمين ، وخصوصاً حين يعلمون أنهم قدموا من مهبط الوحي أرض الرسالة والنبوة على صاحبها الصلاة والسلام .

والشيخ العبودي مجتهد في فهم نفسيات المسلمين في البلدان التي زارها وفي استيعاب عاداتهم ، فهو من خلال حديثه يقدم صورة لعادات الشعوب وتقاليدها من المآكل والمشرب واللباس في المناسبات والأعياد ، كما أن الشيخ الرحالة لم يكتف بالمشاهدات والوصف بل كان على جانب من الفهم والاستيعاب للفقه السائد في تلك البلدان ، ومن ثم فهو يوضح المسائل العلمية التي قد تشكل على المستمع العادي ، أي غير المطلع على اختلاف الفقهاء في المسائل الخلافية ، كما أنه – وهذا من سعة علمه واطلاعه – يعرج في حديثه إذا دعت الحاجة إلى الحديث عن تاريخ البلد قبل دخول الإسلام إليه وبعد دخوله إليه ، متحدثاً عن أبرز الدورات السياسية والدول المتعاقبة على هذا البلد ، فعلى سبيل المثال عند حديثه عن الصين تحدث عن الحكم هناك منذ ما قبل دخول الإسلام إليها ، وتحدث عن الأسر التي حكمت هناك ، كما تحدث عن أبرز العواصم في الصين على مر التاريخ ، وهو إلى جانب كل ما تقدم ذكره على دراية باللغة الإنكليزية ، وأحسب أنه يجيدها إجادة طيبة ، ولكنه يأتي أحياناً بعبارات من اللغات المحلية كإتيانه ببعض العبارات من اللغة الصينية على صعوبتها وصعوبة الإلمام بها ، كما أنه – والشيء بالشيء يذكر – قوي الحفظ للأسماء الصينية على

تشابهها وصعوبة التمييز بينها من العربي الذي لم تألف أذناه هذه الأسماء ، ولأن الثقافة الصينية لم تجد بعد حضوراً في حياة المسلم العربي كغيرها من الثقافات .

هذا قليل من كثير كان يجب أن يكتب عن هذا الداعية الرحالة الأديب المؤرخ محمد بن ناصر العبودي ، الذي خدم بلا ريب الدعوة الإسلامية من خلال رحلاته المطبوعة في مجلدات ، وما أجدر كل مكتبة عامة باقتناء نسخة منها أو نسخ.

وهنا أقترح على وزارة المعارف العناية بهذه الرحلات ، وذلك بتزويد مكتبات جميع المدارس بنسخ منها لتفيد الطلاب وليكونوا على اطلاع على أحوال المسلمين في شتى أقطار المعمورة التي زارها الرحالة الشيخ ، خصوصاً أن هذه الرحلات تتميز بالموثوقية والدقة في الملاحظة مع الفهم والفقه .

كما أقترح على وزارة الإعلام ، ممثلة في إذاعة القرآن الكريم ، إتاحة أشرطة الرحلات المسجلة بصوت الشيخ للشراء من الجمهور لتعم الفائدة أو التعاقد مع إحدى وكالات الإعلام لتقوم بهذا الجهد ، الذي أحسب أنه سيعود على الجميع بالفائدة الكبيرة من جميع النواحي .

والله تعالى ولي التوفيق

في وداع الشيخ العبودي

أ/ محمد أحمد الحساني

كنت في أحد الأعوام على الطائرة السيرلانكية المتوجهة إلى جزر المالديف، برفقة معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي، ومعنا زميلنا في الرابطة الأخ على البويدي مدير إدارة التعاون، فأعطاني معاليه كتاباً سبق له إصداره عن رحلته السابقة إلى تلك الجزر الحالمة لأخذ فكرة عنها قبل الوصول إليها، وكان الغرض من الرحلة المشاركة في تقديم التهاني للرئيس المالديفي السابق مأمون عبدالقيوم، الذي فاز في حينه بولاية خامسة، وتلقت الرابطة دعوة للمشاركة في حفل التجديد له، فلما تصفحت الكتاب وجدت الشيخ العبودي نظم قصيدة في جزر المالديف مطلعها:

ملديف يا حلم الزمان الغافي
يادرة الغواص في الأصداف

فحضرتني القريحة وانشغلت بمعارضة قصيدة العبودي عن الطعام السيرلانكي الشهي الحار، وكان من بين ما نظمته من أبيات على الروي والوزن نفسه هذه الأبيات:

ملديف حقاً ذات ظل وارف
وجزائر مخضرة ولطاف
حسناء جللها جمال قارة

أبدتـــه للـــزوار لـــيس بخـــافي
تعبـت فارخـت للخـضم ذراعهـا
وتمـددت في ثـوب عطـر ضـافي

ثم وجهت أبياتي إلى الشعب المالديفي فقلت:

يـا أيهـا الـشعب الكـريم تحيـة
مـن أرض مكـة مـوطن الأحنـاف
الله أطعمنـــا وأمـــن خوفنـــا
نزلـــت بـــذلك ســـورة الإيـــلاف
واختارنـــا واختـــاركم مـــن أمـــة
حملت إلى الناس الكتاب الشافي

ثم ختمت القصيدة بالأبيات التالية:

ملـديف يـا جـزر الجمـال تحيـة
مزدانـــــة بمـــــودة وعفـــــاف
صـدق ابـن ناصـر إذ تغنـى مـرة
بكـدرة الغـواص في الأصـداف
ومضى فـألف عنك سفراً كـاملاً
في غايـــة الإبـــداع والإنـــصاف
وتـذكري الـشيخ العبـودي الـذي
حيـــاك يومـــاً بالـــشعور الـــدافي

تلك بعض الذكريات الجميلة التي كانت لي مع الشيخ العبودي، جالت في خاطري وأنا أودعه بعد أن ترجل عن صهوة منصبه كأمين عام مساعد للرابطة، الذي تقلده نحو ثلاثين عاماً، كان لنا فيه نعم الموجه والقائد والخبير والأستاذ القدير، وقد عرف معاليه بأنه جم الأدب، شديد التواضع، بسيط في تعامله، سهل في تناوله للأمور، وكنا نعده مرجعاً أساسياً في شؤون العالم الإسلامي ودول الأقليات التي ألف عنها نحو مائة وخمسين كتاباً من خلال رحلاته التي فاقت رحلات ابن بطوطة، بما سخر للشيخ في هذا العصر من وسائل مواصلات لم تكن متوفرة في عهد ابن بطوطة، وعندما يتحدث الشيخ العبودي عن الدول والأماكن التي زارها على مدى ستين عاماً من عمره الذي يناهز حالياً تسعين عاماً، فإن ذاكرته الحديدية - ما شاء الله تعالى - تمكنه من ذكر تفاصيل التفاصيل بدقة متناهية حتى لو كان بينه وبين ما يتذكره فارق زمني بعشرات السنوات. ولمعاليه مؤلفات عدة غير أدب الرحلات، بعضها يقع في مجلدات عدة نال عليها جوائز من الدولة وعلى مستوى الخليج، وكان الأمناء العامون للرابطة الذين عمل معهم، وأخص بالذكر الدكاترة عبدالله نصيف، وأحمد محمد علي، وعبدالله العبيد، يحفظون للشيخ مقامه وعلمه ومكانته، فكانوا يزورونه في مكتبه بالرابطة ولا يطلبون منه لقاءهم في مكاتبهم مع أنه الرجل الثاني من بعدهم، وإني إذ أودع شيخي وأستاذي العبودي بهذه الكلمات التي لن

أوفيه بها حقه أو جزءاً منه، أؤكد أن تاريخ الرجال في بلادنا سوف يسجل اسمه في المكان اللائق به وبعطائه، متمنياً لمعاليه حياة طيبة راضية مرضية.

ابن حميد في رؤية العبودي

أ/ محمد بن عبدالرزاق القشعمي

أكرمني الصديق المحامي الدكتور محمد بن عبدالله المشوح كعادته بهدية قيمة، قضيت معها إجازة عيد الأضحى المبارك ١٤٣٢هـ، وهي كتاب (العلامة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد)، وهذا من باب الوفاء من المؤلف معالي الشيخ محمد الناصر العبودي لشيخه عبدالله بن محمد بن حميد ـ رحمه الله ـ ووفاءً من «المشوح» لأستاذه العبودي منذ كان طالباً يافعاً بالمعهد العلمي في بريدة في منتصف السبعينات الهجرية.

تصفحت الكتاب كغيره، ولم أستطع الفكاك منه إلا بعد أن قرأته باستمتاع، بالرغم من حجمه الكبير، فهو في جزءين (٧٤٢) صفحة، إصدار دار الثلوثية ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م، قضيت أيام عطلة العيد الأولى بمسقط رأسي بالزلفي للسلام على الوالدة والأقارب وصحبته معي.. وكنت عندما أستغرق في تتبع ما سجله الشيخ العبودي من يوميات، وما يعدده من مزايا ومحاسن الشيخ ابن حميد، تعود بي الذكريات إلى أيام طفولتي، عندما كنت أصطحب والدي الكفيف لزيارة الشيخ ابن حميد ـ رحمهم الله ـ في منزله بحي (دخنة) في الزاوية الغربية الجنوبية في حدود عام ١٣٧٦هـ ـ ١٣٧٧هـ، إذ كان يزور الرياض بين فترة وأخرى قادماً من بريدة، أو عندما نقل منها وقبيل انتقاله للإشراف على شؤون المسجد الحرام بمكة المكرمة.

أذكر أنني صحبت والدي بعد عصر يوم لزيارة الشيخ ابن حميد، وكان جميع الموجودين وقتها من العميان، منهم: المشايخ مقبل العصيمي، ومحمد بن ردن، وصالح الأطرم، وعلي الرومي ووالدي ـ رحمهم الله جميعاً، ـ بقي في ذاكرتي من هذا اللقاء ممازحتهم لبعضهم البعض، وتباسطهم وحديثهم عن النساء ومحاسنهن ومزاياهن، وذكريات بعضهم بمن تزوجها وطلقها ليأخذها غيره من طلبة العلم.

لقد رأيت والدي يضحك بلا تحفظ للمرة الأولى، أما الانطباع الأولي للشيخ ابن حميد فهو وضع طرف (شماغه) على وجهه وفمه وهو يغمغم ويغالب الضحك بلا صوت. والموقف الثاني عندما قابلت الشيخ محمد السبيل قبل نحو خمسة عشر عاماً ،عندما كان مسؤولاً عن شؤون الحرمين الشريفين، وحكى لي عن لقائه بوالدي وبداية تعرفه، فقال: إنه كان في حدود عام ١٣٨٤هـ لدى الشيخ ابن حميد عندما كان مسؤولاً عن شؤون الحرم المكي، وكان هو أحد أئمة الحرم ويؤم المصلين في صلاة التراويح خلال شهر رمضان المبارك. فقال لي ابن حميد: هناك شخص يسأل عنك اسمه عبدالرزاق القشعمي، تجده في باب الزيادة وأعطاني أوصافه، يقول فذهبت إليه وإذا هو يتلو القرآن بين صلاتي الظهر والعصر، فجلست بجواره حتى أنهى جزءاً من قراءته فسلمت عليه وعرفته بنفسي، فأخذ يهز عصاه وهو ممسك بها ويقول: والله لولا عوذتي من إبليس لضربتك بها، يقولها وهو

يضحك من باب (الميانة) والتباسط، فقال: إنك قبل ليالٍ عدة قرأت الآية الفلانية بالصلاة بطريقة غير مناسبة، فقرأها فاستصوبت رأيه.. وهكذا أصبحت بيننا صحبة حتى وفاته ـ رحمه الله. أعود إلى كتاب شيخنا العبودي، وشيخه الفاضل عبدالله بن محمد بن حميد (المولود بمعكال بالرياض عام ١٣٢٩هـ، والمتوفى بالطائف يوم ٢٠ ـ ١١ ـ ١٤٠٢هـ، وصلي عليه ودفن بمكة المكرمة)، فبالرغم من وفاة والده وهو لم يتجاوز الثانية من عمره، وبالرغم من فقده لبصره مبكراً، إلا أن ذلك لم يكن عائقاً له عن طلب العلم، فقد طلب العلم على عدد من المشايخ، ذكر منهم محمد بن عبداللطيف، ومحمد بن إبراهيم، وسعد بن عتيق، والشيخ صالح بن عبدالعزيز، وحمد بن فارس وغيرهم.

عين قاضياً بالرياض عام ١٣٥٧هـ، وعمره ٢٨ سنة ثم قاضياً في سدير وقاعدتها المجمعة، ثم معلماً وقاضياً في بريدة، وفي عام ١٣٨٤هـ عين رئيساً للإشراف الديني بالحرم المكي الشريف، وفي عام ١٣٩٥هـ أكرمه الملك خالد برئاسة المجلس الأعلى للقضاء، وعضوية هيئة كبار العلماء ورئيساً لمجلس المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي.

أعود إلى «العبودي» ومصاحبته للشيخ منذ وصل بريدة عام ١٣٦٣هـ، ومرافقته له، وحضور حلقات الدرس، ومشاركته الرحلات الترويحية الخلوية، واستفادته من علمه وطريقة معاملته للآخرين بالحكمة والعقل

وعدم العنف في الكلام ونحوه.

سفره مع الشيخ إلى الرياض لمقابلة الملك عبدالعزيز عام ١٣٦٧هـ، وعمره لا يتجاوز ٢٢ سنة، ووصفه للقاء الملك، ثم لقاء الشيخ محمد بن إبراهيم، واهتمامه بالشيخ بن حميد وتكريمه له.

واستمتعت بوصفه للحالة الصحية، واكتظاظ المرضى، وعدم وجود طبيب سوى واحد يعاملهم بتعالٍ وكبرياء وزهو، فأخذ يسأل كل واحد ممن يشكو ولا ينتظر جوابه، بل يسأل الآخر فيكتب لهم ورقة صغيرة لصاحب الإبر ليشترك الثلاثة في حقنة واحدة ـ فكل واحد له ربع أو ثلث إبرة، وهكذا وليس لديه سوى حبوب دجنان أو الأسبرين.

نعود إلى الشيخ ابن حميد وحبه لسماع الأخبار المحلية والدولية، فكان يقرأ عليه الجرائد، وينقل له ما يسمعه في الراديو، الذي أخفاه في بيته؛ (لأن أكثر الناس يستنقص من يستمع إلى الراديو).

واللافت أن الشيخ عبدالله كان لطيف الطبع، ذواقاً للأدب؛ لذلك كانت تعجبه الكلمة البليغة الموجزة والنكتة العاقلة النظيفة.

وأعجب ببيت شعر روي له فأصبح يستعيده حتى حفظه وهو يكظم تبسمه لئلا يكون ضحكاً، وهو:

لو أن خفة عقله في رجله

سبق الغزال ولم تفته الأرنب

وكان من طبعه ألاَّ تذكر عنده النكتة أو النادرة التي تجلب الضحك

أو ما يقرب منه إلا إذا كان مجلسه خالياً من الأغراب، مقتصراً على واحد أو اثنين من الأحباب.

ويذكر أنه ارتاع عندما سمع أحد البدو في عفيف يطلب من السائق أن يذهب بالشايب إلى الظلال، وعندما عاد من يثق به سأله عما إذا كان في لحيته شيب، فأجابه: أحسن الله إليك شيء ما يذكر ما أدري أهي ثلاث أو أربع شعرات بيض!!

كما يذكر من نباهته أنه يعرف الناس بأصواتهم فقال عنه العبودي: «والغريب أنني لاحظت أنه يعرف أهل بريدة بأصواتهم أكثر مما أعرفهم أنا من رؤيتهم بوجوههم، وأنا من أهل بريدة الأصلاء، وهو من أهل الرياض..».

وكان في مجلسه من يتحدث عن مشاق السفر للحج في الماضي على الإبل، ثم على السيارات قبل تعبيد الطريق، ثم الطائرات المروحية فالنفاثة.. فسكت الجميع، فقال أحدهم: وأي شيء بعد هذا يا شيخ. فسكت الشيخ عبدالله بن حميد هنيهة ثم قال: ما بعد هذا إلا أن الإنسان يفكر أنه يريد أن يذهب إلى مكة المكرمة فإذا به يجد نفسه فيها. تذكرت هنا مقابلة أجرتها معه جريدة «القصيم» في عددها الأول منتصف عام ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م، وأنه لم يستنكر غزو الفضاء عندما سئل عن الصاروخ الذي وجهته روسيا إلى القمر، ولكون العبودي لم يشر إلى هذه المقابلة فيحسن بي أن أجتزئ منها ما يتعلق بالموضوع: (مقابلة مع الشيخ عبدالله بن حميد) في العدد الأول من جريدة

«القصيم» في جمادى الأولى في ١ ـ ٦ ـ ١٣٧٩هـ ديسمبر ١٩٥٩م، وبعد أن رحب بصدور الجريدة واعتبارها خطوة مباركة، وتمنى لها التقدم والنجاح، وأن يكون المسؤولون فيها من الطبقة الراقية في العلوم والأخلاق، وممن لهم ملكة واقتدار على توجيه النشر إلى أسمى المراتب، وممن عرفوا بالصبغة الجميلة ديناً وأدباً وخلقاً، ونقترح أيضاً على المسؤولين فيها أن يشجعوا كل مقال ديني أو اجتماعي أو بحث علمي... إلخ.

وعند سؤاله عن الصاروخ الذي وجهته روسيا إلى القمر حتى زعمت أنه استقر على سطحه.

قال فضيلته: «أما سؤالكم عن الصاروخ الروسي، فنقول إن هذا العصر الحديث قد بلغ الغاية في التقدم الصناعي ولم يحصل هذا في العصور السالفة في جميع أنواع الصناعات، ومهما بلغوا من التقدم فليس كل ما قالوا وزعموا يكون حقيقة، بل منه ما يكون حقيقة ومنه ما يكون على خلاف حقيقته، وإن كان له أصل ولهم من وراء ذلك مقاصد سياسية وغارات حربية في أوقات السلم وتخدير الأعصاب».

وبهذه المناسبة يحسن بي الإشارة والإشادة بزوجته الثانية (نورة بنت محمد الوهيبي) ـ رحمها الله ـ بكسر الواو والهاء ـ عكس ما ينطق به بالقصيم (الوهيبي) بضم الواو ـ فهي والدة معالي الشيخ صالح بن عبدالله ابن حميد، رئيس المجلس الأعلى للقضاء، التي كانت حافظة لكتاب الله،

وتقرأ على الشيخ عبدالله ـ زوجها ـ أمهات الكتب، قال عنها ابنها الشيخ صالح: «أما والدتي فكانت تجيد قراءة القرآن إجادة تامة، وتحفظه عن ظهر غيب، حتى أن والدي الشيخ عبدالله بن حميد ـ رحمه الله ـ يتعجب من حسن قراءتها؛ لأن المعهود أن النساء لا تكاد تحسن القراءة.

فقال لها: أين قرأتِ القرآن؟ فقالت: «أقرأنيه أخي عبدالعزيز» هذا في الوقت الذي كان تعليم النساء فيه ضعيفاً، بل السائد عدم تمكين النساء من التعليم.

ومما يلفت النظر أن شيخ نا العبودي يذكر بعض المواقف المستغربة في الوقت الحاضر وغير مألوفة وقتها، فهو يذكر أنه كان لديه في بريدة راديو يستمع فيه إلى الأخبار فإذا أراد السفر أخفاه بصندوق كبير مليء بالكتب.

وعندما رافق الشيخ ابن حميد إلى الحجاز لإنجاز بعض المعاملات المتأخرة في المحاكم الشرعية عام ١٣٧٢هـ، يذكر أنهم كانوا يذهبون إلى مزدلفة في نزهة مسائية حتى يتمكنوا من الاستماع إلى الأخبار بالراديو الموجود بالسيارة؛ لأن سماعه داخل مكة المكرمة مستهجن، وبالذات من طلبة العلم من أهل نجد، وهذا يذكرني بما سبق أن ذكره شيخنا عبدالكريم الجهيمان عندما كان يدرِّس في مدرسة تحضير البعثات والمعهد السعودي بمكة المكرمة في أواسط الخمسينات الهجرية أنه كان يسد أذنيه وهو يمر بالسوق المكتظ بالمقاهي والحوانيت حتى لا يسمع الراديو،

فقد يكون من بين ما يبثه أغانٍ أو موسيقى، كي لا يأثم.

ويذكر العبودي (ج٢ ـ ١١٦)، «قد كان أحد جيراننا يختلس في بعض الأحيان فرصة لا يظن فيها أن أحداً من أعضاء الهيئة يسمعه فيفتح الراديو خلسة؛ ليستمتع ببعض الألحان، ولكن لسوء حظه سمعه خلسة كذلك أحد أعضاء الهيئة فحضر بعد المغرب مع آخر من الهيئة وجلسوا في بيتنا مختفين بين جدرانه علهم يسمعون من صاحب ذلك البيت موسيقى أو غناء من الراديو فيعاقبونه على ذلك. ولكنهم لسوء حظهم ولحسن حظ صاحب البيت ذهب كل الوقت بين العشاءين ولم يظفروا ببغيتهم ولم يسمعوا الراديو تلفظ ببنت (محطة).

وهكذا لم تنجح الخطة ورجع الكمين إلى العرين مخفوض الجبين».

يقول العبودي: إنه حاول مع بعض المهتمين طلب فتح معهد علمي ببريدة، أسوةً بما تم فتحه بالرياض، حتى لا يتكبد أبناء بريدة السفر إلى الرياض للدراسة هناك، ولكنهم يخافون من معارضة طلبة العلم. «.. لأنهم ينظرون إلى المدارس والمعاهد على أنها الغول الذي سوف يتم بواسطته القضاء على الدين». وأن أعيان بريدة يوافقون لولا أحدهم «الذي يثق بأن طلبة العلم يتبعونه ويلينون في يده لاعتقادهم فيه الدين والغيرة عليه، فبعد أن كتبت الكتاب إلى فضيلة الشيخ على لسان جماعة من أهل بريدة فشل المشروع وعدنا لنبدأ من الألف» وانتظروا حتى وفاة هذا المعارض فتم ما أرادوا.

ولكن البعض يخاف إن افتتح المعهد أن «تدرس فيه بعض العلوم مثل: علم تقويم البلدان، الذي قد يتطرق فيه إلى كروية الأرض، وهو أمر لم يستسيغوه، ويعتقد بعضهم أنه مخالف لظاهر النص القرآني الذي يوحي بأن الأرض مسطحة؛ لأنها بسطت للناس كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾﴾ نوح: ١٩.

دُعِي الشيخ ابن حميد ومعه العبودي لحضور حفل أقامته المدرسة النموذجية في الطائف، برعاية الأمير عبدالله الفيصل وزير الداخلية والصحة «وقد كانت حفلة جميلة وأجمل ما فيها العرض الرياضي الرائع، الذي قام به طلبة المدرسة، وكذلك الألعاب السويدية، وهم بحق أول من قام بها من أهالي نجد، كما أن الجديد في الحفلة ذلك العرض الرائع من رسوم وتماثيل عملها الطلبة بأيديهم، ولم تستطع هيئة الأمر بالمعروف أن تمنع إقامة المعرض، أو عرضه لسبب واحد هو أن طلبة المدرسة النموذجية جلهم من أبناء كبار القوم».

أقول إنني استمتعت كثيراً وأنا أقرأ ما سطره شيخنا العبودي وفاءً لشيخه ابن حميد، فشكراً للمؤلف، وشكراً للناشر، وشكراً لكاتب المقدمة الشيخ صالح، وفي الختام لي بعض الملاحظات الشكلية التي لا تخل بالعمل وقيمته ومنها: عدم استمرار ترقيم الصفحات في الجزءين، بل ترك لكل جزء أرقامه الخاصة. وكذا بعض الأخطاء المطبعية التي لا يخلو منها

أي عمل، وقد بينتها بقائمة سأسلمها للناشر الدكتور المحامي محمد المشوح عله يتداركها في طبعات مقبلة.

هل لهذا الكتاب مثيل؟

الشيخ : إسماعيل بن سعد بن عتيق

الكتاب هو (معجم أسر بريدة) للعالم والرحالة والإداري المحنك الشيخ محمد بن ناصر العبودي، ثلاثة وعشرون مجلداً، أبدع في تصنيفه وأحكم أبوابه ونوافذه وزخرفه وأثاثه حتى صار صالحاً لمسرح الأفكار والاستقرار النفسي والاسترخاء الترفي لكل قارئ، ومرجعاً تاريخياً، ربط بين الحاضر والغابر، أذاب الفوارق العنصرية في الأنساب والأعراف والتقاليد وما يضاد الطبيعة البشرية السليمة، بل والشرع الحنيف والخلق الإسلامي، وجعل الميزان هو التفوق وما يبدعه الإنسان من علم وفكر وصناعة أدب ورواية حكمة شعراً ونثراً باللغة والعامية واللهجات المحلية، حضرية أو بدوية، لا أدري كيف أفسر هذه الطاقة التي ألمت بالتاريخ، ليس تاريخ الملوك وصناديد الجبابرة، وصنّاع التاريخ بالسيف والعدة، ولكنهم الصعاليك الذين لا يعبأ بهم أرباب الشرف والرئاسة، فهم عالم نسي لا يستحقون الذكر وليس لهم فخر، بل هم كما قال قوم شعيب لشعيب ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ ﴾ هود:٢٧، كتب الشيخ العبودي عن الباعة وأرباب الصناعة كالتجارة والحدادة ومن عاشوا في الفلاحة واستثمروا الأرض بالكد والنكد، حلق بأسلوبه المبدع وروحه المرحة بقلمه السيال فيما وراء القصيم إلى حيث يكون القصيمي في المشرق والمغرب،

أبرز طاقة الإنسان فيما يحسنه ويجيده من صناعة وحرفة وسياسة وكياسة فكان أهل القصيم ساسة الجمال وعاسفي الخيول، كما كانوا رجال ساسة، وقادة حرب، وأرباب طموح، لعل خليل الرواف أقدم سائح من أهل القصيم إلى نيويورك عام ١٩٣٥م، واستقر بها ١٥ عاماً مع زوجته الأمريكية التي اقتنصها من الشام وولدت له، ثم يعود إلى وطنه ليحفظ الود ويرعى مهد الطفولة في بلده ٢٣ مجلداً، بصور الوثائق والمكاتبات، مما يبرز صدق المؤلف وأمانة نقله وسعة مداركه وانشراح صدره لتجميع هذه القصاصات من الأوراق وقراءة مضمونها وتضمينها الكتاب، لا شك أن أهل القصيم أجمعوا على صدق وطنية المؤلف وحسن توجهه في الأداء والتعبير، وقدرته في الأداء وممارسة الأعمال الرسمية، لذا أمدوه بكل ما يريد من الوثائق والمعلومات.

ألمح المؤلف إلى إن الاختلاف الفكري مما ينمي المواهب ويغذي الأفكار، لذا كتب عن عبدالله القصيمي، أو الصعيدي، ٩٠ صفحة، سرد فيها أخباره وأحواله وكرر في غير موضع ذكر المدرستين المتناهضتين، مدرسة إبراهيم الجاسر، ومعه عبدالله بن عمرو، ومدرسة آل سليم والخلاف بينهما، وذكر نماذج من متصوفة أهل السنة والجماعة الذين لا يركبون السيارة، ولا يلبسون الحذاء، ولا يستعملون ما استجد من صناعة ؛ وكان المؤلف من مريدي هذه المدرسة في شبابه، إذ كان يقطع مع

شيخه الكيلومترات مشياً على الأقدام لزيارة الإخوان ومن هم على هذا المشرب من غير انتماء لطريقة صوفية، أو التسمي بها، ولا الاستدلال على ما يفعلونه سوى أن التقشف والزهد من دوافع الإيمان وعلامة القرب من الله.

أقول مرة أخرى هل لهذا الكتاب مثيل؟ لا أعرف، كما لا أعرف أن رحالة كتب ١٧٠ كتاباً عن رحلاته ومشاهداته، وأذاع ١٤٠ حلقة صوتية في إذاعة القرآن الكريم بالمملكة، أدارها الكاتب الدكتور محمد بن عبدالله المشوح كل يوم ثلاثاء من كل أسبوع، ولايزال وأمضى في الوظيفة ستين عاماً وهو بهذه الصفات والنعوت والأفعال، لا يحمل مؤهلاً جامعياً غير رتبة الشرف والشهادة له بالعلم واستحقاقه التكريم ومواصلة العمل الرسمي حتى تاريخه، متعه الله بالصحة وزاد في عمره في الإبداع والإنتاج.

كنت تلميذاً له عام ١٣٧٦هـ، وأسأت له مرتين، فاهداني حاشية الشيخ العنقري ثلاثة أجزاء على الروض المربع، فكان هذا مهر المحبة والاعتراف له بالفضل.

صحبته في غرب إفريقيا شهرين فكنا أخوين زميلين في العمل، لا أراه يطلب ما ليس له ولا يتعالى بشخصه على من هو دونه، ولا يقدم رأيه على رأي يخالف رأيه. كما كنا معاً في المجلس الاستشاري بالرئاسة العامة والبحوث العلمية والإفتاء برئاسة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، فكان هو المرجعية في الرأي والمشورة.

كتبت هذه الأسطر بعد قراءة كتاب «معجم أسر بريدة»، والحق أنه الموسوعة التاريخية لأسر من ذكر، أرجو المعذرة عمن بلغته هذه الكلمة عن التقصير وضعف التعبير والله يتولى الجميع بحفظه ورعايته.

الشيخ العلامة محمد بن ناصر العبودي

أ/ ناصر إبراهيم الهزاع

إن الحديث عن العلامة الشيخ محمد العبودي ليس حديثاً عابراً، وإنما هو من الشخصيات العامة التي أفنت عمرها في البحث والتأليف والترحال لأكثر من خمسين عاماً، والحديث عنه، أمد الله في عمره ونفعنا بعلمه، لا يمكن أن نعطيه حقه في هذه المقالة، بل يستحق البحث والاستفادة من تاريخه العلمي والشخصي في مؤلفاته الكثيرة، وأن تقف جامعاتنا ومراكز البحث عليها، ولعل ما أسعدنا هو تكريمه من أحد المنابر الثقافية ألا وهو النادي الأدبي بالرياض وبحضور نخبة من كبار المسؤولين والمفكرين، وعلى رأسهم أستاذنا الأديب د. عبدالعزيز خوجة وزير الثقافة والإعلام، وكثير من الجوائز والتكريم حظي بها شيخنا العلامة العبودي، وفي مقدمتها وسام الملك عبدالعزيز (طيب الله ثراه) من الدرجة الممتازة. والشيخ أمد الله في عمره تحدث عنه الأستاذ محمد المجذوب في كتابه (علماء ومفكرون عرفتهم) (الطبقة الرابعة)، إذ لازمه أكثر من عشرين عاماً في المدينة المنورة، ووجد فيه الرجل العالم الأديب، إذ بدأ التأليف في سن مبكرة، ويصف لنا الأستاذ المجذوب في كتابه أن رحلة الشيخ العلامة من مدينة بريدة إلى المدينة المنورة فتحت له أبواب البحث والاطلاع في جميع العلوم (وقفزة عالية وضعته في صميم العالم الإسلامي كله).

كما أن رحلاته الخارجية لم تثنه عن التأليف، بل هي جزء لا يتجزأ من بحثه وتأليفه، كما أن مجلسه مجلس عامر بالعلم والبحث والاطلاع، ودائماً يبحث ويسأل عن أي معلومة تتعلق ببحثه، أو في مؤلفاته، ويقوم بتدوينها، وهذا ليس من قلة الوثائق والمخطوطات والكتب القديمة التي تملأ مكتبته العامرة، التي هي مرجع لكل باحث ودارس، بل صدرت كثير من أمهات الكتب والمؤلفات منذ أكثر من ثلاثة عقود لمؤلفين آخرين معتمدة على تلك الوثائق والمخطوطات، وهذا كتابه (معجم أسر بريدة) في ٢٣ مجلداً أخذ منه الوقت والجهد الكثير والبحث والتدقيق في كل معلومة يدونها، ونجد في شخصيته رياحة العالم ونطق الأديب ببلاغته وحوار الفقيه في غزارة علمه، وهو رجل ينصت كثيراً ويسمع من الآخرين ويحترم آراءهم وفكرهم ويرد عليهم رد العالم لتلاميذه بكل حب وتقدير واحترام، وهذا مجلس العلماء الذي يجبرك الصمت عند الجلوس معهم بلا كلل ولا ملل.. حفظك الله يا شيخنا وأدام الله مجلسك وعمرك بالعلم بالبحث.

أفيـــاء كلمات تلاشت

د: عزيزة المانع

بين يدي كتاب صغير الحجم، طريف الموضوع، عنوانه (مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبدالعزيز)، والكتاب من تأليف الشيخ محمد بن ناصر العبودي، ومنشورات جمعية الثقافة والفنون (بدون تاريخ)، ولكن يمكن استنتاج تاريخ النشر من خلال العبارة المكتوبة على غلاف الكتاب، والتي تفيد أنه منشور بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة، أي عام ١٤١٩.

فكرة الكتاب تتضمن عرضاً لكثير من المفردات اللفظية التي كانت دارجة على ألسنة الناس في منطقة نجد قبل حكم الملك عبدالعزيز، ثم ما لبثت أن أخذت تتضاءل حتى تلاشت الآن من أفواه الناس. ويعلل المؤلف تلاشي تلك المفردات بأن حكم الملك عبدالعزيز قضى على مدلولاتها، فانقرضت حين لم يبق منها شيء تدل عليه.

وقد قسم الألفاظ المنقرضة إلى بضعة أقسام، وفق المدلولات المرتبطة بها والتي قضى عليها حكم الملك عبدالعزيز، وتمثلت في: السرقة والنهب وقطع الطريق، والغزو والقتال، والفقر وقلة الطعام، وانتشار الأوبئة. وفي كل قسم منها يسرد الألفاظ التي كانت تستخدم للدلالة عليه.

من النماذج التي يذكرها المؤلف عن الألفاظ المتلاشية، التي كانت ترد في مجال النهب والسلب، واختفت من ألسنة الناس بعد حكم الملك

عبدالعزيز الذي نجح في القضاء على تلك الظاهرة الإجرامية ونشر الأمن في البلاد، يورد كلمات مثل (الحنشولي) وهي صفة لمن يختلس الماشية أو يعتدي على الناس فينهب ما معهم حتى ثيابهم، ومثل (السلة) بفتح السين وتشديد اللام، وهي تعني سرقة المواشي خفية، وأكثر ما يراد بها سرقة البعير، إذ يقوم اللص بسل عقال البعير سريعاً وبدون صوت. ومثل (الكسب) وهي صفة تطلق على الإبل التي تؤخذ من العدو في السلم على طريق الانتهاب أو الاغتصاب أو السرقة، ولم يكن الناس يرون بأساً في ذلك «على اعتبار أن أعداءهم يتربصون بهم ليفعلوا بهم مثل ذلك الفعل».

وفي مجال الغزو والقتال يورد ألفاظاً مثل (النقا)، فحين يقال (عليكم مردود النقا) فذلك يعني: «استعدوا فإننا سوف نرد الحرب عليكم». ومثل (البوق) ويعني الغارة المفاجئة، هي عكس (النقا)، ومثل (اللقوة) ويقصد بها «الحرب التي تنزل بالقوم رغماً عنهم» ولا يمكنهم تلافيها.

وفي مجال الأوبئة، يذكر المؤلف ألفاظاً كانت ترد في وصف وباء الجدري مثل (جدري مرحرح) و(حشش الجدري) و(الخرش)، أو في وصف أمراض العين مثل (الحمص) و(الرمص) و(البثرة)، أو في وصف بعض الأمراض الجلدية مثل (الحزا) و(الأخت).

وفي مجال الجوع والفقر، ترد ألفاظ مثل (عظم الرجوعة) «وهو العظم الذي طبخ وأكل ما عليه من اللحم، ثم يعاد طبخه ثانية حتى يستخلص ما

قد يكون فيه من الدسم»، ومثل (المحزر) وهو قطع صغيرة من الشحم محفوظة في كرش خروف أو شاة، حتى إذا جاء فصل الشتاء الذي يقل فيه الدسم أخذ منه ليضاف إلى الطعام، ومثل (البخص) بفتح الباء والخاء، وهو أعصاب الرجلين واليدين من البعير.

والكتاب يعد مرجعاً في ما اندثر من ألفاظ عامية أو عادات شائعة ترتبط بطبيعة الحياة قبل حكم الملك عبدالعزيز، إلا أنه اقتصر على منطقة نجد وحدها، وهناك حاجة إلى كتب أخرى تتحدث عن بقية المناطق مثل الحجاز وعسير والشمال، فلا شك أن تلك المناطق هي أيضاً تأثرت بمثل ما تأثرت به نجد.

شيخ الرحالين المسلمين

معالي الشيخ محمد الناصر العبودي

أ/ إبراهيم بن عبدالعزيز المعارك

التكريم الذي لقيه معالي الشيخ محمد الناصر العبودي، ضمن فعاليات مهرجان «الجنادرية» التاسع عشر للعام ١٤٢٤هـ، أمر يشكر عليه ولاة الأمر، وتكريم جدير به، وهو جزء مما يستحقه الشيخ العبودي لقاء ما قدمه لدينه ووطنه وللمسلمين عامة في أقطار الأرض كافة، فقد عرف بصفات كريمة أهمها:

الجدية وحسن الخلق وبذل العلم، لقد بدأ مسيرة حياته العلمية والعملية قيماً لمكتبة بريدة، ثم مدرساً بالمدرسة الفيصلية ببريدة عام ١٣٦٣هـ، ومن ثم مديراً لمدرسة «المنصورية».

في عام ١٣٧٠هـ تم افتتاح المعهد العلمي بالرياض، وكانت نواة التعليم الشرعي النظامي للدراسات الجامعية والدراسات العليا، وعليه افتتح ثاني معهد علمي بمدينة بريدة، وكلف بإدارته الشيخ العبودي، وقد بدأت هذه الخطوة المباركة تحت رئاسة وتوجيه فضيلة الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ - رحمه الله - المفتي الأكبر في المملكة العربية السعودية ورئيس القضاة.

تم اختيار معالي الشيخ محمد الناصر العبودي عام ١٣٨٠هـ مديراً للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وكانت أيضاً بإشراف فضيلة العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ - رحمه الله - وقد بدأت الجامعة بتدريس بعض الطلبة الذين يدرسون في كليات الرياض وعدد من الطلبة من المدينة المنورة، وخصص منح دراسية لسبعة وثلاثين بلداً استفاد منها مجموعة كبيرة من المسلمين.

وفي عام ١٣٩٤هـ أسست الهيئة العليا للدعوة الإسلامية وعُنيت بوضع الاستراتيجيات للعمل الإسلامي برئاسة صاحب السمو الملكي نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود، رحمه الله، وعُهد إلى معالي الشيخ محمد الناصر العبودي ليعمل أميناً عاماً فيها.

رابطة العالم الإسلامي:

أسست رابطة العالم الإسلامي ١٣٨١هـ وتضم أكثر من أربعين إدارة رئيسة وفرعية، وبلغ إنفاق الرابطة في سنواتها الماضية أكثر من سبعمائة مليون دولار في دعم المؤسسات الإسلامية، ومساعدة المسلمين في ميدان الثقافة الإسلامية، وأسهمت في إنشاء آلاف المساجد في العالم، وامتد نشاطها إلى مختلف أنحاء المعمورة.

وقد صدر الأمر السامي برقياً من الملك فهد بن عبدالعزيز - أيده الله

وحفظه ـ عن طريق صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز في ٩ رمضان ١٤٠٣هـ، بأن يشغل معالي الشيخ محمد الناصر العبودي وظيفة الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي، وكان ذلك سبباً رئيساً لتعدد وشمول رحلاته إلى أنحاء العالم، فزار جل دول العالم، تميزت رحلاته بالعمل الإسلامي الجاد وبالدعوة والإرشاد والتوجيه.

الدعوة الإسلامية:

عرف عنه أنه كان داعياً إلى الله، جوالاً في أنحاء المعمورة، من أجل خدمة الإسلام ومتابعة شؤون المسلمين، ويندر أن يذكر موقع أو مسجد أو جمعية إسلامية في العالم لم يزرها العبودي، أو لم يتواصل مع المسؤولين والقائمين عليها.

منهج العبودي وأسلوبه:

أما منهجيته في الدعوة فهو المنهج الموصوف بالوسطية والاعتدال، وهذا ما كان عليه سلف الأمة، أما أسلوبه فهو الأسلوب الرشد النافع، متمسكاً بقول الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾النحل: ١٢٥.

مؤلفاته:

زوّد المكتبة العربية والإسلامية بمائة وأربعة كتب في موضوع الرحلات، ولديه أكثر من ستين كتاباً تنتظر الطبع، وكذلك ما يزيد على ثلاثين كتاباً في الدعوة واللغة والأدب والتاريخ والاجتماع والتربية،

بعضها في مجلدات عدة موجودة في معظم المكتبات، عكست هذه الكتب شخصية الداعي المربي والأديب والمفكر والرحالة والمؤرخ.

آفاق المستقبل:

كرّمت الدولة والأمة هذا العالم والرحالة والمؤرخ الجليل، وإن من حقه الآن هو:

- طباعة الكتب التي تنتظر الطبع لدى معاليه، وهي أكثر من ستين كتاباً.
- نشر وتوزيع كتبه في الرحلات والأدب والدين من سفارات المملكة العربية السعودية، والجهات الأخرى ذات العلاقة، لإبراز أحد الأعلام في المملكة العربية السعودية، ولتعم الفائدة للجميع.
- إقامة منتديات ثقافية وأدبية ومحاضرات بالجامعات والمعاهد العليا لمعاليه بمعدل يوم أو يومين في كل جامعة من جامعات المملكة.

أسأل الله أن يجزي أولي الأمر كل خير لتكريم هذا العلم، وبارك الله في جهود المخلصين من أبناء هذا الوطن، وأبناء الأمتين العربية والإسلامية، وإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

الشيخ العبودي وجمال التواضع

أ/ عطا الله الرشيدي

في الواقع أن ما من رجل زاد على غيره تواضعاً إلا زاده ذلك فضلاً عليه، فالشيخ الفاضل محمد ناصر العبودي عالم متشعب المواهب في مختلف العلوم الشرعية، والاجتماعية، واللغوية، والجغرافية وغيرها، فالكتب التي قام هذا الشيخ الجليل بتأليفها في مختلف العلوم المفيدة تشهد له بسعة العلم وتوقد الفكر على حد سواء. والفرق الكبير بين عالم أشد تطلعاً إلى من يلفت نظره إلى الأخطاء التي قد تقع منه، إما بفرط من الجهل بالشيء، وإما بالرواية المغرضة، فيبادر إلى تصحيح مثل هذه الأخطاء إن وجدت مع جمال التواضع، وآخر تأخذه العزة بالإثم فلا يقع عنده مثل هذا التنويه إلى أخطائه موقع القبول، فاتساع آفاق المعرفة هو المعيار للفرق بينهما: فالأول: نهل من العلم قارئاً فباحثاً فكاتباً ثم محققاً حتى وصل إلى حقيقة أن العالم كلما ازداد علماً أدرك أنه بحاجة إلى المزيد من المعرفة بالشيء، فيما الثاني: أقحم نفسه في عالم الأدب من دون أن يملك من الأدوات العلمية ما تؤهله عقلياً إلى أن يكون واحداً ممن لهم زيادة في الفضل على غيرهم بنمو الفكر واتساع آفاقه في هذا الجانب من العلم.

ولا شك في أن الشيخ العبودي كان بحق واحداً بارزاً من الصنف الأول عن جدارة، علماً وخلقاً كريماً. ولا أقول ذلك من قبيل الملق لمآرب في

النفس، وإنما أقول ذلك متوكئاً على أقوال من احتكوا به بعد أن ساءهم ما كتبه عنهم، وكان إلى تصحيح الخطأ وتصويب الصواب أسرع من تناقش معه في الحديث فيه، وقد قال لي واحد منهم: إنه كان متهيباً منه قبل مقابلته، وقد خرج من عنده وهو يشعر بأن هذا الشيخ أقرب الناس إليه وداً أو محبة.

فشخصية الشيخ العبودي تتمتع بثقافة متعددة المواهب والإبداع، ولذلك فهي جديرة بالتكريم والتبجيل، فما تكريم الدولة، أيدها الله، له إلا تكريماً للكلمة الصادقة إذا أحسن استخدامها، فهي كقبس النار إن أحسن القابس استخدامه انتفع منه وأهله، وإن أساء أحرقه وأهل بيته معاً. فالحديث عن هذه الشخصية اللامعة في عالم الآداب والإبداع لا تتسع لها الصفحات وتعجز عن متابعتها الأقلام. ولذلك فأنا أول من يعترف بعجزه عن الإلمام والإحاطة بكل جوانب الحياة العلمية والإنسانية فيها، ومع هذا أستطيع، وباختصار شديد، القول إنها قد تميزت بثلاث مميزات هي:

١ ـ الشيخ العبودي (العالم اللغوي)

كل من يطالع ما كتبه في مقدمة كتابة: (معجم بلاد القصيم) عن لغة سكانه و(الأمثال) و(الكناية والمجاز في لغتنا الدارجة) يدرك أن الرجل كان متبحراً في هذا الجانب من العلم، وهو ما مكنه من إرجاع الظواهر اللغوية في لغتنا العامية إلى أصولها اللغوية الفصيحة، وكان في ذلك مدرسة لمن بعده.

٢ ـ الشيخ العبودي (العالم النسّابة)

لا شيء يثير الحزازات في النفوس أكثر مما يثيره الحديث في الخوض بالأنساب على غير دليل من العلم، وحقاً قال أحد الباحثين في علم النسب: «.... والحديث عن أنساب القبائل العربية المعاصرة تتكابده النفس ويتجشمه النسابون ولا يقوى منهم عليه إلا الناهض الرجيل الضليع دون الضالع...»، وقليل هم الضالعون من أرباب العلم في هذا الباب وغيرهم كثر من الضالين والمضللين في هذا السبيل، ولتبحر الشيخ محمد بن ناصر العبودي في هذا الموضوع نأى بنفسه عن الخوض في هذا الشأن ما لم يقم دليل صحيح عليه من النقل أو العقل، فلنأخذ ما قاله عن جماعة من جماعات مجتمعنا الكريم وما قاله الآخرون فيها مثلاً على عبقرية هذا العالم الفطن في هذا العلم، الذي يبحث ـ كما يقول ابن خلدون: في تناسل القبائل والبطون من الشعوب، وتسلسل الأبناء من الآباء والجدود، وتفرع الغصون من الأصول في الشجرة البشرية.

فقد اتخذ البعض من اسم هذه الجماعة دليلاً على أنهم من بقايا الصليبيين الذي تم تشتيتهم على يد دولة الأيوبيين. وكان أول من وهم وأهم من بعده بهذا الرأي الذي لا تؤازره حجة نقلية ولا عقلية هو سليمان أفندي البستاني في عهد العثمانيين. وقد درس شيخنا العبودي فئة من هذه الجماعة ،فتبين له أنها تشترك في المنازل والعادات والتقاليد والأحوال الاجتماعية مع قبيلة بني محارب القديمة العهد، وهو ما يدعوه إلى الاعتقاد بأنهم من بقايا

هذه القبيلة الغابرة، وهذا رأي لا يتعارض مع المعطيات التاريخية مع واقع الحال. فلو لم يكن للعبودي في هذا المجال باع سوى ما اعتمده علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر، يرحمه الله، في تصنيفه كتاب: (جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد) على مسودة كتابه الذي لم يرَ النور بعد لكفاه شرفاً في تبوّء المنزلة العالية في علم النسب.

٣ ـ الشيخ العبودي (العالم الجغرافي)

وللشيخ العبودي في الجغرافيا باع يعلو على من يطاوله في هذا الحقل من المعرفة، فهو رحالة جوّاب، لا يعرف الكلّ ولا الملل في استكشاف معالم البلدان ومجاهل البقاع في الأرض. فقد طاف قارات المعمورة وجال في ربوعها مفيداً ومستفيداً، فكان من حصيلة هذا الجهد الشاق أن أثرى المكتبة السعودية خصوصاً والعربية عموماً بالعدد الكبير من الكتب المميزة والنفيسة عن مشاهداته وانطباعاته في مختلف بلدان العالم، ولعل أهم أثر للشيخ العبودي في ذلك هو: (معجم بلاد القصيم)، هذا المعجم الذي يتكون من ستة أجزاء يُعد موسوعة علمية في مختلف العلوم الأدبية والتاريخية والجغرافية، وبه علا نجمه بالسماء، وشاع ذكره بين الناس.

أجيال تنويرية من القرن الماضي

أ/ خالد بن عبدالله المشوح

الوسطية كانت موجودة في كل زمان ومكان، لكن يبدو أن طغيان الجوانب المتشددة أبرز ذلك الشق المتشدد وأهمل الآخر منه.

في كل زمان كان ثمة رجال وعلماء يوصفون بالتسامح والانفتاح من دون الخروج عن مسار الركب بل برفق ولين، وإذا كان الشائع عن مدينة بريدة، تلك المدينة التي ما إن يأتي التشدد إلا وتذكر، فإن ثمة وجهاً آخر ينم عن تسامح سبق زمنه وانفتاح جاوز الآخرين.

فهل يتصور أحد أن من المشايخ والعلماء في عام ١٣٨٣ والمحسوبين على المدرسة النجدية (الحنبلية) المحافظة ومن أبناء بريدة من يحمل على كتفه (كاميرا) في وقت كانت من المحرمات القطعية لدى الكثير، بل ويحتفظ بأرشيف ضخم كمحترف للتصوير وليس هاوياً له، ومنذ تلك الحقبة إلى اليوم، وعلى فترة زمنية قاربت النصف قرن، بات يملك خلالها ما يربو على أكثر من عشرة آلاف صورة متنوعة؟ ذلك هو الشيخ محمد العبودي مدير معهد بريدة العلمي ومكتبتها العامة.

لقد ذهلت وأنا أستمع إلى حقائق، وأنا ابن بريدة، إلا أنها غابت عني، علمت بعدها أن هناك جيلاً تنويرياً منفتحاً منذ الستينات كان يستمع إلى الراديو ولديهم اشتراك في مجلات لبنانية ومصرية منذ عام ١٣٦٣ كمجلة الأديب والقافلة والشبان تأتيهم إلى بريدة، بل وكان يشارك مع أقرانه في الـ

«بي بي سي» اللندنية عبر مقالات باسم مستعار هو محمد الناصر!

ذلكم محمد بن ناصر العبودي، العالم الرحالة، الأديب ويصحبه رفقة لا تقل عنه ولعاً بالعلم والمعرفة والدراية والأدب، وهم محمد بن عودة السعوي الرئيس العام لتعليم البنات سابقاً، والشيخ علي الحصين، والشيخ عبدالعزيز المسند، جيل خرج من تلك الواحة الموصوفة بالتشدد دوماً ليبرهن على أنه ليس هناك صورة مكتملة عن هذه المدينة.

وهذا يقودنا إلى القول إن هناك أصواتاً عالية، وليست قوية ولا أكثرية، تشكل الانطباع الديني والثقافي للبلد الذي تنطلق منه، ففي يوم بالغ الكثير في نظرته السوداوية، حتى بدأ الإنسان يخال نفسه أحد أقطاب ذلك التشدد الذي يُنفر منه دائماً.

سألت نفسي: كيف كان لأولئك الأشخاص موضع قدم وشقوا طريقهم ووصلوا إلى ما وصلوا إليه إذا كان التشدد هو السمة العامة؟! لاسيما أن من ذكرت كانوا طلبة علم ملازمين لمشايخ نجديين ملتصقين بهم، ومع ذلك كان التصوير احترافاً لأحدهم، والآخر كان الإعلام شغفه، حتى بدا أول شيخ سعودي يظهر على الشاشة في ذلك الوقت.

يبدو أن هناك صوراً خفية هي الأقدر على رسم الانطباع الحقيقي عن تلك المدينة ينبغي سبرها والبحث فيها لنخلق نموذجاً من التسامح والوسطية والاعتدال بعيداً من تراكمات معرفية ليست بالضرورة هي الأقدر على

وصف الحقيقة.

ومن المفارقات أن العبودي هو الوحيد الذي زار البلاد الشيوعية يوم أن كانت موصدة في وجوه معتدلي العالم الإسلامي من شرقه إلى غربه، ناهيك عن أنه طاف كل الدول المنطوية تحت الأمم المتحدة، من دون أن يُوصف يوماً بالتشدد والتطرف.

سلمت عيناك يا أبي

د: فاطمة بنت محمد العبودي

عندما طالعت اللقاء الذي أجري في هذه الصحيفة قبل أسبوعين مع والدي، أمد الله في عمره، لمزيد من العمل الصالح، لم يشدني ما كتب فيه بقدر ما شدتني الصورة الكبيرة لوالدي في وسط الصفحة، في النسخة الورقية للصحيفة، وعلى الرغم من أن الكثير ممن قرأ المقابلة أثنى على ما فيها، لكن تأثري ليس بما كتب، على جودته، إنما الإرهاق الذي بدا واضحاً في عيني والدي، وكنت ألحظ احمرار عينيه على الطبيعة، لكن الصورة المكبرة أظهرت أثر القراءة المستمرة لساعات متواصلة، على عينيه.

استنفدت القراءة والتأليف جزءاً كبيراً من حياة والدي، وهذا أمر عرفناه نحن أولاده وعرفه غيرنا، فعلى الرغم من ممارسة عمله المعتاد وأسفاره المتواصلة في خدمة الدعوة الإسلامية، إلا أن القراءة والتأليف متعته لا يفارقانه أو هو لا يفارقهما، وقد اعتادت عيناه على العمل باستمرار ولم ألحظ الاحتجاج عليهما قبل اليوم، ذلك أنه اعتاد على عدم السهر، كما أن حاجته للنوم قليلة، وغذاءه صحي، وهي عوامل مساعدة على صحة العينين.

تذكر والدتي شغفه بالقراءة والتدوين من بداية زواجهما، وكيف كانت تصنع له الشاي بعد صلاة العشاء وتحضره له وهو يكتب على ضوء

السراج في سطح منزلهم الطيني في بريدة قبل الكهرباء، ويبرد الشاي وهو منشغل عنه فتنزل لتسخينه في الظلام مرات عدة.

وكيف يكون نائماً في فراشه، أو يستعد للنوم، فيذكر أمراً متعلقاً بتأليفه فيقفز من فراشه لتدوينه، ولا ينتظر حتى الصباح، فوالدي، حفظه الله، عالي الهمة لا يثنيه كسل ولا انشغال عن القراءة والكتابة، أو إنجاز أمر من أموره.

وقد يعتقد البعض أن شغفه بالقراءة والتأليف شغله عن بقية أمور حياته لكن الواقع خلاف ذلك، فهو متابع لأمور أولاده وأحفاده، ومواظب على استماع الأخبار، ويقرأ صحفاً يومية محددة، ويمارس هواياته، يساعده في ذلك التنظيم والتخطيط والاستثمار الأمثل للوقت، ولا شك أن وجود والدتي، حفظها الله ، في حياته من العوامل المساعدة في نجاحه وغزارة إنتاجه.

وعوداً على عيني والدي والإرهاق الذي آلمني في الصورة، فإن سببه تواصل عمله على إنجاز معجم أسر بريدة، وهو مؤلف ضخم من ٢٣ مجلداً، وصل في تأليفه ومراجعة طباعته إلى مراحله الأخيرة، وقد عمل به لسنوات عدة يجمع المعلومات والوثائق من الكتب، ومن مقابلة كبار السن في رحلات ميدانية إلى بريدة، وقد خشي والدي على ضياع المعلومات لوفاة الكثيرين ممن خبروا أسر بريدة وأحوالها، فحرص على متابعة العمل لإنجاز هذا المعجم وتوثيق جميع ما له صلة بأسر بريدة، وقد كان في البداية

معجماً لأسر القصيم، لكن ما توفر له من معلومات جعله يفصل معجم أسر بريدة، وفي نيته أن يكمل بقية المعاجم. وقد أجابني حين سألته عما إذا كان يشعر بما نشعر به من سرعة مرور الوقت، وعدم قدرتنا على إنجاز ما نريد، بقصةٍ لا يتسع المجال لذكرها، مفادها بأن في الوقت بركة والمهم كيفية استثمارنا له.

تكريم الشيخ العبودي

المهندس : عبدالعزيز بن محمد السحيباني

كتب الأستاذ الأديب محمد بن عبدالله الحمدان (صاحب مكتبة قيس) في مواضيع متعددة ، تحت عنوان (أكثر من موضوع) في العدد ١٠٨٧٢ فقرة بعنوان (تكريم الشيخ العبودي).. وكعادة الأستاذ الحمدان جاءت كل فقراته.. كالفواكه المشكلة.. التي تجمع كل ذوق وكل اختيار وكل صنف.. وكانت فقرته تلك إحدى هذه الفواكه ، فقال: «دعا بعض الزملاء إلى تكريم الشيخ محمد بن ناصر العبودي، وعلى رأسهم أخي حمد القاضي ، وآخر نسيت اسمه.. وربما غيرهما وإني أضم صوتي لأصوات هؤلاء ،وأرى أن هذا العلامة العالم المحقق يستحق كل التكريم.. وإنني أؤيد الأستاذ الحمدان ،وقبله «أبي بدر» في هذه الدعوة الكريمة التي تدل على الوفاء لتكريم عالم علامة ، بذل جهوداً كبيرة في التأليف وتسجيل التراث.. ويكفي (معجم بلاد القصيم) ،هذا السفر الضخم الذي جاء في ستة مجلدات ليكون شاهداً على جهد كبير يستحق عليه هذا العالم أكثر من شهادة دكتوراه، ويمكن أن نسميه (معالي الدكاترة محمد بن ناصر العبودي). هذا المعجم الفريد من نوعه يعتبر هو المرجع الوحيد تقريباً في المعاجم عن بلاد القصيم.. فهو ثري بالمعلومات التاريخية والأدبية عن كل معالم القصيم وأوديتها وقراها ومدنها.. وجمع معاليه كل الأشعار التي قيلت

في كل مكان من هذه المنطقة ، التي هي مسرح من أشهر مسارح العرب القديمة ومرابعهم.. إذ إنها طيبة المرعى عذبة الماء والأجواء ومن أشهر معالمها التي سار ذكرها مسير الشمس (رامة).. و(طخفة) و(جبل قطن) و(زرود) و(العرين) وطريق الحاج البصري ووادي الرمَّة.. وكل من يريد أي معلومات عن أي موقع من هذه المواقع وغيرها بالآلاف يجد بغيته في سفر العبودي الضخم .. لقد حق لهذا العالم المتمكن أن تكرمه منطقة القصيم.. وأن يُحفَر اسمه على جبالها ، وأن يُكتَب على رمالها ، فقد أفاد وأجاد وجمع كل شاردة وواردة في معجمه هذا عن هذه المنطقة ، إضافة إلى كتبه الأخرى ومنها "مأثورات شعبية".

إن دعوة الأستاذ الحمدان وتأييده لتكريم العبودي جاءت في وقتها ، وقد جاءت دعوة «أبي بدر» إلى تكريم معالي الشيخ محمد العبودي في مكانها.. وأصابت هدفها ، فالتكريم يعني أن نقول للمحسن أحسنت وجزاك الله خيراً على صنيعك ، والعبودي اشتهر بأدب الرحلات ذلك النوع اللذيذ من الأدب الذي هو كالفستق المقشر كله لذيذ.

ولا تجد في هضمه أي صعوبة ، فكذلك هذا الأدب الذي يطير بك على أوراق مجنحة لتجوب أقاصي الأرض ، وتصل إلى كل صقع ، وكأنك تشاهد فيه الأدب والشعر والوصف.. والتاريخ والجغرافيا ، وما رحلة ابن بطوطة منا ببعيد.

فهي تصف شيئاً حصل في عصور ماضية وكأننا نشاهدها على «الرائي» ، أو كأننا نشهادها بصور ملونة ، يصف الأرض والبشر واللباس والطعام والعادات والتقاليد والركوب ووسائل المواصلات والرياح ، وكل أحوال المناخ في رحلة شرقت وغربت وبلغت أقاصي الأرض على المراكب والابل في رحلات تتم الآن على ظهور (الطائرات).

لا يقرأ أحد رحلات ابن بطوطة إلا ويكملها إلى آخرها فكأنه يرى صورا تصف الماضي البعيد ، وكأنا أمام عينيه بأسلوب قصص سردي.

وفي زماننا الحاضر هناك رحالة هو أقرب إلى الشبه بابن بطوطة إنه ابن (بطوطة عصرنا) وهو معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي الذي يشغل حاليا منصب الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي ، وقد قام برحلات كثيرة جداً شملت عشرات البلدان في أقاصي الكرة الأرضية وفي مشارقها ومغاربها ، وهو يتفقد أحوال المسلمين ويطمئن على الأقليات المسلمة.

إن كتب الشيخ العبودي المطبوعة في الرحلات شملت عشرات الكتب التي تتحدث عن البلدان الإسلامية التي زارها ، وعن تفاصيل رحلاته تلك ، ومن أول الكتب التي طبعت لمعاليه كتاب (في افريقية الخضراء) وقد طبعه النادي الأدبي بالرياض.. ثم توالت هذه الكتب التي منها «على قمم جبال الانديز» ، «تائه في تاهيتي» ، «جزر المالديف» ، «في جزر الهند وسورينام» ،

«الرحلة الروسية»، «حديث قيرغيرستان»، «في شرق الهند»، «في شرق البرازيل»، «في جنوب البرازيل»، «زيارة رسمية لتايوان»، «اقليما سمارا واستراخان» وغيرها الكثير والكثير (حوالي ٤٠ كتاباً) .

ويبدأ الأستاذ العبودي كل كتبه بحديث عن البلاد التي زارها ، أي إعطاء نبذة شاملة عنها من حيث الموقع مع إرفاق خارطة ، لها وعدد سكانها ،ونسبة المسلمين وأحوالهم، ثم يبدأ فصل المشاهدات اليومية بتسجيل دقيق وتفصيل شامل. ويعجبني الأسلوب المبسط للشيخ العبودي في السرد بعيداً من التقييدات الروتينية ، فهو يتحدث عن كل ما يقابله في يومه ويتحدث عن كل يوم على حدة ، بدءاً من الاستيقاظ من النوم ، ومروراً بالفطور والغداء والعشاء والجولات ، وما شاهده في جولته من مظاهر، إما تدل على الفقر أو غيره.. ويذكر كل من تحدث معه واسمه ، وهذا ما يجعل أسلوب معالي الشيخ العبودى استثناءً فيما نقرأه من أدب الرحلات.. فهذا هو الأسلوب الشيق الذي يجعل القارئ يقرأ الكتاب من الغلاف إلى الغلاف.

ومع الأسف الشديد فإن بعض مؤلفي كتب الرحلات لا يتحدثون إلا عن البلد وعن الأسعار وعن الفنادق وهي خمسة نجوم أو أقل ، وكأنها كتب ترويج سياحي لهذا البلد أو ذاك.. أما أسلوب معالي الشيخ العبودي فهو يدخل المعلومة في قالب قصصي مشوِّق يذكر فيه كل ما واجهه من

مواقف.. ومن تحدث معه وما حصل له من مصاعب، ذاكراً التاريخ من كل يوم ومرفقاً كل ذلك بصور عدة ملونة للمدن التي يزورها، كما تعجبني بساطة الشيخ العبودي وتواضعه الجم ،وحديثه مع بسطاء الناس الذين يقابلهم والتقاط الصور معهم وهذا دليل علو همته وصدق نيته، فمن خلال عمله كداعية إسلامي فإن هذا الأسلوب هو الأمثل لتأليف قلوب المسلمين الذين دخلوا الإسلام حديثاً ، ولكونه قد أتى من قبلة المسلمين مكة المكرمة فهم يرون فيه القدوة.. وقد حصل كثيراً معه ذلك من خلال قراءتي لكتبه، فقد قال له بعض المسلمين حين رأيناك فكأننا رأينا رسول الله ﷺ ويُلقِي فيهم كلمة بسيطة ويشاركهم طعامهم ويتودد إليهم ،وهذا هو المطلوب من الداعية المسلم لا الترفع عليهم ومعاملتهم معاملة رسمية.

إن كتب الشيخ العبودي يجب أن تكون وثائق ومراجع لكل داعية مسلم ،أو فاعل خير يريد أن يقوم بعمل نحو إخوانه المسلمين من الأقليات المسلمة في جميع أنحاء الأرض الذين هم بحاجة إلى الدعم والتعليم.. والإغاثة ، فهذه الكتب تصف أحوالهم بأسلوب قصصي رائع وكأن الشخص يعايشها وتتحدث عما يعانون من نقص في الأموال وقصور في الموارد لبناء المساجد والمدارس وطبع الكتب وتعلم اللغة العربية لغة القرآن.

وأخيراً فإنني أتمنى من الشيخ العبودي ما يلي:

١- أن يقوم بطبع كتبه المخطوطة في الرحلات ،التي تقارب الـ١٠٠

كتاب ، فكتب معاليه رائعة وشيقة ،وكلما قرأت كتاباً اشتقتُ إلى الآخر.. ومن هذه الكتب كتاب رحلات في البيت وهي رحلات داخل المملكة العربية السعودية ، وأتمنى أن يرى النور قريباً. ومن هذه الكتب أيضاً:

١- وراء المشرقين.

٢- جولة في جزائر البحر الأبيض.

٣- ذكريات المؤتمرات.

٤- جولة في جزائر المحيط الأطلسي.

٥- رحلة المسافات الطويلة.

٦- حول العالم في خط متعرج.

٧- في ربوع السودان الغربي.

٨- الإشراف على أطراف من المغرب العربي.

٩- العودة إلى غرب أفريقية.

١٠- بقية البقية في حديث أفريقية.

١١- إلى أقصى الجنوب الأفريقي.

١٢- المستفاد من السفر إلى تشاد.

١٣- من أفريقيا الاستوائية إلى ساوتومي.

١٤- بلاد البلطيق.

١٥- البرتغال وبلجيكا وهولندا.

١٦- زيارة للمسلمين في الاتحاد السوفياتي.

١٧- بلاد السويد.

١٨- شمال الشمال: النرويج وفنلندا.

١٩- بلاد الشركس: الإيديغي.

٢٠- الرحلة الشمالية.

٢١- خلال أوكرانيا بحثاً عن المسلمين.

٢٢- العودة إلى داغستان.

٢٣- من روسيا البيضاء إلى روسيا الحمراء.

٢٤- بلاد التتار والبلغار.

٢٥- بلاد العربية الضائعة «جورجيا.«

٢٦- على أعتاب الهملايا.

٢٧ رحلات في شمال الهند.

٢٨- بلاد الهند والسند «باكستان.«

٢٩- في أقصى شرق الهند.

٣٠- وسط الهند.

٣١- الاعتبار في السفر إلى مليبار.

٣٢- إلى إندونيسيا.

٣٣- مشاهدات في تايلاند.

٣٤- رحلات في بلاد الملايو.

٣٥- بالي «جزيرة الأحلام.»

٣٦- في شمال شرق آسيا.

٣٧- العودة إلى ما وراء النهر.

٣٨- في شمال شرق آسيا.

٣٩- في الجنوب التايلاندي.

٤٠- جمهورية قازاغستان.

٤١- الحل والرحيل في بلاد البرازيل.

٤٢- إلى جنوب البرازيل.

٤٣- العودة إلى البرازيل.

٤٤- رحلة الجنوب.

٤٥- فنزويلا وترينداد.

٤٦- رحلات فنزويلية.

٤٧- العودة إلى الصين.

٤٨- في وسط الصين.

٤٩- بلغاريا ومقدونيا.

٥٠- جمهورية القبائل الروسية.

٢- لمعالي الشيخ العبودي برنامج رائع في إذاعة القرآن الكريم ، يتحدث عن رحلاته ومشاهداته في البلاد الإسلامية ، وأتمنى أن يتم طرحه في محلات التسجيلات ،فهو ذو أسلوب رائع في السرد والحديث عن المشاهدات.

٣- أن يتحدث معاليه في حلقات من خلال الصحف عن مشاهداته ورحلاته في البلدان الإسلامية ومع الأقليات ، فإنها ذات فائدة للدعاة ومحبي أعمال الخير، وللمنظمات الإسلامية والإغاثية التي تبحث عن التوثيق لأحوال المسلمين وإعانتهم.

عميد الرحّالين
محمد بن ناصر العبودي "حياته - إسهاماته - جهوده"
تأليف: محمد بن عبدالله بن إبراهيم المشوح

أ/ حنان بنت عبدالعزيز آل سيف

في تاريخ بلادنا الفتية الصاعدة المملكة العربية السعودية رجال لعبوا دوراً بارزاً في شتى المجالات العلمية والمعرفية والدينية والاجتماعية والسياسية والتربوية والإنسانية، هذه الأدوار يقف أمامها المؤرخ المنصف العادل بكل الاحترام والتقدير والامتنان والإعزاز، هذا التاريخ المضيء المشرق كتبه رجال بنور العلم وضوء الفكر ومرارة الصبر ودم الكفاح، فإذا بصفحات هذا التاريخ عقول ناشطة، وقلوب كادحة، وأقلام تخط الأدب والشعر، ودور للتربية والثقافة والتوجيه والتعليم، فاحت منها رائحة الخير الفواحة والإنسانية والعطاء، وانتشى منها عطر الإسهام الفاعل والتخطيط الموجه الفعال.

في تاريخ بلادي صفحات مضيئة كتبها رجال من بلادي بصدق وواقعية وضمير لتحكي تاريخ فلذة من فلذات كبدها، ورائعة من روائع صدرها، وبين يدي كتاب نفيس يحكي صورة من صور العلم في تاريخ المملكة العربية السعودية ،وعنوانه أسلفته لك قبل قليل، وهو من إبداع الأديب الأريب محمد بن عبدالله المشوح ،وهو يرسم الخطوط العريضة لحياة رجل

من رجالات الدولة السعودية، وعلم من أعلامها البارزين، ونجم من نجومها المتألقين ، وهو المعلم الغني عن التعريف ،العالم العلامة، الرحالة محمد بن ناصر العبودي - حفظه الله تعالى وأبقاه وسدد في سبيل العلم خطه وخطوه وخطاه- والكتاب مبين وأسلوبه متين وفيه استقصاء عجيب، واستيفاء غريب ، فلله در مؤلفه وكاتبه وناسجه ،وهو يحكي لنا من بديع القول، وجميل الكلم ، في المقدمة ما نصه وماهيته: (إني أحسب هذا الكتاب محاولة للم أطراف الحديث عن هذا الموسوعي الكبير ،الذي ما ندَّ عنه شبر من الأرض إلا وطئه ، فجاس الديار وسعى في البلدان يصف ويعاين ويقدم الخبر وينتقد المشهد، ويشخص الداء ويسقي الدواء ، ممتطياً صهوة الصبر والحلم والأناة في خلق فريد صار فيه أبهى من الروض النضير ، إنها محاولة متواضعة لتخفيف وزر التقصير وذنبه اللذين لقيهما هذا العلامة الشهير، فسعيت إلى إبراز منزلته الحقة، ورفع رايته الزهراء الخافقة، وكشف خفايا علومه، وزوايا نبوغه التي امتدت وتعددت، فكان بها مثلاً تتأسى به الأجيال، ونبراساً يضيء الطريق لسالكي دربه .

إن العلاّمة العبودي ومن خلال هذا السفر الحادي لمسيرته وعطائه ليدل دلالة أخرى على حياة أمتنا ، وتواصل قدرتها على إنجاب الروَّاد النوابغ، فتقدم بثقة وتؤدة ليعتلي ريادة في الفكر والثقافة، فكان رائداً تنويرياً وموسوعياً وعلمياً، وعندما قدمت فكرتي إليه لم ينشب أن اعتذر بتواضع

العلماء ورقة الأدباء فألزمته بمرادي، وألححت عليه بمطلبي الذي لا أطمح إليه سوى ما قيل:

لا يبتغون سوى الوفاء وما لهم .....غير البقاء على الصفاء مرام

ويصف الدكتور القدير حسن بن فهد الهويمل في كلمة له جامعة جاءت بين يدي الكتاب هذا الجهد العلمي والنفس المعرفي بقوله: (لقد قرأت الكتاب فألفيته وافياً متقصياً، معتمداً المنهجية والمرجعية والخطة المناسبة لمثل هذا العمل، بحيث اشتمل على فصول ومباحث ، وأحسب أن كتاباً ينيف على خمسمائة صفحة سيكون في جوفه كل الصيد ولقد قدم فيه بعض الحق الممطول لعلامة قضى حياته في خدمة عقيدته وأمته علماً وعملاً في مجالات متعددة، وحين يشرفني المؤلف بتقديم هذا العمل إلى محبي المعرفة من خلال معرفة الرجال، أجدها مناسبة سعيدة لاستثارة همم الشباب الأشداء، لمبادرة الوفاء لمن هم أهل له من علماء قضوا نحبهم، وآخرين ينتظرون، وما بدلوا تبديلاً، ودعوتي للمشاركة بعض الأفضال التي لما يزل يغمرني بها تلميذ الأمس وزميل اليوم الأستاذ محمد المشوح.

وتحت عنوان مهم من عناوين الكتاب يتحدث المؤلف - حفظه الله تعالى ورعاه - عن دور العالم العلامة الشيخ محمد بن ناصر العبودي في بذل العلم ، فيقول: (العلامة العبودي ربيب علم ، فهو يعي عظم شأنه وحاجة الناس إليه ، ويدرك ضريبة العلم الكبرى المتمثلة في صيانته وحفظه، ومن

ثم بذله ونشره، لقد سمعت منه حكايات فريدة في مشاق مضنية، سلك فيها السبيل للبحث عن كتاب، والعثور على نسخة من وثيقة أو مخطوط، والعلم شرط نيله مرهون بهذه المعادلة الصعبة في الصبر والعطاء، فلا أحسب هيناً أن يمضي المرء عمره وسويعات حياته في اقتناء تلك المخطوطات والوثائق، والتنقيب عنها في مظانها، ولا يتردد نهيه في بذلها لمريدها والمستفيد منها، أجزم أن تلك من ثمار العلم وقيمه التي يجنيها صاحبها، متى ما صدق في عهده مع طريقه، وها هو ذا العبودي يدلل على ذلك بتلك الملفات الخمسة التي أعطاها العلامة حمد الجاسر - رحمه الله - عند كتابته ل(أنساب الأسر المتحضرة في نجد)، فاعتمد عليه في أسر القصيم، مع أن العبودي لديه مشروعه الوثائقي الكبير المتمثل في (معجم أُسر أهل القصيم) إلا أن هذا شاهد على بذل العلم لمريديه من قِبل العبودي، فضلاً عن عشرات ومئات الباحثين والمتخصصين الذين يرجعون إليه في بحوثهم التاريخية والجغرافية والدعوية واللغوية، وليس أدل على بذله من تقديمه تلك المعلومات المهمة عن أوضاع المسلمين في العالم مع ما حلّى به رحلاته من لطائف ومعارف ومعلومات وأخبار عن البلد المزور، ليجعل القارئ يجد فيه حتى ما لم يكن يبحث عنه، فمتعته في سفره، لم تحل بينه وبين مدّ تلك المتعة إلى القارئ الذي لا يمل في إمضاء سويعات عدة في قراءة أكثر من مصنف للعبودي في الرحلات.

هذا وقد وفّى المؤلف - سلمه الله - وأوفى ولم يترك مزيداً لمستزيد، وقد أبدع في سياق معلومات كتابه التي تتسم بالشمول والإحاطة والصحة والدقة، فغدا هذا الكتاب قدوة صالحة يتأسى به كل من أراد أن يكتب في فن التراجم ولعلّي لا أجانب الصواب إن قلت إن هذه التراجم التي يكتبها رجال أفذاذ من أمثال الأديب المشوح هي من سبيل التاريخ الحي الذي توصف أحداثه بالحياة والحركة والفاعلية والنشاط، كما أن هذا الكتاب يدون أحداث الشيخ العلامة محمد بن ناصر العبودي - أمدّ الله مجد دولة العلم والتاريخ بطول عمره – آمين .

وهو خير شاهد وأجمل عرفان من وفاء التلميذ لشيخه، الذي حاول بقلمه وعقله أن يجعل من سيرة الشيخ العالم العلامة العبودي ومسيرته مثلاً يُحتذى ونبراساً يقتفى، فجاد يراعه الفذ، وتمخضت قريحته عن نتاج علمي حافل ، وهو المتمثل في هذا الكتاب ،الذي يُطالع القارئ قراءته الآن، والقارئ لهذا الكتاب يرى جهداً جهيداً، ونفساً عويصاً، امتطى المشوح من خلاله صهوة العلم ليجلو الغبار عن سيرة الشيخ العبودي - متعه الله - ولا بد للقارئ في هذا الكتاب أن يعترف لمؤلفه بالفضل ، وأن يُقر له بالسابقة، والمؤلف المشوح هو رمزٌ من رموز الرجل السعودي المعاصر الذي جعل من نفسه نصيراً للعلم والمعرفة والوعي والثقافة.

وتحت عنوان رئيس من عناوين الكتاب وهو يجري على النسق التالي:

(أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية) يقول المؤلف ما نصه: (محمد العبودي أحد أكثر الرحالة العرب غزارة فيما أعلم ، ألف هذا النتاج الضخم في أدب الرحلة. لم يسبقه أحد أو يلحق به، وقد أتاح له عمله في رابطة العالم الإسلامي هذا التجوال الذي شمل أنحاء الكرة الأرضية تقريباً، بيد أن ذلك أوقعه في مأزق الرسمية التي حدت بدورها حريته بما تفرضه من جولات رسمية، وذلك لم يحظ بما حظي به غيره من الرحالين في التجوال والانتقائية في تحديد المعالم والأماكن المزورة، كما أن ذلك حرمه أيضاً من الوقت الذي يمكنه من الكتابة الفنية، ولذلك يلحظ القارئ لكتبه الرحلية غلبة اللغة التقريرية الجافة ، مع أنه فيما أحسب قادر على أن يبدع ويكتب وصفاً أدبياً مميزاً، يظهر ذلك من خلال بعض النصوص التي تظهر لدى الرجل ثقافة واسعة وتذوقاً أدبياً مميزاً، يظهر ذلك من خلال بعض النصوص التي تظهر لدى الرجل ثقافة واسعة وتذوقاً أدبياً راقياً وعميقاً لغوياً.

وأخيراً .. فهذا الكتاب للأستاذ محمد بن عبدالله المشوح يمثل ويدون لرجلٍ من رجالات العلم والدين والتاريخ ما بذله في حياته، وما أداه من دور وفضل متميز منذ نعومة أظفاره، وغضاضة أهابه ، وهو غرة في وجه التاريخ والأدب ،ومُلحة في وجه الدين والأدب، فلله دره.

الدراســـــات

أدب الرحلة عند العبودي

د. حسن بن فهد الهويمل

يوم لا أنساه، والأيام المحفورة في الذاكرة كثيرة، منها المفرح، ومنها المترح، ومنها المخيف، ومنها المطمئن.. تتجاوز في أعماق النفس بتناقضاتها الصارخة، ومتى عفت مع تطاول الزمن، جاءت المناسبات كما السيول التي تجلى الطلول.

إن تكريم العلاَّمة معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي في المهرجان الوطني، أعاد لي يوماً يفصلني عنه نصف قرن، خمسون عاماً، إنه زمن طويل، ولكنه لم يستطع طمس أحداث ذلك اليوم، فكأن بيني وبينها ساعة من نهار.

في صبيحة الخامس عشر من شهر صفر عام ١٣٧٤هـ لملمت أطرافي المبعثرة، وغسلت وجهي المغبر، ولا أستبعد أنني استعرت عباءة وحذاء، ودفعت بكل هذه الملفقات إلى مكتب طيني صغير، يقبع في أقصاه رجل مهيب الجانب، تزينه وضاءة العلم، ويملؤه حنو المعلم، إنه العلاَّمة محمد العبودي، كنت يومها في السنة الرابعة الابتدائية، وكان لدى (المعهد العلمي) إذ ذاك مرحلة تمهيدية، يقبل فيها المتفوقون، ليدرسوا في المرحلة التمهيدية.

لم أكن متفوقاً، ولكن والدي جار جنب لفضيلته، ومازال الرسول يوصي بالجار، حتى كاد يورثه. نظر إليَّ كما لو كان يقرأ ملامحي، ثم دفع بي إلى المراقب ليلحقني بالصف الأول تمهيدي، وكان حقي أن ألحق بالصف الثاني، ولكنه قوَّم أشيائي، ولم يقوِّم معارفي، فكان أن ضاع من عمري عام دراسي. هذا اليوم الاستثنائي في حياتي أدخلني إلى عوالم لم أكن أعهدها من قبل.

وبعد سنتين أو ثلاث جاءت زيارة الملك سعود ـ رحمه الله ـ إلى القصيم، ومن ضمن برنامجها زيارة المعهد، فكان أن تقلدت مكبر صوت، لأهتف بكلمة واحدة (يعيش جلالة الملك) يرددها من ورائي الطلاب المصطفون على جانبي الطريق، لقد مكثت أسبوعاً أردد هذا الهتاف، وأسبوعاً أطبقه، وساعة العسرة تلعثمت، فقلت: (يعيش جلالة الملوك) فكان أن سيئت وجوه المدربين، وارتبك المرددون من ورائي، ولم يشف نفسي، ويذهب سقمها إلا تلك التلويحة المخلصة من يد جلالته، مشعرة بالاستلطاف، مع نظرات حانية من خلف نظارة جلالته السميكة، ولكن الخوف ظل يساورني من مدير يقدم بين يدي مساءلته للمخالفين والمقصرين صفعةً على خد نحيف، وأحسب أنه لم يسمع ما سمع غيره، فمرت الحادثة بسلام.

لقد عودنا الانضباط والطاعة، وكانت له أياديه البيضاء في التأسيس للتعليم، وتعويد القراءة في (مكتبة المعهد) التي تعهد بإنشائها وإمدادها، وكانت انطلاقتي القرائية منها ومن (المكتبة العامة).

إنها ذكريات عذاب، وإن لم تكن على شيء من اليسار ورخاء العيش وآثار النعمة.

وحنين الإنسان أبداً إلى زمن البراءات والتطلعات، فالراكضون في عقد السبعينات ـ وأنا منهم ـ يصحبون الدنيا بملل وضيق، وإن طال أملهم، وأحبوا دنياهم.. ولأن حديثي عن جانب من حيوات المحتفى به، فإنني سأضرب صفحاً عن ذكريات العذاب والمقدمات المهمة من حياة المحتفى به، لأدخل إلى (أدب الرحلة) عنده.. ومعالي الأستاذ (محمد العبودي) عالم وأديب ومثقف، له اهتماماته التاريخية والجغرافية والأدبية، وله نشاطاته التعليمية والدعوية، ولقد أسعفته ظروفه العلمية والعملية، فكان أن استثمر كل لحظة من حياته، تعلماً وقراءةً وكتابةً.. ويأتي (أدب الرحلة) في مقدمة إنجازاته التأليفية كثرةً، واتساعاً، واشتهاراً.. إذ عرف (العقاد) مفكراً وهو شاعر، فقد عرف (العبودي) رحالة، وهو العالم المتعدد الاهتمامات والقدرات والمؤلفات. ذلك أن عمله الرسمي تعانق مع اهتمامه بالرحلة وآدابها.

وقبل مباشرة الحديث عن هذا الفن السردي المعرفي، نود الإشارة إلى (أدب الرحلة) بوصفه لوناً من ألوان السرديات، تتنازعه معارف متعددة، فهو

كما الثقافة، يأخذ من كل شيء بطرف، إذ يكون تاريخاً أو جغرافيا أو علم اجتماع أو علم سكان أو سيرة ذاتية، أو ما شئت من أنواع السرديات العلمية والإبداعية.. والرحالة وحده القادر على إعطاء (أدب الرحلة) عنده نكهة خاصة، تميزه عن غيره ممن كتب في هذا اللون.

فما (أدب الرحلة): فنيّاً وتاريخيّاً وموضوعياً؟ ومَنْ أعلامه؟ وما نصيب الحضارة الإسلامية من هذا القول السردي؟.. وحديثي عن علم من أعلام هذا الأدب يقتضي اللمحة دون البسط، إذ لست بحاجة إلى الرصد التاريخي لهذا الفن، وفي الوقت نفسه لن أطيل الوقوف على الأبعاد الفنية وتحولاتها، ذلك أن (أدب الرحلة) واكب الوعي الإنساني، واختلط بعلوم: (الجغرافيا) و(التاريخ) و(السياسة)، ولم يكن علماً مستقلاً، وإن أشير إليه عرضاً في دراسة الأعمال أو الشخصيات.

لقد كان لكل حضارة نصيب من هذا الفن، ولا أحسبنا بحاجة إلى الدخول في ضوائق المفاضلة أو الريادة، فالرحلة لصيقة بالإنسان، وحديثه عما لقيه فيها من نصب، وما شاهده من أشياء يأتي عفوياً. والشعر العربي يفيض برصد ما يعانيه الشعراء المسافرون، في ظعنهم وإقامتهم، ولكن تسجيل معاناتهم، وما يتحدثون عنه من راحلة ورحلة، وأطلال ومحبوبة، وموارد مائية وجبال شاهقة وأودية سحيقة: غائرة الماء أو واقعاً في صميمها، ومطالع القصائد العربية القديمة لا تخرج عن وصف ما

يمر به الشعراء، وما يقفون عليه من إقواء وعفا وأحجار وملاعب وأطلال ومواقد وبقايا معاطن، ولقد تقصاها دارسون مثل (حسين عطوان) و(وهب رومية)، وآخرين، غير أن ما نحن بصدده يختلف تماماً عن الرحلة في الشعر العربي، وعن المطالع الطللية أو الخمرية.

فالشعر لا يحفل بالمشاهد والمواقف إلا بقدر ما تنطوي عليه من ذكريات مرّ بها الشاعر، ثم هو يتحدث عن الصحراء لمجرد أنها ظرف مكاني للقاء متخيل أو حقيقي مع محبوبة حقيقية أو وهمية. و(أدب الرحلة) اتخذ مستويين إجرائيين: مستوى الرواية الشفاهية، ومستوى التدوين. والشفاهي سابق على التدوين، ولكل حضارة بداياتها الحضارية في عمق التاريخ، ولكل علم بداياته العفوية. فلقد كان الراحلون من كل نحلة وعصر وعنصر يتحدثون إلى بعضهم البعض، كما يقول الشاعر:

(أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطي الأباطح)

وإذا عادوا إلى ديارهم، رووا لمن خلفهم ما لقوه في سفرهم من نصب، وقد يبالغون فيما يلقونه ويشاهدونه، ثم إن المتلقين عنهم يعيدون ما سمعوه للمتعة أو للاعتبار، فكان (أدب الرحلة) شفاهيّاً كأي بداية معرفية أو فنية، وحين بدأ التدوين، دونت العلوم والمعارف الجغرافية والتاريخية، واختلط (أدب الرحلة) فيها، ثم اتخذ سبيله إلى التميز والاستقلال، وما أن أسهم الرحالة في الكتابة حتى مالوا شيئاً قليلاً إلى (أدب الرحلة)، فكان

أن تخلق هذا الأدب، كما الأجنحة في الأرحام، وامتاز عما سواه من فنون الكتابة، والرحلة غير الاغتراب، فـ (المهجريون) وطائفة من (العقيلات)، كما يسميهم النجديون، خرجوا من ديارهم ولم يعودوا، ومن ثم نشأ (الأدب المهجري) و(أدب الاغتراب)، وقد يتداخلان مع (أدب الرحلة).. و(الرحالة) غير (المهاجر) وغير (المغترب)، فالرحالة ينطلق في مهمة ليعود إلى بلده.

ولقد خلفت لنا كل الحضارات الإنسانية مخطوطات، يمكن أن تكون بدايات لهذا الفن السردي.

ففي كل حضارة، وعند كل أمة رحّالتها وهواة المغامرات فيها.. قيل إن كتاب (بوزانايس): (جولة في بلاد الإغريق) المؤثر الأول في (أدب الرحلة)، وهو ظهر في القرن الثاني الميلادي، والحشد المعرفي لهذا الكتاب لم يجعله المؤسس الأول لهذا الفن، بل جاء من بعده مؤرخون وجغرافيون أسسوا لهذا اللون من السرديات، إذ خصوا (أدب الرحلة) بكتب مستقلة، لا تتسع إلا لما يدخل في هذا اللون من الأدب حسب مفهومه الحديث، وفي القرن الرابع الميلادي تجلت التقاليد الأدبية (لأدب الرحلة)، كان ذلك على يد (إكسينفون) في كتابه (أنابيزيس)، وميزة هذا العمل ـ كما يرويه المطلعون عليه ـ تتمثل في أمانة الوصف، وفي احترام القيَّم الفنية.

والراصدون لهذا النوع السردي الحفيون به، يتعقبونه في مظانه عصراً عصراً، حتى العصر الحديث، يرصدون للتحولات السردية والدلالية،

يؤرخون لهذا اللون ولرجالاته، ويصفون فنياته ومواضيعه، ولما أن جاء عصر النهضة وأصبح معه (أدب الرحلة) نوعاً أدبياً مميزاً، له سماته وخصائصه وطرائف أدائه، نهض في تكوينه الرحالة والمكتشفون والمستشرقون والمناديب وذوو السفارة السياسية والدينية والعلمية، وساعدت وسائل الموصلات والاتصالات المتطورة في توسيع قاعدته ومشمولاته، أصبح هذا اللون أدباً وعلماً في آن، وتعددت فصائل المهتمين به والمستثمرين له، وكاد يختلط بـ (اليوميات) و(المذكرات) و(الذكريات) و(السيرة الذاتية)، وفي خضم هذا الزخم، عرفت الآداب: (الأوروبية) و(العربية) عمالقة في (أدب الرحلة)، ومن تعقب ذلك عند من كتب عن (أدب الرحلة) عرفهم بأسمائهم وبأعمالهم، وعرف الأهداف والدوافع والنتائج، فطائفة من الدارسين ذيلوا كتبهم بمسارد للرحالة ولكتبهم ولمن سبق من الدارسين لهذا الفن، والرحلة وسيلة وليست غاية، ومن الرحالة من حركته الأطماع السياسية أو الاقتصادية أو الدينية، ومنهم من استهوته الرحلة وحب الاطلاع، وقلَّ أن ينفك التدوين عن الأهداف والنيات والرغبات: السيئة أو الحسنة، ولكن (أدب الرحلة) حين يصاغ باقتدار ينفصل عن خصوص السبب إلى عموم الفائدة، فيكون العمل إبداعاً إنسانياً، تمتد إليه الأيدي دون النظر إلى الدوافع والرغبات.

لقد أومأ كثير من الدارسين إلى أنواع كثيرة في (أدب الرحلة) وإلى

اهتمامات متعددة، جعلت هذا الأدب شيقاً ومفيداً، إنه أدب واقعي، يحمل رسائل معرفية، وإن كان ثمة إمتاع فإنما هو إضافة يوفرها تمكُّن الكاتب من لغته ومن فنيات السرد، هذا إذا استبعدنا (الرحلات السندبادية) ورحلات المغامرات التي تعتمد على الخيال، وقد تمتد إلى الخرافة والأسطورة، وهذا اللون لا يدخل فيما نحن بصدد الحديث عنه.. ولأهمية (أدب الرحلة) فقد ألفت عنه كتب عدة، تعمدت التأريخ لهذا اللون، أو التنظير له، أو الدراسة التطبيقية لبعض الرحالة ورحلاتهم. أعرف من هؤلاء (شوقي ضيف)، و(حسين نصار)، و(الحسن الشاهدي)، و(حسني حسين)، و(علي مال الله)، و(جورج غريب)، و(حامد النساج)، و(عواطف نواب).. كل هؤلاء ومثلهم معهم لم يكتبوا أدب رحلة، ولكنهم درسوا هذه الظاهرة، ونظروا وأرخوا لها، أو درسوا كتاباً في الرحلة دراسة تطبيقية.

أما الرحَّالة الذين خلفوا للثقافة العربية والعالمية كتباً في الرحلة فأكثر من أن يحصروا.. وممن اشتهروا في هذا الفن في القديم (ابن حوقل)، و(المقدسي) و(المسعودي) و(البيروني) و(ابن جبير) ومئات غيرهم. وفي العصر الحديث (الطهطاوي) و(الآلوسي) و(عبدالله فكري) و(الشدياق) و(البستاني) و(طه حسين) و(هيكل) و(حسين فوزي) و(أمين الريحاني) و(أنيس منصور) وآلاف سواهم، ولكل واحد طرائقه واهتماماته ودوافعه، فمن متعمد للتسلية، ومن مهتم بالفائدة، ومن متحرر من كل القيود، ومن

ملتزم محتشم، ومن كاتب بلغة أدبية، ومن كتب بلغة علمية.

أما على مستوى (أدب الرحلة) في المملكة العربية السعودية، فقد استوفى جانباً منه الأستاذ (عبدالله بن أحمد حامد آل حمادي) في رسالته الأكاديمية (أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية)، وفيما يتعلق بأدب الرحلة عند العبودي فقد تقصاه الأستاذ (محمد بن عبدالله المشوح) في كتابه المطبوع حديثاً (عميد الرحالة محمد بن ناصر العبودي)، وممن كانت لهم كتب في (أدب الرحلة) من علماء المملكة العربية السعودية وأدبائها ومؤرخيها فهم: العلاَّمة (حمد الجاسر)، و(أحمد عبدالغفور عطار)، و(عاتق البلادي) و(عبدالعزيز الرفاعي) و(عبدالعزيز المسند) و(عبد القدوس الأنصاري) و(عبدالعزيز الرفاعي) و(عبدالله بن خميس) و(علي حسن فدعق) و(فؤاد شاكر) و(محمد السديري) و(محمد عمر توفيق) و(يحيى المعلمي)، وآخرون.. وهؤلاء يتفاوتون في مستوياتهم واهتماماتهم، ولكنهم جميعاً لم يتميزوا بما كتبوا في أدب الرحلة، بمثل ما تميز به (العبودي)، لا من حيث الكثرة العددية التي لم تسبق، ولا من حيث التقصي والشمول والتنوع، وقد يتفوق بعضهم على بعض بأسلوبه أو بتبويبه أو بعمق ثقافته أو بدقة معلوماته.

والعبودي الذي استهل أعماله التأليفية بدراسة (الأمثال العامية في نجد) تخطى هذا الاهتمام، وسبح في معارف متعددة، فكتب في الأنساب

والجغرافيا والدراسات القرآنية والتراث، وطبعت له مؤلفات عدة في مختلف المعارف وفي أجزاء عدة، منها (معجم بلاد القصيم)، و(أخبار أبي العيناء)، و(الأمثال العامية في نجد)، و(كتاب الثقلاء)، و(نفحات من السكينة القرآنية)، و(سوائح أدبية)، و(صور ثقيلة) وغيرها، وهو فيها توثيقي ممحص، يضرب الأقوال ببعضها البعض، حتى تنقدح له الحقيقة. فعل ذلك في معجمه الجغرافي عن القصيم. وهو معدود من الموسوعيين، وليس من ذوي الاختصاص، ولكنه حين يكتب في فن ينازع المتخصصين إمكاناتهم. ويكاد (أدب الرحلة) عنده يغطي كل جوانب حياته، وينسي المتابعين جهوده العلمية والعملية وإسهاماته المتعددة في مجالات متنوعة. والذي يلتمسونه في حقل معرفي لا يأتونه من أقطاره، إنه عالم متضلع من التراث العربي بكل تنوعاته العلمية والأدبية. وانقطاعه للتعلم والتعليم، وملازمته لكبار العلماء وعمله معهم، مكنه من التوفر على الكتب والمراجع التي لم تكن في متناول أنداده، ثم هو رجل إدارة حازم، تقلب في مناصب عدة تعليمية ودعوية، وجاء اهتمامه بـ(أدب الرحلة) بعد أن لحق وظيفياً بـ(رابطة العالم الإسلامي)، ومكنه عمله الدعوي من الرحلات المتواصلة والمهمات الرسمية المقيدة بأداء المهمة الدعوية على أصولها، وما بقي من جهد أو وقت قضاه في المشاهدات، وتقصي جوانب الحيوات المتعددة لشعوب العالم، وتفحص المعالم والآثار والمتاحف والمناظر الطبيعية وأحوال الشعوب وديانـاتهم

ومستوياتهم الحضارية والمدنية والاقتصادية. وهو راصد دقيق بعيد من المبالغة والإغراق في الخيال، وأدبية النص عنده من تلك الخلفية المعرفية في أدب التراث وعيون الشعر العربي، وقد فاقت مؤلفاته المطبوعة مائتي كتاب، وله مثل ذلك من المخطوطات، وجل هذه الكتب تمثل (أدب الرحلة)، بحيث لم يسبقه أحد في حجم ما كتب في هذا اللون، ومن أسباب تألقه في هذا المجال سفاراته المتنقلة، وتوفير كل الوسائل له، وشغفه الذاتي بالرحلة، وحرصه على تدوين كل ما يعن له من مشاهدات وملاحظات. ولقد قال عن نفسه ما يدل على دقة الملاحظة عنده، حتى لكأنه (الجاحظ) في عنايته بأبسط الأشياء، ومن ثم تراه يحتفي بكل التفاصيل، فإذا أقيم حفل تكريمي استوفى فقراته، وإذا ألقي خطاب ساق مجمله، وإذا جلس على مائدة ذكر ألوان الطعام فيها، وإذا دخل سوقاً ذكر طرائق بيعهم وطرائف تصرفاتهم. ولقد تجلت في كتاباته العفوية البساطة والتقريرية والنمطية والاهتمام بكل دقيق وجليل، فهو بين إقلاع واستواء وهبوط واستقبال وتوديع وجولات رسمية ورحلات خلوية إلى أطراف المدن، لا تقتصر على المواقع الدعوية، وفئات الدعاة والقضايا الدينية، وجولات راجلة يقتطعها من وقت راحته، يدخل الأسواق، ويختلط مع الباعة ولا يتحرج من السؤال عن أي ظاهرة، ينقب عن الآثار، ويتفحص المتاحف، ويستعرض المكتبات، وكتاباته تتسم بالتسجيلية، وكأني به يرصد كل شيء في مذكرة

محمولة في جيبه، حتى إذا خلا له المكان أعاد صياغة ما كتب والبسط فيه، ثم الدفع به إلى المطابع، لا ينظر إلا في ترتيب الأحداث والوقوعات، ومن ثم يحصل التكرار، خصوصاً عما يعرض له من مواقف متكررة في المطارات والمطاعم والمساجد والأسواق، وإن كانت له إلماحات سريعة يخلص بها من الرتابة والنمطية، وأكاد استبين محاور كتب الرحلات عنده، فهي تتحدث عن قضايا (الدعوة) و(الأقليات) و(الأجناس) و(اللغات) و(العادات) و(أحوال الشعوب) و(أطرافاً من تاريخهم) و(جغرافية بلادهم) و(أنماط الحياة عندهم) و(الأزياء) و(تصميم المباني) و(أنواع المستعملات) و(أحوال النساء) و(عاداتهن) و(المأكولات) وكل ما يخطر على بالك، حتى (الفلكلور الشعبي)، حتى (الغناء) و(المغنين) الذين لا يعنيه من أمرهم شيء، ولكنه إذ فرض عليه السماع أشار إلى شيء مما عندهم، وإن لم يهتم بالاستماع، وقد يشير إلى (الرقصات الشعبية) وغيرها، ثم لا يجد حرجاً من التعرض لها على سبيل الوصف، وقد يمعن في وصف النساء وأزيائهن ومحادثاتهن ببراءة وعفة، ومع كل ذلك فإن المحرك الرئيس عنده هموم المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، ولأنه يمارس في رحلاته عملاً رسمياً فقد استوفى في كتبه تلك الأعمال إذ تحدث عن (الجمعيات) و(المنظمات) و(جماعات تحفيظ القرآن) و(إعداد الدعاة والأئمة)، كما فصل القول عن الاجتماعات والمؤتمرات واللقاءات وما دار فيها وعن

الكلمات التي ألقيت، وعن الترحيب الذي يلقاه، وعن المهمات التي أنجزها، ولا أشك أن تثار الآراء والأفكار والمواقف تشكل خصوصية في أدائه السردي، ولكن كثرة أعماله، وتركيزه على قضايا الأقليات يفوت على المتابع الوقوف على اللمحات الكثيرة، أو بمعنى آخر الجوانب الأخرى التي لا تسمح مهماته الرسمية الوصول إليها، وقد يضيق المتابعون باحتفائه بالوقوعات العادية المتكررة في كل رحلة. وأسلوب الكاتب يتسم بالوضوح والسلامة، والميل إلى التقريرية، وأشواطه الدلالية تعتمد التجزيئية، وله استطرادات قصيرة ـ كما وصفه ـ أحد دارسيه. ولأن أدب الرحلة عنده واكب السفارة الرسمية ومتابعة أحوال المسلمين والأقليات الإسلامية في آفاق المعمورة، فقد ارتبطت القضايا والمواضيع بالرسالة ذاتها أو كادت، ومع أننا لا نسلم بذلك على إطلاقه، إلا أننا نجد همه منصباً على قضايا المسلمين والأقليات منهم.

بدأ العبودي الرحلة والكتابة فيها منذ أربعة عقود، وخلال هذه المدة طاف أرجاء المعمورة، ولم يتمكن غيره مما تمكن منه، فالذين كتبوا في (أدب الرحلة)، كتبوا عن رحلة امتدت شهراً أو شهرين لبلد سياحي أو دولة اقتصادية، أما هو فقد امتدت معه الرحلات أكثر من أربعين سنة، وأتت على ما أتى عليه الإسلام، حتى لقد أوغل في البلاد الشيوعية التي لم تكن تسمح بأي تحرك إسلامي، ولعل تسامحه، وبُعد نظرته، ودفعه بالتي هي

أحسن، ودعوته بالحكمة والموعظة الحسنة، فتح له الحدود والقلوب، ولما يزل لا يحط من سفر إلا إلى سفر، ولاهتمامه بأدب الرحلة فقد أعطى نفسه مزيداً من الجهد والوقت ليتعرف على كل شيء. لقد وقف على طبائع الدول والمدن وأهلها وما فيها من أنهار وجبال وأودية وأعراق وعقائد وعادات، وما هي عليه من غنى وفقر، وما هو نظامها السياسي، وتقصي مشكلات الأقليات، ولقد بلغت مؤلفاته في أدب الرحلة قرابة مائة وعشرين كتاباً، طبع منها سبعين كتاباً، وآخر ما طبع له فيما أعلم (القلم وما أوتي في جيبوتي)، ولقد شدني من كتبه أولها (أفريقيا الخضراء)، الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٣٨٤هـ، وكان الأوسع والأدق والألصق بأدب الرحلة، وهو فيما يكتب يعتمد العناوين الجانبية، فله مشاهدات تسجيلية، وملاحظات نقدية، وتساؤلات تعجبية، ومعلومات نقلية، ولا يكاد ينفك من الحديث عن الوسيلة من طائرة أو سيارة أو باخرة أو قطار أو سيارة أجرة، وقد يتحدث عمن يقود تلك الوسائط أو يخدم فيها. وحتى الحفلات والاستراحات والوجبات والجلسات الخاصة أو العملية والفنادق والمساجد والمتاحف والجمعيات يفصل القول فيها، وقل أن يترك الرصد التاريخي والسياسي للدولة أو المدينة التي يزورها، يتحدث عن نباتها وتصميم مبانيها، وطبها الشعبي، وعادات الزواج وشعائره، والأعياد ومناسباتها، وملابس الرجال والنساء، وما لا يخطر للقارئ على بال، ويكاد يكون الحديث عن

الإسلام والمسلمين محور الحديث في كل ما كتب في رحلاته، وهو حريص على اللطائف والمثيرات، يرصدها، وقد يبالغ في تعميق أثرها، وبالذات عند حديثه عن النكسات الاقتصادية، كقوله في كتابه (صلة الحديث عن أفريقيا) (الدجاجة بتيس والتيس ببقرة)، فالعنوان لا يوحي بمضمونه، ولكنه يشوق إليه، وله نظرات ثاقبة في أحوال الشعوب وطبائعهم، حتى لكأنه موكل بكل دقيق وجليل في حياة من يرى ويجالس ويحادث، يقول في كتابه (غيانا وسورينام): (ومن أهم ما يميز الهنديات الأمريكيات عن الهنديات الآسيويات كثرة ابتسامهن للرجال وبساطة طباعهن وإسراعهن إلى الاستجابة للحديث) ص٩٦. وهو يخص المرأة بأكثر من إشارة، لها أكثر من معنى، وفوق ذلك فهو كثير التفصيل في وصف التحركات، ويكاد (أدب الرحلة) عنده يتحول إلى سيرة ذاتية في كثير من أحاديثه. وهو بهذا الاستطراد والتنويع يراوح بين (اليوميات) و(المذكرات) و(الخواطر) و(السيرة الذاتية) و(أدب الرحلة)، وقل ان يخلو أي كتاب من صور (فوتوغرافية) ملونة، يكون فيها بين مودعين أو مستقبلين أو مشاركين في رحلة برية أو مهمة رسمية، يصور الأنهار والجبال والأودية والمساجد والأسواق والآثار، وكل ما هو لافت للنظر، وقل أن يخلو كتاب من حديث عن مسجد، يذكر بانيه ومصممه وما فيه من زخارف، وقد يتحدث مع إمامه ومؤذنه، ويتعرف على ما يمارس فيه من البدع، إن كان ثمة بدع، وحين يصرفه

المرافق عن شيء من ذلك، يلح بطلب الوقوف على كل شيء، وإن كان لا يقره، بحيث يصرف المثبط بقوله: (إنني أحب أن أطلع عليه فالاطلاع مهم في هذه الحالة التي ربما تكون فرصة ولو في المستقبل بتبصير هؤلاء المخرفين المنحرفين) ص٨٨ من كتاب (في شرق الهند)، وهو يوزع كتبه إلى مجاميع، حسب القارات، أو التكتلات السياسية (أفريقية) و(أوروبية) و(هندية) و(آسيوية) و(أمريكية جنوبية) و(بلقانية) و(أسترالية) و(روسية) و(سيبيرية)، وكيف لا يصنفها إلى مجاميع جغرافية، وهي تنيف على المائة كتاب، وكل مجموعة تنيف على عشرة كتب، وأحسب أن (رحلاته الهندية) تفوق كل رحلاته، فهي تفوق العشرين كتاباً، طاف بها شرق الهند وشماله، وبلاد الهند والسند، وهو يطلق على كتبه مسميات أخاذة، ففي رصده لرحلاته إلى (مولدوف وأرمينيا) يطلق عليها (مواطن إسلامية ضائعة)، أو (تائه في تاهيتي)، أو (من بلاد القرنشاي إلى بلاد القيرداي)، أو (سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور)، وهو في اختيار العناوين وتركيب العبارات ذو أسجاع مستساغة.

والعبودي من الكتّاب الذي يهتمون بتدوين المعلومات والملاحظات ما دق منها وما جلَّ، دون تكلف أسلوبي أو معاضلة تعبيرية، وما فيه من صياغة أدبية فصيحة فإنما هي قدرة ذاتية وكسبية، فالمؤلف عالم بالتراث، ومؤلف قبل أن يفرغ لأدب الرحلة، والمتابع لكتبه لا يقدر على تصنيفه لا جغرافياً

ولا اجتماعياً، ولا سياسياً، ومن ثم فهو أقرب إلى الموسوعيين. والمؤلف متوفر على القيم العلمية والأدبية، ولكنه توفر عفوي، واللغة التي يعتمد عليها ويتوسل بها لغة فصيحة سليمة، لا يعمد فيها إلى التزوير ولا إلى التنفيح، ولكنه يكتب على سجيته، وكأنه يتحدث إليك، وذلك سر الإكثار وسر القبول، فلو كانت له عناية لغوية أو أدبية أو معرفية، لكان أن قل عمله وانفض سامره. ومع العفوية فقد احتفظ بمستوى أدبي ولغوي ومعرفي يجعله في مصاف غيره من الرحالة، وإذ لا تقدر على تصنيفه من بين الرحالة فإنك لا تجد منهجية محددة، ولا خطة في التأليف صارمة، يدون ملاحظاته، ثم يعود إليها ليبسط القول فيها، وخطة الكتابة عنده مرتبطة بتنقلاته، ومنهجيته تراوح بين الوصف والتحليل والنقد والسرد الحكائي، وهو الراوي والبطل، وقل أن يتحدث بضمير الغائب، أو أن يدع لمتحدث آخر ليأخذ زمام المبادرة إلا ما يأتي من حوار. ومهما اختلفنا معه أو اتفقنا فإنه الرحالة المتمكن من آلياته، الشمولي في تناولاته، المضيف في معلوماته. لقد ترك للمكتبة العربية والعالمية وثائق معرفية متعددة، قلَّ أن تكون حاضرة المؤرخين أو الجغرافيين، وهو بما خلَّف من معارف، وأنجز من أعمال، وقام به من مهمات تعليمية ودعوية جدير بالتكريم والاحتفاء. والمهرجان الوطني بهذا التكريم يعبر عن مشاعر العلماء والأدباء والقراء، وينهض بواجب وطني، فالعلامة معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي علم من أعلام التربية

والتعليم، ومن الدعاة الناصحين، ومن العلماء المتمكنين، ولما يزل ثري العطاء، تختزن ذاكرته مشاريع معرفية متعددة، وكتاباه في الأمثال والجغرافيا خير شاهد على توثيقه وتقصيه، نسأل الله له مزيداً من الصحة والتوفيق.

أعمال معالي الشيخ العبودي العلمية

الدكتور/ ناصر بن محمد الجهيمي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين. الشكر أولاً لله سبحانه وتعالى على ما هيأ لنا من أسباب هذا اللقاء العلمي، ثم لمعالي الدكتور خالد بن عبدالرحمن الحمودي، ولمعالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي، على تفضلهم بمشاركتنا هذه الجلسة العلمية، وكذلك للدكتور عبدالله الزيدان رئيس مجلس إدارة الجمعية التاريخية السعودية على ما بذله من جهد فاق ستة أشهر للتحضير لهذا اللقاء العلمي، فله جزيل الشكر والدعاء، يقول الشاعر:

إن الثناء ليفدي ذكرى صاحبه كالغيث يحيي نداه السهل والجبل

وفي مسلسل الوفاء والعرفان الذي نهجته الجمعية التاريخية السعودية يأتي تكريم الشيخ محمد العبودي كعلم من أعلام بلادنا المملكة العربية السعودية، وكرجل من رجال الفكر والأدب في هذه البلاد. كتب معالي الشيخ كثيرة فاق المطبوع منها مائتي كتاب، والمخطوط نحو ذلك أو يزيد، وقد حصرت كتب الشيخ في ورقتي التي أقدمها في هذه الجلسة، وقد قسمتها أقساماً عدة، كتب الرحلات، وكتب الأدب، وكتب في الذكريات، وكتب في الجغرافيا، وكتب في البلدانيات، وكتب في

التاريخ، وقسمتها قسمين؛ ما هو مطبوع أوضحته وأوضحت وجوه دار نشره وأهميته، كل كتاب على حدة وما برز من هذا الكتاب من معلومات مهمة في مجاله، علماً بأن كتب الشيخ يأتي بعضها جزءاً، ويأتي بعضها جزأين، ويزيد بعضها على عشرة أجزاء، ولذلك حين نقول مائتي كتاب فنحن نقصد مائتي عنوان، ولذا لا أستطيع أن أقول أمام الشيخ العبودي إلا:

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

حقيقة من المعلوم لدينا جميعاً أن الشيخ لا يميل إلى الحديث عن نفسه، ولا يطريه كثيراً ثناء الآخرين عليه، ويفضل أن يسمع منهم الدعاء له بالعون والتوفيق بدل الثناء الذي يبقى أثره محدوداً بزمانه ثم ينتهي، ومع ذلك ليسمح لي شيخي الفاضل بأن أشير إلى نبذة عن مؤلفاته خلال هذا الوقت البسيط، ليدرك منا من يرغب أن يحذو حذو الشيخ أن لا مكان للمستحيل في حياتنا مع ما توفر لدينا اليوم من مراكز بحثية هيأت لنا أسباب البحث العلمي من قواعد معلومات ومن كتب مطبوعة ومخطوطة ووثائق ومجلات وصحف مؤرشفة. أعود للحديث عن شيخنا معالي الشيخ محمد العبودي فأقول: لعل من أبرز صفات هذا العالم في كتبه وفي تآليفه جلده في طلب العلم صغيراً، ومواصلة البحث والاطلاع في كبره، ومازال يستمتع به ويواصل إنتاجه الفكري في مجالات متعددة إلى يومنا الحالي وكأنه في عز شبابه، وهذه نعمة كبيرة من الله سبحانه وتعالى أن يمتع الإنسان بالصحة

والعافية والقدرة على مواصلة العطاء، ثم تحمل معالي الشيخ مشقة السفر والترحال بين قارات العالم من أجل التعرف على أحوال المسلمين، حتى أنه في إحدى رحلاته، الطويلة في مداها والقصيرة في وقتها، زار قارات العالم الخمس وعندما وصل إلى المحطة الأخيرة في الرحلة وهي القارة الأسترالية كتب عن هذه الرحلة يقول: (ناهيك برحلة يكون الوصول فيها إلى مدينة سيدني الأسترالية بشيراً بالأوبة إلى الوطن).

إن جميع القراء الذين قرأوا كتب الشيخ كتبوا عنها، وبعضهم من غير السعوديين اتفقوا على خطورة هذه المرحلة التاريخية من حياة المسلمين، نتيجة الهوة التي أحدثتها تصرفات بعض الجهلاء من أبنائه تجاه الآخرين، إذ أصبح ينظر إلى العمل الإسلامي بكثير من الريبة والحذر، ويصل الأمر أحياناً إلى حد الفض لهذه الأنشطة.. معالي الشيخ كتب عن هذا الجانب كتابات كثيرة في كتبه، وهذا الجانب الذي تشرف الشيخ بخدمته وهو الدعوة الإسلامية مبكراً، ونجح في إقامة علاقات طيبة بين قادة العالم الإسلامي والمسؤولين في المملكة، وكان وسيط خير يحمل الرأي السديد والدعم المادي من هذا البلد الكريم، واهتم كذلك بإقامة علاقات طيبة مع الجميع، هذا أتاح له مساحة واسعة للحركة تمكن خلالها من نقل الدعم الكثير من المؤسسات الإسلامية في أرجاء العالم، وكان محل التقدير من الجميع، ليس بسبب ما يحمله من دعم مادي، ولكن بسبب سماحته التي

اكتسبها بسعة علمه الشرعي وشموليته وشمولية ثقافته على رغم ما يحيط بالعمل الإسلامي اليومي من شدات وصعوبات، إلا أن منهج الشيخ منهج علمي سليم لا يزال إلى الآن هو المنهج الذي يجب أن نتبعه، ومنهج لا يشوبه أي شائبة ولم يحدث - حسب ما قرأت من كتب معالي الشيخ واطلعت عليها خلال هذه الفترة لإعداد هذه الورقة - أن وجدت أي إشكال أثر على الشيخ، سواء في نقل هذه الأموال، أو في نقل هذه الرسائل، أو في الدعوة للإسلام، أو في غير ذلك، لذلك فإن ظروف العمل الإسلامي اليوم تغيرت كثيراً ونحن بحاجة إلى جيل جديد من الدعاة الذين ينهجون منهجه نفسه في التعاون مع الآخرين لكسب ودهم واحترامهم ومواصلة التعريف برسالة الإسلام السمحة التي تتعرض اليوم للكثير من التهم الباطلة، فلو وفق الله سبحانه وتعالى القائمين على العمل الإسلامي فنهجوا منهج الشيخ لما أصابنا اليوم كثير مما أصاب العمل الإسلامي والدعوة للإسلام من مصائب أعاقت عملها وأوقفته في كثير من الجهات.. معالي الشيخ له - كما ذكرت - كتب في فنون كثيرة منها كتب الرحلات.

ولا شك أن الرحلات عمل نادر في كل زمان ومكان منذ قديم الأزمان، لأنه يوصف بالتعب الذهني والبدني، وعلى رغم ما يخفف وطأته على معالي الشيخ من الرغبة في توسيع دائرة المعرفة، وأصبحت بذلك كتبه ورحلاته مصدرا من مصادر المعرفة لدينا، إلا أن هذه الكتب تتضمن معلومات

وأحداثاً ووقائع وتعريفاً بأماكن وأشخاص ووصفاً لحالات اجتماعية ووصفاً لحالات اقتصادية وسياسية نحن في حاجتها اليوم، ومع ذلك أفاض الله سبحانه وتعالى على معالي الشيخ ما أفاضه من ذائقة أدبية وبلاغية ثرية مكنته من الكتابة بأسلوب أدبي راقٍ، ومعالي الشيخ يملك دقة متناهية في وصف الرحلة والتعريف بدقائقها، فلا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما هو في متاحات البشر إلا سجلها وسلط عليها الضوء مما يكفي لإشباع نهم المتلقي، بما يملكه الشيخ من قدرات بلاغية، وذكر الدكتور عبداللطيف الحميد في ورقته نبذاً من ذلك. ومعالي الشيخ، كما رزقه الله هذه البلاغة، رزقه الله سبحانه وتعالى توفيقاً آخر يتمثل في أسلوبه السهل الممتنع عند عرضه عناصر رحلته، ولا شك أن الشيخ حاز ميدالية الاستحقاق في الأدب عام ١٣٧٤هـ، فليس غريباً علينا أسلوبه الأدبي، والشيخ إذا تحدث عن رحلاته بلسانه فستجد أنه مستمتع بما يملكه من أدوات التمثيل، يعني عدا مجال الكتابة أيضاً واللغة المحببة، ونبرات صوته المميزة، والترابط المنطقي بين ما يعرضه من مواقف وأحداث ورؤى، مع حرصه على نطق الأسماء والمسميات كما ينطقها أهلها، وغوصه كثيراً في تعليم مدلولاتها، وأنا من المتابعين له، وقد يكون أيضاً منا الكثير من المتابعين للبرنامج الذي يقدمه الدكتور محمد المشوح في إذاعة القرآن الكريم، الذي يتناول رحلات الشيخ، والدكتور المشوح أيضاً قدم لدارة الملك عبدالعزيز جميع هذه

التسجيلات لعلها إن شاء الله تصدر في المستقبل.. هذا عن الجانب الذاتي في تكوين شخصية الشيخ العبودي وملكاته الشخصية، أما الرصيد المعرفي والثقافي عند الشيخ العبودي، الذي ظهر في عدد كتبه وتنوعها، فإن نظرة عابرة إلى مؤلفاته عن رحلاته التي شملت كل قارات الأرض المعمورة، إضافة إلى مؤلفه الموسوعي «المعجم الجغرافي عن بلاد القصيم» ومؤلفاته الأخرى التي استفاد فيها كذلك من رحلاته التي تظهر ما يملكه من رصيد معرفي ضخم، حتى يكاد المطلع على هذه الكتب يتأكد أو يجزم بأن الشيخ العبودي قد طاف الأرض كلها، يؤيد ذلك أن كثيراً من المثقفين - ولا أقول من عامة الناس - لا يعرف كثيراً من أسماء البلدان التي زارها معالي الشيخ في رحلاته، فضلاً عن أننا قد لا نحسن نطقها الصحيح لأسمائها، ليس الرائي كمن سمع. ونجد في سجل زياراته إلى هذه الدول حديثاً ماتعاً عن تلك الأماكن التي زارها الشيخ، وقد ذكر أيضاً الدكتور عبداللطيف الحميد في ورقته نبذاً منها، فلا حاجة للإعادة، لاسيما تركيزي على الجانب الخاص بنوعيات هذه الكتب وتعدادها.

ولتسليط الضوء على جانب آخر من شخصية الشيخ العبودي في مؤلفاته أقول: إن الحوار ركن ركين من خصائص كل رحاله، لأن من المفترض أنه عندما يحصل على كثير من المعلومات في رحلاته عن طريق الحوار مع الأشخاص الذين يلتقيهم فيستنطقهم ليجيب عن التساؤلات التي تثيرها

مشاهداته، ولذا فقد تنوعت موارد ثقافة الحوار عند الشيخ العبودي، فمع التحصيل العلمي في حجرة الدرس، ومع التلقي من الشيوخ مشافهة، فإننا نجد في دفاتر سيرته الذاتية مشاركات كثيرة في المؤتمرات والندوات في الداخل والخارج، كما كتب معالي الشيخ أيضاً كثيراً من المقالات في المجالات في مجلة المنهل وغيرها. والوقت لا يسعفني في ذكر جوانب أخرى من مؤلفات الشيخ. كما تصدى الشيخ أيضاً لقضية ريادية كبرى وهي مهمة. فصلت فيها تفصيلاً كثيراً. وهي تأليف المعجم الجغرافي بمنطقة القصيم في إطار المشروع العلمي الضخم، الذي نادى به العلامة حمد الجاسر لكتابه المعجم الجغرافي للمملكة، فأصدر ستة أجزاء في هذا العمل الضخم، بنى مادته فيها على الخبرة الميدانية، فجعله معجماً حياً يعتني بالموجود المذكور من المواضع في هذا العصر، أما المعلومات التراثية حول المواضع فتأتي في سياق المادة لكنها ليست الأساس في بناء هذه المادة، وبذلك يخالف العبودي خطة العلامة حمد الجاسر في التركيز على المعلومات التراثية ورد الموضع إلى اسمه القديم المذكور في كتب التراث، وكنت أتمنى أن تتاح لي فرصة أوسع لنتحدث عن جوانب مهمة في المقالات العلمية التي كتبها لكن أكتفي بهذا، وشكراً للجميع.

بلدانيات العبودي ... ريادة وتميز

د: أسعد بن سليمان عبده

مقدمة:

أشكر المهرجان الوطني للتراث والثقافة. وأبارك لمعالي الأستاذ/ محمد بن ناصر العبودي هذا التكريم الذي هو أهل له. ويشرفني المشاركة في هذه الندوة بحديث عن الجانب (الجغرافي ـ البدانيات) في انتاجه، ومع أن انتاجه في هذا المجال كثير كثير، فقد التزمت بأن يكون ما أكتبه في حدود عشر صفحات.

لهذا أدخل مباشرة إلى الموضوع، وأبدأ بتقسيم ما نشره العبودي عن البدان إلى قسمين:

- ما كتبه عن المملكة العربية السعودية، خصوصاً كتابه المميز (بلاد القصيم).
- كتبه عن رحلاته إلى بلدان غير المملكة العربية السعودية.

ثم أحاول أن ألقي بعض الضوء على كل من هذين القسمين، خصوصاً القسم الثاني، معتمداً على ما تمكنت من الاطلاع عليه.

أولاً: كتاب (بلاد القصيم):

صدر هذا الكتاب عام ١٣٩٩هـ في ستة أجزاء، ضمن كتب (المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية)، وهو معجم جغرافي اختص بمنطقة القصيم، يذكر اسم المكان ويبحث فيما كتب عنه في اللغة العربية، وفي

أبيات من الشعر، ويعطي معلومات عن المكان، معتمداً على معرفة المؤلف الشخصية للمكان وزياراته الميدانية.

أشرت في مقال منشور، عن (المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية)، إلى مميزات في كتاب (بلاد القصيم)، مقارنة مع كتب أخرى في المعجم، منها أن العبودي رتب مواد كتابه (حسب حروف المعجم لا بالنسبة للحرف الأول فقط بل بالنسبة أيضاً للحرفين الثاني والثالث... الخ)، كما أنه جَعَلَ الاسم الحالي للمكان - وليس الاسم القديم - هو المدخل في كل مادة من مواد المعجم (لكنه يذكر الاسم القديم أثناء التعريف بالمكان، كما أنه يشير إلى الأسماء القديمة في الفهرس مبيناً الصفحات التي ورد فيها ذكر الاسم القديم...)، (عالم الكتب، رجب ١٤٠٠هـ).

ثانياً: كتب رحلات العبودي:

هذه كتب كثيرة، فيها معلومات لا نجدها في غيرها، عن بلدان يعيش فيها مسلمون، كما أن هذه الكتب تحتوي على انطباعات وأحاسيس إنسانية؛ وهي كتبٌ أسلوبها سهل، تصور المكان بأبعاده وألوانه، بمن فيه وما فيه، يأخذك مؤلفها معه في رحلته، يتحدث معك بصدق، فتثق به وتأنس لما يقول.

بلغ عدد كتب الرحلات المنشورة (إلى عام ١٤٢٤هـ) مئة وثلاثة، إضافة إلى ستين كتاباً لم تنشر بعد، وبذلك يكون مجموع كتب الرحلات مئة وثلاثة وستين كتاباً، وهذا رقم قد يجعل العبودي أكثر مؤلف عربي

معاصر ألّف في مجال الرحلات، لكن تميّز كتب رحلات العبودي ليس بسبب كثرتها وحسب، وإنما أيضاً لكون هذه الكتب تعتمد على رحلات قام بها المؤلف لهدف خدمة الإسلام والمسلمين، خصوصاً في البلدان التي فيها أكثرية غير مسلمة، وبالأخص البلدان التي لا نعرف عن المسلمين فيها إلا القليل، أولئك المسلمون المنسيون من إخوانهم في الدول الإسلامية، من أجل هؤلاء رحل العبودي إلى كل القارات وكثير من جزر البحار والمحيطات، وكتب عن المسلمين هناك وعن بلدانهم مذكرات يومية، تحولت إلى هذا العدد من الكتب. وللعبودي كتب أخرى ـ غير كتب الرحلات ـ منشورة وغير منشورة، تجعل عدد كتبه يصل مئة وتسعة وثمانين كتاباً. (إلى شمال الشمال: بلاد النرويج وفنلندا، ص ٣ ـ ١٣ والغلاف الأخير).

مشكلة عناوية بسبب كثرة الكتب:

نشر كتابه الأول عن رحلته إلى إفريقية وسماه: (في إفريقيا الخضراء)، ويبدو أنه لم يتوقع أن يكون له كتاب آخر عن هذه القارة، لذا عندما نشر كتابه الثاني سماه (صلة الحديث عن إفريقية)، ثم جاء كتاب ثالث سماه (بقية الحديث عن إفريقية)، ثم كتاب رابع سماه (بقية البقية من حديث إفريقية)، وعندما واجه السؤال: «ماذا لو صح عزمك على كتاب جديد بعد (بقية البقية) هذا؟» أجاب: «إن كتب المؤلف كالأولاد لذي الأولاد، لا يعدم

إذا كثروا أن يجد لهم أسماء قد تكون مطابقة للمسمى، وقد تكون غير ذلك...» (بقية الحديث عن إفريقية، ص ٥ ـ ٦، والإسلام والمسلمون في غرب إفريقية، أو بقية البقية من حديث إفريقية، ص ١٣ ـ ١٥).

كتب مشاهدات وملحوظات:

يقول في مقدمة أحد كتبه: «... أذكر القارئ الكريم بما حاولت أن أذكره به في كثير من كتبي في الرحلات، وهو أنه كتاب مشاهدات وملاحظات، وليس بكتاب دراسة عميقة، أو بحث مجمعي موثق بالإحصاءات والتفصيلات، فذلك له أماكن أخرى من كتب أخرى» (ذكريات من خلف الستار الحديدي... ص ١٣ ـ ١٦)، ومع ذلك فإنه في كتاب (بلاد العرب الضائعة: جورجيا) كتب فصلاً عن (جورجيا عند مؤرخينا القدماء) (ص ٢٣ ـ ٤٥).

محتوى هذه الكتب:

يحتوي كل كتاب من كتب رحلات العبودي ـ بشكل عام ـ معلومات يعتمد معظمها على ما يجمعه ميدانياً وما يشاهده ويلاحظه، وتشمل اسم البلد، والموقع الجغرافي مع توضيحه بخارطة، والمساحة، وشيئاً عن مظاهر سطح الأرض، وعن أحوال الجو، والنباتات، ومعلومات عن السكان والاقتصاد والحياة السياسية. كما تحتوي كتب رحلات العبودي على معلومات عن المسلمين ومساجدهم ونشاطهم الديني. وتكوِّن المذكرات

اليومية معظم صفحات هذه الكتب، وتشتمل هذه المذكرات على تسجيل عن أحداث الرحلة، حسب اليوم والتاريخ والوقت، من بدء الرحلة إلى انتهائها (الاستعداد للرحلة والحجوزات، والمرافقون، ومطار المغادرة والخدمات فيه، والطائرة والخدمة فيها، وما يراه بعد إقلاع الطائرة من سطح الأرض وسحاب وسماء، وكذلك عند هبوط الطائرة، ومطار الوصول والخدمات فيه، والاستقبال والمستقبلون، والذهاب إلى الفندق، والفندق ومستوى الخدمة فيه، وغرفته في الفندق وملحقاتها، والجولات والزيارات والاجتماعات، والكلمات التي تلقى في المناسبات، والهدايا والمساعدات....)، كما تحتوي الكتب على صور التقط المؤلف معظمها.

ويلحظ أن اهتمام العبودي بالبلدان التي لا نعرف عنها وعن المسلمين فيها إلا قليلاً، أكثر من اهتمامه بغيرها من البلدان، خصوصاً من حيث التفصيل في المعلومات.

ينبه إلى الأسماء العربية لأماكن معروفة بأسماء غير عربية:

من ذلك: نهر إتيل (الفولقا)، وبلاد الشاش (طشقند)، وبلاد الكُرْج (جورجيا)، ونيل غانة (نهر السنغال)، وبر الزنج (زنجبار)، والبحر الزنجي (المحيط الهندي) المقابل لساحل إفريقيا الشرقي... وغير ذلك.

يذكر معاني الأسماء الجغرافية الأجنبية:

من ذلك: السويد تعني الجنوب، والنرويج تعني الشمال، واستوكهولم تعني مستودع الجُزُر. وولاية (ماتو فروسو) في البرازيل تعني ولاية الحشائش الكثيفة في اللغة البرتغالية... وهكذا.

يستعمل كلمات عربية بمعنى كلمات شائعة لكنها ليست عربية:

من ذلك المصورة (الكَمِرَة)، وشرائط للمصورات (أفلام للكَمِرَات)، و(قاعة العابرين) (قاعة الترانزيت)، وحاشدة الكهرباء (البطارية)، والسروال الغليظ (البنطال).... وغير ذلك.

يعرف اللغة الإنكليزية:

يستخدم العبودي أحياناً اللغة الإنكليزية في رحلاته، يشير إلى ذلك كثيراً، مثل قوله: «كان جميع كلامي على وجه التقريب منذ غادرت جزيرة (كرساو) في البحر الكاريبي الواقع بين الأمريكتين الجنوبية والشمالية هو اللغة الإنكليزية» (إطلالة على استراليا وحديث عن المسلمين، ص٣٦).

رحلات عمل:

قام العبودي برحلاته التي ألف عنها هذه الكتب بناءً على تكليف من جهات كان يعمل فيها: الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، والهيئة العليا للدعوة الإسلامية، ورابطة العالم الإسلامي.

بـدأت رحلـة العمـل الأولى في ١٣٨٤/٣/٢٦هـ، واسـتغرقت ثلاثـة أشـهر وسـبعة عـشر يومـاً، وشملـت زيـارة تسع دول إفريقيـة (في إفريقيـة الخـضراء، ط٢، ص١٤).

وقـام بعـد تلـك الرحلـة بـرحلات كـثيرة، يقـول: «... فكـان كاتـب هـذه السطور، بتوفيق من الله وحُسن ظن أولياء الأمور، أحد أولئك الرجال الـذين ظلـوا كـثيري الترحـال، بـل صـاروا مـن مـدمني التسيار في الأقطـار»، (إلى شمال الشمال: بلاد النروج وفنلندا، ص ٣ ـ١٣).

ولم يكن الهدف من رحلاته تأليف كتب، يقول في مقدمة أول كتب رحلاته: «سجلت خلال زياراتي في مذكرات يومية انطباعاتي ومشاهداتي في تلك الأقطار، وحين كنت أكتب تلك المذكرات لم أكتبها لتكون تأليفاً، وحتى بعد كتابتها لم أكن أظن أنها ستكون كذلك...» (في إفريقية الخضراء، ص٢، ص٧ ـ ٨).

وكانت له رحلات عدة قبل رحلة العمل الأولى إلى إفريقيا، لكنه لم يكتب في تلك الرحلات يوميات، ولم يصدر عنها كتباً.

قد يسافر منفرداً وبدون حجز سكن:

سافر إلى نيروبي في ١٣٩٨هـ، إذ لم يكن أحد في استقباله في المطار، ولم يكن لديه حجز في فندق، وغامر بركوب (تاكسي) من المطار في الساعة الثانية بعد منتصف الليل. يقول: «وليس معي مرافق، ولا يوجد إلا

سيارات (التاكسي) التي هي نفسها خطر... ولكن لا سبيل غير ذلك وتوكلت على الله... حتى وقف (السائق) على باب الفندق... فقلت له إنني لم أحجز، لذا أخشى أن لا أجد غرفة فيه فينبغي أن تدخل معي للفندق، قلت ذلك لئلا أتركه مع حقائبي»، (جولة في جزائر البحر الزنجي، ص ١٧ - ١٨).

وقد يرأس وفداً ويُستقبَل رسمياً:

يقول عن وصوله إلى موسكو في ٦ رجب ١٤٠٦هـ، إنه وجد عند باب الطائرة عدداً من المستقبلين المرحبين، صحبوه وأعضاء الوفد إلى قاعة كبار الزوار في المطار، وخصصوا له سيارة رسمية سوداء اللون طويلة تخصص عادة لرؤساء الجمهوريات عندهم، وتقدم للضيوف الكبار من الوزراء ومن في حكمهم، كما خصصوا لأعضاء الوفد سيارة معتادة لكل اثنين منهم، و«أنزلونا في فندق... أشبه بالقصر العظيم... وأنزلوني في جناح تألف من غرفة للنوم وغرفة للطعام، تفصله عنها قاعة للجلوس، وفيه حمامان وعدد من الخزائن... كما أنزلوا الأخوة كل واحد في غرفة واسعة»، (في بلاد المسلمين المنسيين، ص ٢٧ - ٣٠).

نصوص مختارة من مشاهداته وآرائه:

جوازات وتفتيش:

يقول عن معاملة موظفي الجوازات والتفتيش في مطار جدة عند مغادرته

إلى نيروبي: «... أما ما يتعلق بمعاملة الموظفين... فهو إذا قورن بمعاملة الموظفين في البلدان الأخرى المتقدمة إدارياً، فإنه لا يساوي في ميزان الحسنات شيئاً كثيراً»، (جولة في بلاد الزنج، ص ١٥).

ويقول عن سفره في ساعة مبكرة في الصباح من مطار نيروبي: «أما الجوازات فلم أجد في مكتبه - أي مكتب موظف الجوازات - أحداً، وكان - أي المكتب - مظلماً، فطرقت المكتب بيدي فإذا به - أي موظف الجوازات - نائم...، ولما رأى جوازي سعودياً فرك عينيه مرة أخرى... ثم وضعه جانباً وأخذ يسأل أسئلة لا معنى لها... ولما نفدت الأسئلة قال: أريد شيئاً، ولما كان لا يستحق ذلك لم أعطه...، وهذا أمر لم أعهده في كينيا من قبل»، (جولة في بلاد الزنج، ص ٣٤).

وصف طائرة:

يقول: «والطائرة للخطوط السورية، وهي نفاثة صغيرة من طراز (تي يو ١٥٤) ومن صنع روسي... ونظراً لأن تذاكرنا في الدرجة الأولى، فقد أجلسونا في مقدمة الطائرة... ولكنني لاحظت وأنا في أول صف من الطائرة أنه أسوأ من مقاعد الدرجة السياحية في الطائرات العالمية، لأنني إذا وقفت مستقيماً ضرب السقف رأسي، ... لم أستطع أن أمد رجلي كما أفعل إذا كنت راكباً في الدرجة السياحية، وقل مثل هذا أو قريباً منه في الطعام... المائدة التي يوضع عليها الطعام تكاد تدخل في صدرك...، احتجت الدخول

إلى الحمام فوجدته ضيقاً خالياً من الورق الذي تنشف به الأيدي...»، (الرحلة الروسية، ص ٢٨ ـ ٢٩).

ويقول: «كانت الطائرة من طراز (بوينج ٧٣٧) وقائدها سعودي اسمه (أحمد زهران)، وكانت الدرجة الأولى مليئة كلها بركاب من السعوديين، ما عدا كورياً واحداً. أما المضيفات فهما فتى سعودي وامرأة أوروبية أظن أنها إنكليزية، ولكن قامت بالخدمة كلها تلك المرأة بنفس متبشرة ووجه باش هاش»، (جولة في بلاد الزنج، ص ١٤).

وصف سحاب:

يقول: «بدأت الطائرة بالتدني فوق سحاب أبيض... اخترقته إلى فراغ تحته خطوط أو خيوط من غيم أبيض رقيق نسميه في بلادنا (السدى)... ثم اخترقته إلى سحاب ينخفض عنه كثيراً، بحيث صار ذلك (السدى) يبدو عالياً جداً، فذكرت عند ذاك اختلاف اللغويين في تعريف (السدى) من الغيم، بسبب كونهم لم يدركوا موقعه من السحاب وهم على الأرض»، (الرحلة الروسية، ص ٢٩ ـ ٣٠).

وصف طريق:

يصف الطرق من مدينة (سق تونا) إلى مدينة (استكهلم): «... طريق واسع سريع اسمه (طريق أوروبا رقم ٤)...، اخترق الطريق جنات ملتفة، إلا أنها منسقة، ولا يشينها إن لم تقل يزينها إلا أوراق قد بدأت تحمارُّ أو تصفارّ

حين مسها برد أكتوبر، الذي هو كبرد ديسمبر في نجد، فصارت كمريض اصفر لونه قبل أن يذبل ويموت، إلا أن موتها إلى نشور، لا يستمر إلا شهوراً عدة حتى يحل عليها الربيع، وهو كربيع الشباب قصير في هذه البلاد، ولكنه ربيع كالشتاء عندنا يتبعه صيف كربيعنا، وفي خلال هذه الفصول الثلاثة غير الشتاء... تنزل الأمطار الغزار، حتى تستمر أحياناً طول الليل، وأحياناً طول النهار، مما جعل البلاد بلاد الأنهار والبحيرات....»، (إلى جنوب الشمال: بلاد السويد، ص ٦٠).

وصف مدينة:

يقول عن (فيلونس) عاصمة (لتوانيا): «عدد سكانها لا يزيد على (٧٠٠) ألف... فيها وسائل متعددة من وسائل النقل العامة... (الترللي باص) في كل الشوارع... إلى جانب الحافلات... وعربات الترام... إلى جانب سيارات الأجرة المعتادة... شوارع القسم القديم من المدينة ضيقة إلا أنها ذات أرصفة جيدة، يكثر فيها المشاة الذين هم من الأوروبيين الذين نعرفهم، إلا أنهم يتميزون بكثرة الشقرة فيهم، وبرشاقة ظاهرة في نسائهم بالنسبة إلى جيرانهم من الروس»، (في بلاد البلطيق، ص٤٢).

«الشفق» في بلاد البلطيق:

ويقول عن الشفق: «الشفق هو النور الذي يكون بعد غروب الشمس، يضمحل بعد الغروب شيئاً فشيئاً حتى يذهب كله...، والعادة يستمر في

بلادنا ساعة وثلثاً، أما في البلدان الشمالية فإنه يطول في الصيف حتى يبلغ طوله في بعضها أنه لا يتلاشى أبداً، وإنما يستمر في الغرب حتى يظهر نور الفجر في الشرق...، وغياب الشفق مهم من الناحية الفقهية، لأن دخول وقت صلاة العشاء يبدأ من غياب الشفق»، (في بلاد البلطيق، ص ١٢٢).

معلومات سياسية:

- «خلعوا على بلادهم كلها اسماً عاماً وهو الاتحاد السوفياتي، الذي يعني بالترجمة الحرفية الاتحاد الشوري، فالسوفيات معناها الحرفي الاستشاريون، والجمهورية السوفياتية من هذه الجمهوريات هي جمهورية سوفياتية أي شورية، بمعنى أن الأمر فيها شورى بين أهلها، وهو شورى فيما بينها وبين الجمهوريات الأخرى داخل الاتحاد السوفياتي. هذا هو المدلول اللفظي للكلمة، وإن كان في الحقيقة من باب تسمية الشيء بنقيضه»، (في بلاد المسلمين المنسيين، ص٢٠).
- «ومما يجدر ذكره هنا أن البلاد (السويد) كان يحكمها الحزب الاشتراكي منذ (٤٠) سنة إلى ما قبل سنة واحدة، إذ انتخب الحزب المحافظ الذي حاول أن يعالج اقتصاد البلاد بالحد من النفقات التي كان الحزب الاشتراكي التزم بها، ومن ذلك بعض ما يتعلق بالضمان الاجتماعي، مما جعل بعض الناس الذين يمسهم هذا الأمر بصفة مباشرة يغضبون على سياسة هذا الحزب المحافظ»، (إلى جنوب الشمال: بلاد

السويد، ص ١٦٨).

معلومات سكانية:

يقول: «الشعب السويدي ثابت العدد، بل إن الإحصاءات الأخيرة تدل على أن عدده ينقص بمعدل ما يقارب ٢٠٠ ألف نسمة في العام، ولكن المهاجرين يزيدونهم قليلاً...، وعلى هذا تكون المدن السويدية ثابتة العدد، (عدد السكان)، وبعضها ينقص عدد سكانها، ولذلك يمكنها أن تبقى على حالتها، أو ما يقارب حالتها القديمة، في عدد السكان وعدد المنازل، إلا ما كان من العاصمة التي قد تزيد بسبب مجيء المهاجرين إليها من الريف والمدن الصغيرة...، وإن كان بعض أهلها (العاصمة) القادرين يغادرونها للعيش في مدن صغيرة، أو في مناطق ريفية، طلباً للهدوء، وبُعداً من تكدير المدينة وتعقيداتها»، (إلى جنوب الشمال: بلاد السودي، ص ٦٥ ـ ٦٦).

الصلاة:

يقول في يومياته عن مدينة (ريقا) عاصمة (لتوانيا): «... صلى بنا الإمام... صلاة الظهر، فجهر في الركعة الأولى بقراءة الفاتحة وسورة الإخلاص بعدها، ثم جهر في الركعة الثانية بقراءة الفاتحة وسورة الكوثر... الأغرب منه جهر بالتشهد... والأفظع من ذلك كله أنه سلم للظهر عندما صلى ركعتين فقط»، (في بلاد البلطيق، ص١٥٠).

ويقول في يومياته في (بولندا): «... صلينا الظهر خلف إمام المسجد...

فصلى الظهر أربعاً يجهر فيها كلها... وكان قال لي: إن الظهر عشر ركعات، أربع قبلها، واثنتان بعدها، وهي أربع. والأغرب... أنه يسألني في محضر من القوم عن عدد ركعات صلاة الجمعة، أهي اثنتان أم أربع؟ فأسرعت أقول له: إنها اثنتان، فالتفت إلى قومه وقال: ألم أقل لكم إنها اثنتان؟!»، (في بلاد البلطيق، ص ١٥١).

إعجاب بالبرازيل:

- «... بلاد البرازيل ـ عمرها الله تعالى ـ التي يكون الإفطار فيها أكثر تنوعاً من طعام العشاء، وقد ذكرت ذلك في الكتب التي ألفتها عن البرازيل وعددها سبعة»، (في بلاد البلطيق، ص ٤٠).
- «على غاية من الأدب في المرور والجلوس والتعامل مع الآخرين... فهؤلاء البرازيليون يفعلون ذلك من قلوبهم بإخلاص غير متكلف»، (في غرب البرازيل، ص ١٣).
- «سبحان الذي أعطى أهل البرازيل هذا العطاء الجزيل» (في غرب البرازيل، ص ١٤).

وإعجاب بالسويد:

- «... الذي لا يكاد يصدقه المرء... أنها (الحكومة السويدية) تساعد الجمعيات الإسلامية في السويد في قيامها بالدعوة إلى الدين الإسلامي، حتى إذا عرفتْ أن جمعية إسلامية قد فترت همم أصحابها عن العمل في

الدعوة الإسلامية، وأنها تركت ذلك لسبب من الأسباب، قطعت عنها المساعدة المالية، وصرفتها إلى غيرها من الجمعيات الإسلامية العاملة، أو احتفظت بها لمن يعملون عملاً إسلامياً أكثر»، (إلى جنوب الشمال: بلاد السويد، ص ٣٣).

- «كثير من بني قومنا، خصوصاً المتدينين... يجعلون ديدنهم هجو السويديين، وتكرار نعتهم بالانحلال والفسوق...، إذ يتجاهلون الخطوات الإنسانية التي اتخذها السويديون في الميادين الاجتماعية وغيرها....، وفعلهم ذلك قد يجعل الشباب المسلم ممن لا يعرفون الأمر على حقيقته، وإنما يسمع ذلك سماعاً من أولئك الغيورين، يظن بل ربما يرسخ في ذهنه، أن العدل والضمان الاجتماعي والأمور الإنسانية الجيدة التي عند السويديين، إنما مرجعه إلى كونهم فسقة منحلين، وإنه لا بد لبلوغ تلك المرتبة من العدل والضمان الاجتماعي من أن يكون الشعب الذي يريد أن يصل إلى ما وصلوا إليه مثلهم، بأن يعمل مثل عملهم، مع أن ذلك غير صحيح، بل ربما كانوا هم أنفسهم متذمرين من الانحلال الاجتماعي ومن الفسوق المستشري في بلادهم»، (إلى جنوب الشمال: بلاد السويد، ص ٣٤ ـ ٣٥).

وإعجاب بمسلمي الهند:

مما يدل على ذلك أنه ألف عشرة كتب عن الهند (حتى ١٤١٩هـ)، يقول

في واحد منها: «وهدفي من هذا الكتاب ـ بالدرجة الأولى ـ هو أن يطلع الإخوة المسلمون في العالم على حال إخوتهم المسلمين في الهند، وعلى ما بذلوه، بل ما أسسوه واستنوه من عادات حميدة في عمارة المساجد، وإقامة الجامعات والمدارس، وتخصيص دور الأيتام، ورعاية العجزة وذوي العاهات...»، (في شرق الهند....، ص ٧ ـ ٨).

رأيه في اللباس العربي والعالمي:

يقول في رحلة إلى الاتحاد السوفياتي: «وأما نحن فإننا كلنا نلبس الثياب العربية الكاملة، وذلك لكون زيارتنا رسمية»، (في بلاد المسلمين المنسيين، ص ٣٧).

ويقول في رحلة إلى السويد: «من عادتي أن ألبس اللباس العالمي الإفرنجي في المطارات الدولية...»، «هذا اللباس الذي يلبسه بنو قومنا في الوقت الحاضر، ليس بلباس العرب المسلمين الأوائل...، ولا نستطيع أن نقول: إنه اللباس الإسلامي»، اللباس العربي في أوروبا، يدل عند الأوروبيين «على أن لابسه أحد رجلين: إما ثري من العرب الذين يعتبرونهم من الأغنياء الأغبياء...، وإما رجل مغفل متأخر ـ في نظرهم ـ لا يقدر الأمور حق قدرها، ولا يعرف للظروف حكمها، لأنهم هكذا عرفرا أُناساً من بني قومنا»، «الزي العالمي، الذي كان يسمى بالزي الإفرنجي قد أصبح شاملاً للعالم كله، حتى أصبح لابسوه في العالم أكثر من لابسيه الإفرنج»، (إلى جنوب

الشمال: بلاد السويد، ص ٤٠ ـ ٤٣).

مقارنة مسؤولين بمسؤولين:

أعجب باهتمام المسؤولين في سدني (استراليا) بجميع الشوارع حتى التي ليست في قلب المدينة، ويقارنهم بمسؤولين في بلاد أخرى «... يقصرون اهتمامهم بالأماكن التي يراها الناس، أو يمر بها الرؤساء أو الكبراء الذين بيدهم الحول والطول، ويدعون الأماكن العامة التي ينتفع بها الجمهور من الناس مهملة ذات أوضاع سيئة... الشعب في البلاد المتعلمة المتقدمة، هو الذي يختار المسؤولين في البلديات والخدمات العامة، حتى إذا أساء أحدهم حاسبه وعاقبه على أفعاله في إهماله. وأما في الشعوب المتخلفة، فإن المسؤولين يعينون من الرؤساء والكبراء....»، (إطلالة على استراليا وحديث عن المسلمين، ص ٥٠ ـ ٥١).

سبب ثراء الدول الصناعية: يقول: «لولانا نحن المستهلكين...، لما أثرت هذه الدول الصناعية...، لأن المهارة الصناعية هي تحويل المواد الخام الرخيصة إلى مواد مصنعة غالية، فمثلاً لو نظرنا إلى الساعة... وجدنا أن المواد الخام الموجودة فيها... لا تساوي دولاراً واحداً، ولكن تلك الساعة تساوي مثلاً مئة دولار...».

وبعد:

فإن إنتاج معالي الأستاذ/ محمد بن ناصر العبودي في (الجغرافيا ـ

البلدانيات)، إنتاج تتوافر فيه زيادة وتميز، كما أنه يبين جانياً مما قامت به بلادنا بهدف خدمة الإسلام والمسلمين في كل مكان. أكرر التهنية لمعالية، وأشكركم جميعاً.

الرحـــــالـــة
معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي

أ. د. عبداللطيف بن محمد الحميد

تتناول الورقة عرضاً موجزاً لسيرة العلامة الموسوعي المعاصر الشيخ محمد بن ناصر العبودي.. مع التركيز على جانب الرحلات التي قام بها عبر قارات العالم منذ عام ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، إلى عام ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، ودوّن خلالها أكثر من مائة وسبعين مؤلفاً مطبوعاً ومخطوطاً، وثقت رحلاته وأبانت جهوده المثمرة في خدمة العالم الإسلامي، إلى جانب خمسين مؤلفاً في الفنون الأخرى. وتحاول الورقة الإجابة عن تساؤلات عدة، منها ما يتعلق بالمحفزات التي دفعت العبودي للقيام برحلاته الشاقة والممتعة إلى عشرات الأقطار لمدة أربعين عاماً، ومنها ما يتعلق بتتبع المنهجية التي اتبعها العبودي في تدوين رحلاته وتوثيق معلوماته.

وقد جادت المملكة العربية السعودية، منذ نهضتها المباركة على يد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، بعدد من العلماء الموسوعيين.. برز منهم في مجال البلدانيات كوكبة من الرواد منهم محمد البليهد[1]، وحمد

(1) محمد بن عبدالله بن بليهد (١٣١٠ ـ ١٣٧٧هـ)، من مؤلفاته (صحيح الأخبار فيما في جزيرة العرب من الآثار)، و(تحقيق كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني)، و(ابتسامات الأيام في انتصارات الإمام)، و(ما تقارب سماعة وتباينت أماكنه وبقاعه): عبدالكريم

الجاسر[1]، وعبدالله بن خميس[2]، وسعد بن جنيدل[3]، ومحمد العقيلي[4]، وعاتق البلادي[5]، ومحمد بن عقيل[6]، وغيرهم.

بن حمد الحقيل، معجم مؤرخي الجزيرة العربية في العصر الحديث، الرياض، ١٤١٤هـ، ص ١٦.

(1) حمد بن محمد الجاسر (١٣٢٨هـ ـ ١٤٢١هـ)، من مؤلفاته (المعجم الجغرافي للبلاد السعودية)، و(معجم قبائل المملكة العربية السعودية)، و(في شمال غرب الجزيرة)، و(في سراة غامد وزهران)، و(في رحاب الحرمين)، و(تحقيق كتاب بلاد العرب للأصفهاني)، و(رحلات البحث عن التراث)، و(أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواقع) وغيرها: أحمد سعيد بن سلم، موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين، ج١، نادي المدينة المنورة الأدبي، ١٤١٢هـ، ص ١٣٨هـ.

(2) عبدالله بن محمد بن خميس ١٣٣٩هـ ـ)، من مؤلفاته (تاريخ اليمامة)، و(معجم اليمامة)، و(معجم جبال الجزيرة)، و(الدرعية)، و(المجاز بين اليمامة والحجاز)، و(الأدب الشعبي في جزيرة العرب) وغيرها: الحقيل، معجم مؤرخي الجزيرة العربية، ص ٤٢.

(3) سعد بن عبدالله بن جنيدل (١٣٤٣هـ ـ ١٤٢٧هـ)، من مؤلفاته (عالية نجد)، و(بلاد الجوف أو دومة الجندل)، و(معجم الأمكنة الوارد ذكرها في القرآن الكريم)، و(معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري)، و(معجم الأماكن الواردة في المعلقات العشر)، و(معجم التراث) وغيرها: د. عبداللطيف بن محمد الحميد، الشيخ سعد بن جنيدل علامة عالية نجد، صحيفة «الرياض» ١٤٢٧/٥/٢٩هـ.

(4) محمد أحمد بن عيسى العقيلي (١٣٣٦هـ ـ ١٤٢٨هـ)، من مؤلفاته: (المخلاف السليماني)، و(الآثار التاريخية في جازان)، و(المعجم الجغرافي، مقاطعة جازان)، و(معجم اللهجة المحلية في جازان) وغيرها: أحمد سعيد بن سلم، موسوعة الأدباء والكتاب، ج٢، ص ٣٣٧هـ.

(5) عاتق بن غيث البلادي (١٣٥٢هـ ـ)، من مؤلفاته: (معجم معالم الحجاز)، و(الأدب الشعبي في الحجاز)، و(معجم قبائل الحجاز)، و(معالم مكة التاريخية والأثرية)، و(المعالم الجغرافية في السيرة النبوية) وغيرها. سيرة البلادي بقلمه لدى الباحث.

(6) محمد بن عمر بن عقيل (١٣٥٧هـ ـ)، من مؤلفاته: (أنساب الأسر الحاكمة في

بيد أن الشيخ محمد العبودي تجاوز المحلية إلى العالمية، واقتفى آثار الرحالة المسلمين الأوائل، مثل أحمد بن فضلان[1]، ومحمد بن جبير[2]، وابن بطوطة[3] وغيرهم: إذ طاف العبودي بلاد العالم في زمن تطور وسائل المواصلات بالطائرة والسيارة والقطار.

الدراسات السابقة:

حاول الباحث تتبع مسيرة المترجم له وإنتاجه العلمي من خلال معاصرة جزئية، واهتمام وإعجاب بمسيرته، ووشائج تتلمذ معرفي على كتبه

الأحساء)، و(آل الجرباء في التاريخ والأدب)، و(العجمان وزعيمهم راكان بن حثلين)، و(تاريخ نجد في عصور العامية)، و(تباريح التباريح)، و(الشعر في البلاد السعودية)، و(تحقيق كتاب نوادر ابن حزم) وغيرها: الحقيل، معجم مؤرخي الجزيرة العربية، ص١٠٦.

(1) أحمد بن فضلان (كان حياً ٣٠٩هـ)، له رحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس، والصقالبة المعروفة برسالة ابن فضلان، عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين ج١، ص٢٢٠.

(2) محمد بن أحمد بن جبير البلنسي ثم الشاطبي (٥٤٠ ـ ٦١٤هـ)، من آثاره (رحلة ابن جبير)، قام بثلاث رحلات من المغرب إلى المشرق: عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين ج٣، ص٥٦.

(3) محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة (٧٠٣ ـ ٧٧٩هـ).. رحل ثلاث رحلات، استمرت رحلته الأولى ٢٥ سنة من المغرب إلى أقصى المشرق، إذ عاد عن طريق سومطرة فالهند فاليمن فبلاد العجم فالعراق فالشام فمصر ثم مكة ثم المدينة المنورة فالقدس فمصر ثم المغرب.. وهكذا بقية رحلاته التي دونها في كتابه النفيس (رحلة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار). عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج٣، ص ٤٥٢.

ودراساته، والاطلاع على ما كُتب عنه.

ومن أوائل المحاولات العلمية لرصد سيرة الشيخ وأعماله الدراسة التي قدمها الدكتور أمين سليمان سيدو بمجلة «الدرعية»، بعنوان (الأديب والرحالة محمد بن ناصر العبودي: ببليوجرافية بآثاره المطبوعة[1].

ثم صدرت دراسة موسعة لتلميذ العبودي البار الدكتور محمد بن عبدالله المشوح بعنوان (عميد الرحالين محمد بن ناصر العبودي ـ حياته ـ إسهاماته ـ جهوده)[2].. ولم تخل كتب التراجم وكتب الرحلات المعاصرة من الحديث عن العبودي من خلال مؤلفات الرداوي[3] وعبدالله حامد[4] وغيرهما.

ولا شك أن أهم المصادر عن مسيرة العبودي ورحلاته هي مؤلفاته نفسها.. إذ إن مضامين كتبه لم تخضع بعد لدراسات تحليلية كافية يمكن أن تكون نواةً لرسائل الدراسات العليا في الماجستير والدكتوراه.

ترجمة الشيخ العبودي:

---

(1) مجلة «الدرعية»، ع ١٦، ذو الحجة ١٤٢٢هـ.

(2) نشر الكتاب بمدينة الرياض سنة ١٤٢٤هـ في ٤٩٤ صفحة.

(3) محمود سليمان رداوي، الرحلات وأعلامها في الأدب السعودي المعاصر.

(4) عبدالله أحمد حامد، أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية، نادي أبها الأدبي، وعن الشيخ العبودي ترجمات مبثوثة في الكثير من الكتب منها: موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين، لأحمد سعيد بن سلم، ج٢، ص٢٦٧ ـ ٢٧٢، علي جواد الطاهر، معجم المطبوعات العربية في المملكة العربية السعودية، ج٣، ص١٢٦٧ ـ ١٢٧٠.

هو الشيخ محمد بن ناصر بن عبدالرحمن بن عبدالكريم بن عبدالله بن محمد بن عبود (العبودي)، ولد في بريدة في ٣٠ ربيع الآخر ١٣٤٥هـ، من أسرة آل سالم، التي تفرعت إلى أسر عدة، منها السالم والعبودي والغصن والهلالي والصليهم والنصار والحسن والعبود والشعلان والعضيب والذيب، وهم جميعاً من ذرية سالم بن جزاي بن علي بن حدجان آل محفوظ العجمي[1].

وقد ترجم الشيخ العبودي لنفسه فقال: (ولدت في مدينة بريدة عاصمة منطقة القصيم، ودرست على المشايخ فيها، ومن أشهر مشايخي: الشيخ عمر بن محمد بن سليم، قاضي بريدة، ونواحٍ تابعة لها من القصيم، والشيخ صالح بن أحمد الخريصي، رئيس محاكم بريدة، والشيخ صالح بن عبدالرحمن السكيتي، الذي كان قاضياً في بلدان عدة منها المذنب، ثم صار مدرساً في المعهد العلمي في بريدة، إلا أن أول مشايخي الذين قرأت عليهم هو الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن كريديس، رحم الله الجميع، وكان مشايخي وزملائي قد صاروا أعضاء هيئة التدريس في الكليات الجامعية عندما فتحت، أما عملي فإن أول وظيفة التحقت بها هي (قيم المكتبة جامع بريدة)، ثم وظيفة مدير المدرسة المنصورية في بريدة، ثم عُينت مديراً للمعهد العلمي في بريدة، ومنه نقلت إلى الجامعة الإسلامية في المدينة

(1) محمد بن عبدالله المشوح، عميد الرحالين، ص ٥١ ـ ٥٢.

المنورة في وظيفة الأمين العام للجامعة، وكنت أول الموظفين مباشرة للعمل في الجامعة، وفي عام ١٣٩٥هـ عُينت أميناً عاماً للدعوة الإسلامية، وأميناً للهيئة العليا للدعوة الإسلامية في رتبة وكيل وزارة، وفي عام ١٤٠٣هـ شغلت وظيفة الأمين العام المساعد للرابطة وهي الحالية التي أشغلها الآن)[1].

المحفزات التي دفعت العبودي للقيام برحلاته:

عرف الشيخ العبودي في مسيرته المباركة داعيةً ورحالةً ومؤرخاً ونسابةً ولغوياً وأديباً وشاعراً، وما يهمنا في هذا البحث هو تقصي العوامل التي ساعدت الشيخ في بلورة مشروع رحلاته، وكان لها أبلغ الأثر في دخول العبودي عالم الرحالين.

١ ـ المحفز الأسري:

كانت لأسرة العبودي صلة مصاهرة وقربى، وتتلمذ بجوار بالبيوتات العلمية في بريدة[2]، كآل سيف وآل سليم وآل العمري وآل سالم وآل عضيب وغيرهم، وكان والد العبودي رجلاً شهماً يحفظ أخبار العرب وقصصهم، وهو على معرفة دقيقة بالأسر والأنساب، وإن كان لا يقرأ ولا يكتب. وقد ذكر الشيخ للباحث أن والده ناصر توفي عام ١٣٧٠هـ، وأنه كان المحفز

---

(1) مجلة «المسافر»، عدد ٦٨، شعبان ١٤٢١هـ.

(2) عن مدينة بريدة ومكانتها التاريخية والعلمية انظر: معجم بلاد القصيم للعبودي، وعن جغرافية هذه المدينة انظر: بريدة ـ دراسة في الخصائص الطبيعية والسكانية للدكتور محمد بن صالح الربدي، الرياض ١٤٠٧هـ.

الأول له في حب التاريخ والأنساب[1]. والسبب في ذلك يعود إلى ما أشار إليه الدكتور المشوح في كتابه نقلاً عن الشيخ العبودي.

(ويشير الشيخ محمد إلى أن والده التحق بأحد الكتاتيب آنذاك إلا أنه لم يرق له حال ذلك المعلم، ثم ذهب به والده إلى البادية، إذ أمضى سنوات عدة مع شمر، بينما كان والده مع عقيل في العراق والشام. كما كان ذا عناية بالأدب، أما جده عبدالرحمن فكان شاعراً عامياً، ويعزو الشيخ محمد عناية والده بالاطلاع ومعرفة الأخبار والعناية بالعلوم الدينية إلى خال والده عبدالرحمن الشيخ المعروف الملا عبدالمحسن بن محمد السيف. وأسرة آل سيف أسرة علمية متقدمة... أما والدته فهي نورة بنت موسى بن عبدالله العضيب، وكانت قارئة للقرآن والكتب)[2].

٢ ـ المحفز البيئي:

كانت بريدة مركز العقيلات.. وهم جماعة من أهل القصيم وسائر نجد، تعيش في العراق والشام ومصر، تجارتهم الرئيسة الإبل والخيل ونقل القوافل عبر الجزيرة العربية وخارجها، ولهم دور بارز في التاريخ المحلي في عصر ما قبل النفط.. وقد وصفت الموسوعة العربية الميسرة بريدة آنذاك بأنها

---

(1) لقاء الباحث مع الشيخ محمد العبودي في منزله بالرياض ضحى الخميس ١٤٢٩/١٢/٢٧هـ.

(2) د. محمد بن عبدالله المشوح، عميد الرحالين، ص ٥٢.

(مركز تجاري كبير. ويقال إنها أكبر سوق للإبل في العالم)[1]، وأصبحت سير العقيلات وقصصهم ملهمة لأهالي المنطقة في الشجاعة والقوة والكرم والأمانة وحسن التعامل والرحلة في طلب العيش[2].

وفي بريدة أيضاً استوطنت أسر علمية، وبرز فيها علماء ذوو شهرة واسعة، تتلمذ عليهم الشيخ العبودي، فكانوا بمثابة اللبنات التي تأسس عليها علم الشيخ، وزاده في الرحلات الدعوية والبلدانية في أقطار العالم الإسلامي.

ومن أبرز شيوخ العبودي في بريدة الشيخ صالح بن إبراهيم الكريديس، رحمه الله (١٢٩٢ ـ ١٣٥٩هـ)، والشيخ العلامة عمر بن محمد بن سليم، رحمه الله (١٢٩٩ ـ ١٣٩٢هـ)، والشيخ صالح بن أحمد الخريصي، رحمه الله (١٣٢٨ ـ ١٤١٥هـ)، والشيخ صالح بن عبدالرحمن السكيتي، رحمه الله (١٣٣١ ـ ١٤٠٤هـ)، والشيخ العلامة عبدالله بن محمد بن حميد، رحمه الله (١٣٢٩ ـ ١٤٠٢هـ).

وهكذا في سائر سيرة العبودي في بريدة والرياض والمدينة ومكة المكرمة وغيرها، تتلمذ على العلماء وزمالة لهم وصداقة معهم فامتدت الصحبة مع العلماء أمثال سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ،

---

(1) الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الأول، دار الجيل، ١٩٩٥م، ص ٣٦٦.

(2) عن العقيلات انظر: عصر العقيلات للدكتور نواف بن صالح الحليسي، الرياض، ١٤١٧هـ.

وسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي، والشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني، والشيخ أبي الحسن الندوي، رحمهم الله وغيرهم من العلماء في داخل المملكة وخارجها[1]. وقد نال الشيخ العبودي أيضاً نصيباً وافراً من الرفقة والزمالة الطيبة مع عدد من الوجهاء والزملاء، مثل الشيخ صالح بن سليمان العمري والأستاذ علي الحصين والشيخ فهد السعيد وغيرهم[2].

٣ ـ المحفز الذاتي:

اتصف العبودي بما اتصف به علماء السلف الأوائل من الجدية والهمة وبذل العلم وحسن الخلق[3]، والحلم وسعة الصدر والتواضع وحسن الإنصات مع المحاورين، والعناية بتنظيم الوقت بين أسرته وعمله ورحلاته وتأليف كتبه، والحرص على التدوين والتوثيق[4].

هذه الصفات والسمات الذاتية الموروثة والمكتسبة حفزت العبودي على النجاح والتفوق في مسيرته العلمية والعملية ورحلاته المباركة.. دونما رغبة في الأضواء أو الشهرة أو المزاحمة على الألقاب.

٤ ـ المحفز العلمي والإداري والدعوي:

---

(1) د. محمد بن عبدالله المشوح، عميد الرحالين، ص ٦٣ ـ ٦٩.

(2) د. عمر بن صالح العمري، وقفات في حياة معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي، ورقة عمل مقدمة في ندوة تكريم معاليه من الجمعية التاريخية السعودية المنعقدة في بريدة.

(3) د. محمد بن عبدالله المشوح، عميد الرحالين، ص ٧٥ ـ ٧٨.

(4) د. عمر بن صالح العمري، وقفات مع حياة معالي الشيخ العبودي، ص ١٠.

بدأ الشيخ حياته العملية، في سن الثامنة عشرة عام ١٣٦٣هـ، قيماً لمكتبة بريدة التي رعاها الشيخان عمر بن سليم، ثم عبدالله بن حميد، فمدرساً بالمدرسة الفيصلية، ثم مديراً للمدرسة المنصورة في عام ١٣٦٨هـ، وبعدها بزمن يسير عين مديراً للمعهد العلمي في بريدة.

وفي عام ١٣٨٠هـ عين العبودي أميناً عاماً للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وهي المحطة التي شكلت شخصية العبودي الدعوية، وشجعته تبعاً لظروف عمله على الالتقاء بأبناء العالم الإسلامي في المدينة المنورة، وفي القيام برحلات دعوية وعلمية إلى البلدان الإسلامية.

وامتداداً لعناية المملكة العربية السعودية بأمور المسلمين في أرجاء العالم جاءت فكرة إنشاء الهيئة العليا للدعوة الإسلامية برئاسة الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود.. إذ عهد بالأمانة العامة فيها إلى الشيخ العبودي عام ١٣٩٤هـ.

ثم جاءت المحطة الأخيرة في جهود العبودي الإدارية والعلمية والدعوية بتعيينه من الدولة في وظيفة الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة عام ١٤٠٣هـ.. وهي المحطة التي أسهمت في تعدد وشمول رحلاته إلى أنحاء العالم[1].

ولا شك أن الشيخ العبودي داعية من الطراز الأول بأخلاقه الكريمة

(1) د. محمد بن عبدالله المشوح، عميد الرحالين، ص ٨٣ ـ ١٠٩.

وقدوته الحسنة وعلمه وتسامحه ولين جانبه وسخائه، مع خبرة واسعة وعلاقات ممتدة زاده الله توفيقاً وعوناً.

وفي الجملة فإن المحفزات الأسرية والبيئية والذاتية والعلمية والدعوية، ومهامه الرسمية قد حددت معالم مسيرة العبودي في رحلاته ومؤلفاته على النحو الذي سنلقي عليه الضوء في الصفحات الآتية.

أولاً: ملامح منهج العبودي في تدوين الرحلات:

المتتبع لإنتاج العبودي التأليفي في مجال الرحلات يدرك بوضوح منذ مؤلفه الأول (في أفريقية الخضراء) أنه اختط لنفسه منهجاً يسير عليه يوازن فيه بين متطلبات عمله العلمي والدعوي والتوثيق الميداني لأدب رحلاته.. وهو هنا يضع القارئ في الصورة، موضحاً أسباب رحلته الأولى الرسمية من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ثم منهجه في الرصد والتدوين فكتب:

(لقد أسست الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة لكي تستقبل العدد الكثير من أبناء المسلمين في شتى أنحاء العالم، فتوفر لهم الدراسة الإسلامية النقية في عاصمة الإسلام الأولى، لكي يعودوا ـ بعد إتمام دراستهم ـ إلى بلادهم دعاة للخير، وهداة للنور الإسلامي المبين.

وقد درجت الجامعة الإسلامية على أن تخصص كل عام منحاً دراسية توزعها على المسلمين في مختلف الأقطار، تحتضن من يستفيدون منها من قبل أن يغادروا بلادهم حتى يعودوا إليها. وكانت رئاسة الجامعة الإسلامية تضع في الاعتبار الأول حاجة القطر، الذي تخصص له المنح الدراسية

الإسلامية، إلى التعليم الإسلامي قبل النظر في حجمه السكاني، أو مساحته القطرية، أو كثرة النسبة العددية للمسلمين فيه، وذلك من باب البداءة بالأهم قبل المهم، والأولى على غيره.

ولكن كانت رئاسة الجامعة تجد شيئاً من الغموض عندما تحاول أن ترسم التقدير الصحيح لبعض البلدان الإسلامية، أو البلدان التي يقطنها مسلمون، وذلك بسبب النقص في المعلومات. لذلك طرح هذا الموضوع على البحث في مجلس الجامعة في أخريات عام ١٣٨٣هـ، الموافق عام ١٩٦٤م، وهو العام الثالث لإنشاء الجامعة، فرأى المجلس إيفاد بعثة تحت رئاسة الأمين العام للجامعة (كاتب هذه السطور) تسافر إلى بعض الأقطار الأفريقية المحتاجة للتعليم الإسلامي، وتطلع على أحوال المسلمين هناك. ثم تأتي بتقارير وافية عما شاهدته.

وهكذا سارع صاحب الفضيلة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، نائب رئيس الجامعة الإسلامية، إلى العمل على إنجاح هذا المشروع كعادته الحميدة في المسارعة إلى فعل الخيرات.

وكان أن رفعت رئاسة الجامعة الأمر إلى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فيصل بن عبدالعزيز، حفظه الله، وذلك للعرض على جلالته وطلب الموافقة، فحظي المشروع بالموافقة السامية، بل إن جلالته لم يقتصر على ذلك، وإنما أمر بأن تصطحب البعثة معها مبالغ من المال تدفع باسم الجامعة

في المدينة المنورة إلى المؤسسات والمدارس والهيئات الإسلامية في البلاد التي تزورها البعثة، على ألا يعلن عن ذلك، أي عن المبالغ المالية شيء، وألا يُنشر عنه شيء في الصحف في حينه، وأن يكون عمل البعثة مقصوراً على النشاط الإسلامي، وألا تقحم نفسها في أي نشاط سياسي قد يؤثر على أداء مهمتها الإسلامية الخالصة)[1].

ويدون العبودي خطواته الأولى في الرحلات بقوله: (وقد غادرنا المملكة العربية السعودية عن طريق مطار جدة الدولي إلى مطار الخرطوم في يوم الثلاثاء السادس والعشرين من ربيع الثاني عام ١٣٨٤هـ، الموافق لليوم الرابع من شهر أغسطس عام ١٩٦٤م.

تلك كانت قصة بداية رحلتي الأولى إلى أفريقية، وسوف استصحبك - أيها القارئ الكريم - إلى أكثر البلدان والقرى والدساكر التي مررنا بها في تلك الرحلة، عندما نقرأ معاً مذكراتي اليومية، فيما بعد، إن شاء الله.

وقد استغرق سفرنا مدة ثلاثة أشهر وسبعة عشر يوماً، زرنا خلالها السودان، وأرتيريا، والحبشة، والصومال، وكينيا، وأوغنده، وبوروندي، وتنجانيقة، وروديسية الشمالية، (زامبيا).

وبعد أن قدمنا من رحلتنا الأولى رفعنا إلى رئاسة الجامعة الإسلامية تقاريرنا التي وضعناها عن الرحلة، فسارع فضيلة نائب رئيس الجامعة

(1) محمد العبودي، في إفريقية الخضراء، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ، بيروت ص ٩ - ١٠.

الإسلامية الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى دراسة ما جاء فيها، وكان أهم ما عمله فضيلته أن قدم اقتراحاً لسماحة رئيس الجامعة، الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ بأن تكوّن لجنة لدراسة التقارير المذكورة من أعضاء عن الجامعة الإسلامية، ودار الإفتاء، ووزارة الخارجية، ووزارة المعارف، ورابطة العالم الإسلامي.

وقد وافق سماحة رئيس الجامعة على الاقتراح المذكور، والتأم شمل اللجنة، وكان من أهم توصياتها اقتراح بأن ترصد الحكومة السعودية مبالغ معينة من المال، وتعتمد وظائف تقدر في البدء بخمسين وظيفة، تخصص لتعيين مدرسين ومرشدين يتعاقد معهم في أقطار أفريقية مختلفة، ويوضع لعملهم نظام خاص، ويكون عملهم بعيداً من التدخل في الأمور السياسية، وإنما يقتصر على العمل في حقل التدريس والإرشاد، وتقديم النصح الديني المحض.

وكان أن قام سماحة مفتي الديار السعودية، الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رئيس الجامعة، برفع هذا الأمر إلى جلالة الملك المعظم فيصل بن عبدالعزيز، حفظه الله، وزاده توفيقاً وتأييداً، فوافق جلالته على ذلك. وأصدر أمره السامي إلى وزارة المالية والاقتصاد الوطني برصد المبالغ المطلوبة، وفتح الوظائف اللازمة، على أن يتم ذلك كله على يدي سماحة المفتي، وأن يكون تنفيذه بوساطة دار الإفتاء. وقد عهد سماحة المفتي،

حفظه الله، إلى فضيلة نائبه في الإفتاء الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بالقيام على تنفيذه وإخراجه كاملاً إلى حيز الوجود. فصدع فضيلة الشيخ إبراهيم بن محمد بالأمر، وأخذ في الإجراءات السريعة الكفيلة بعدم تأخيره.

وكان من بين ما رآه فضيلته أن يصدر فضيلة المفتي، رئيس الجامعة، أمراً يقضي بتكليفي بالسفر إلى عدد من الأقطار الأفريقية المحتاجة للتعليم الإسلامي، وذلك للاتصال بالجمعيات الإسلامية، والاتفاق معها على تعيين أماكن المدرسين، والمرشدين هناك، ثم إكمال الإجراءات اللازمة لاستقبالهم وتيسير إقامتهم. فوافق سماحته على ذلك. وتقدم لجلالة الملك فيصل المعظم بالتماس إعطائي مبالغ مالية مما أمر جلالته برصده للدعوة في إفريقيا أقوم بتوزيعها على الجمعيات والهيئات الإسلامية، وقد وافق جلالته على ذلك، وأصدر أمره السامي إلى وزارة المالية بصرف المبالغ المطلوبة. وهي تزيد أضعافاً على المبالغ التي كنا قد وزعناها في رحلتنا الأولى.

وقد رأى فضيلة نائب رئيس الجامعة الإسلامية الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، أن أقوم بجانب أداء المهمة المذكورة بمهمة أخرى، وهي تقديم المنح الدراسية في الجامعة الإسلامية إلى المسلمين في تلك الأقطار الأفريقية، واختيار الطلبة الذين يستفيدون من المنح المذكورة، وإكمال ترحيلهم إلى المدينة المنورة. وهكذا أصبحت المهمة التي وُكِّل إليّ أمر

تنفيذها في هذه الرحلة الثانية ذات ثلاث شعب:

أ ـ تعيين أماكن المدرسين والمرشدين في أقطار شرقي ووسط أفريقية الذين تزمع دار الإفتاء إرسالهم إليها.

ب ـ توزيع الإعانات المالية على الهيئات والمؤسسات والشخصيات الإسلامية هناك.

ج ـ تقديم المنح الدراسية من الجامعة الإسلامية واختيار الطلاب للمنح المذكورة.

هذا وقد اخترت لمرافقتي في هذه الرحلة الأستاذ عبدالله بن حمود الباحوث، رئيس المحاسبة بالجامعة الإسلامية، وذلك لخبرته في الشؤون المالية والحسابية التي احتاجها في ضبط أوراق المبالغ المالية التي أحملها، ولأنه لا بد لي من مرافق في تلك الرحلة الطويلة، رأيت فيه خير من يصلح لذلك.

وهكذا غادرنا المدينة المنورة يوم السبت ٥ جمادى الأولى ١٣٨٦هـ، الموافق ٢١ أغسطس ١٩٦٦م).

ويشير الشيخ العبودي في كتابه الأول هذا عن الرحلات إلى منهجه الخاص في التدوين والتوثيق الذي سار عليه في بقية مؤلفاته في رحلاته الدعوية والعلمية، إذ يقول: (إن محتويات هذا الكتاب عبارة عن مشاهدات وانطباعات في مذكرات يومية كما قدمت، لذلك أبقيتها كما كتبتها،

ولم أضف إليها أي شيء مما يمكن إضافته من المصادر المكتوبة التي تحدثت عن تلك البلاد، لأنها معروفة للباحثين، وليس لمن يريد الاطلاع عليها. وليس من اللائق أن يأخذ المرء ما ذكره غيره، وينسبه إلى نفسه. ولم أحذف من مذكراتي إلا ما كان منها شخصياً محضاً، أو متصلاً بالحديث عن بعض الشخصيات الإسلامية، والمقابلات التي تمت مع المسؤولين المسلمين مما لا يحسن نشره، أو لا فائدة من ذكره.

وقد رتبت يوميات الرحلة الأولى لكل بلد على حدة، ثم اتبعتها بيوميات الرحلتين الثانية والثالثة إليه إن وجدت، ثم أتبعت ذلك بحديث عن الأوضاع الإسلامية فيه، حسبما توصلت إليه بنفسي مع زملائي، وذلك ليسهل الرجوع إليه لمن أراد، أي أنني لم أرتب اليوميات على التسلسل التاريخي لها)[1].

ويؤكد العبودي هذه المنهجية في مؤلف آخر بقوله: (ولقد عولت على المشاهدات الشخصية والحصول على المعلومات المدانية ولم أحفل بتدوين ما جاء في الكتب والمراجع التي يستطيع أن يحصل على ما فيها من هو قاعد في بيته جالس بين كتبه)[2].

ثانياً: وضع مقدمة وتمهيد لكل مؤلف على حدة:

أوضح العبودي في مقدمة كتبه والتمهيد لها أسباب زياراته ومناسباتها

---

(1) محمد العبودي في إفريقية الخضراء، ص ١٤ ـ ١٨ .

(2) محمد بن ناصر العبودي، على قمم جبال الأنديز، الرياض، ١٤١٠هـ، ص ٥.

وأسماء مرافقيه إن وجد، ثم يمهد للبلاد التي يزورها في رحلته بمعلومات جغرافية وتاريخية، وخارطة توضيحية، وسبب تسميتها وموقعها وسكانها وتاريخها عبر العصور بإيجاز.. ويستقي هذه المعلومات من مقابلاته مع الأهالي والمسؤولين، أو من معلوماته الجغرافية التي سبق اطلاعه عليها.

يقول: (وكنت على عادة لي قديمة أقيد ما أشاهده، أو ألاحظه وما أسمعه مما يوضح شيئاً مما شاهدته، أو استنتجته، وحتى ما يبديه غيري ممن أثق به حول شيء من ذلك، وإن كنت أنسب القول إليه لتكون العهدة عليه)[1].

وفي أول الكتاب الذي يتحدث فيه عن رحلة إلى بلد معين يضع العبودي قائمة بكتبه السابقة عن الرحلات لكي يربط بين مؤلفه الجديد وما سبقه من المؤلفات. وهذا الترابط يضع القارئ في الصورة بشكل يجعله يتوق إلى الاطلاع على بقية الرحلات.

ثالثاً: توثيق الرحلات بالتاريخين الهجري والميلادي وبالصور الفوتوغرافية:

مع وصف أدبي راقٍ، مؤرخاً للأسماء والمسميات ولرؤساء الجمعيات والسفراء والأصدقاء والدعاة.. ومدوناً كل شيء يمر به في رحلته أو يلفت نظره.. مقارناً ما يشاهده في الرحلة بما في بلاده أو بلاد أخرى، سواء في ظاهرة جغرافية أو اجتماعية أو فارق لغة أو لهجة.

رابعاً: من ملامح منهجيته وأسلوبه المميز استخدامه لسيارات الأجرة:

---

(1) محمد بن ناصر العبودي، في شرق الهند، الرياض، ١٤١٩هـ، ص ٩.

من المطار في البلد الذاهب إليه محققاً بذلك هدفين: الأول عدم تكليف الجهات الرسمية أو الدعوية في البلد الذاهب إليه. والثاني من أجل الاستفادة من الحوار مع السائق في الطريق من المطار إلى مقر السكنى.

وبعد الانتهاء من مهامه الرسمية وارتباطاته العملية والدعوية.. يذهب بعد التاسعة مساءً بمفرده في الشوارع والميادين والأزقة.. ويعلل ذلك بعدم الرغبة في الإثقال على المرشدين نهاراً وليلاً، الأمر الذي حقق له مزيداً من الاعتماد الذاتي في رحلاته.

ويحرص عند ركوبه الطائرة على الجلوس في المقاعد المطلة من النافذة ليرى الأرض ويتعرف على تضاريس البلاد الذاهب إليها وإطلالتها من الجو.. ولكنه يفاجأ أحياناً بما يمنعه من ذلك فيكتب من البرازيل:

(كنت أمني النفس برؤية أرض المنطقة من الطائرة في هذا الوقت المناسب من اليوم غير أن غيماً أبيض، خفيف الظل على الأرض، ثقيلاً على عيني، قد أخذ يتطفل أو يتدلل فيبسط أردانه ما بين طائرتنا اللاهثة في السماء، وبين الأرض التي لا نرى منها إلا خضرة باهتة.....)[1].

خامساً: فرز مؤلفاته في الرحلات إلى مجموعات متجانسة جغرافياً:

عندما وجد العبودي نفسه يزور بعض البلاد أكثر من مرة.. فإنه يضيف إلى ما ألفه عنها سابقاً تأليفاً جديداً، لأن رحلاته اللاحقة زار فيها مدناً أو

(1) محمد بن ناصر العبودي، على أرض القهوة البرازيلية، الرياض ١٤١٥هـ، ص ١٠.

أقاليم لم يزرها من قبل، أو قد مضى زمن طويل على زيارته الأولى، فتكون الكتابة الجديدة بمثابة الإضافة في المعلومات والإحصاءات والمقارنات بأوضاع المسلمين السابقة في هذه البلاد أو تلك.

يقول العبودي: (وقد اجتمعت لي من الكتب التي كتبتها عن الهند عشرة، هذا الكتاب عن مشرق الهند آخرها.....)[1]، ولذلك أطلق على هذه المجموعة عبارة (الرحلات الهندية).. وعلى المجموعات الأخرى (الرحلات الأفريقية)، و(رحلات إلى القارة الأوربية)، و(الرحلات الآسيوية)، و(رحلات القارة الأمريكية الجنوبية)، و(رحلات إلى أمريكا الشمالية)، و(الرحلات الصينية)، و(الرحلات الكاريبية)، و(رحلات بلقانية)، و(استراليا وجنوب المحيط الهادي)، و(رحلات في جمهورية الموز)، و(الرحلات الروسية)، و(الرحلات السيبيرية).

سادساً: الملمح الأدبي في اختيار عناوين رحلاته:

اعتنى العبودي في بعض كتبه في الرحلات باختيار عناوين ذات ملمح أدبي أو مدلول خاص يريده المؤلف، موضحاً سبب ذلك في مقدمة الكتاب من مثل: (تائه في تاهيتي - في نيبال بلاد الجبال - بين الأرغواي والبارغواي - مقال عن بلاد البنغال - أيام في فيتنام - المستفاد من السفر إلى تشاد - الاعتبار في السفر إلى مليبار - الحل والرحيل في بلاد البرازيل).

---

(1) محمد بن ناصر العبودي، في شرق الهند، ١٤١٩هـ، ص ٨.

وقفات مع حياة معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي

أ.د. عمر بن صالح بن سليمان العُمري

أيها الأخوة الأفاضل، تهدف هذه الورقة إلى إعطاء نبذة عن سيرة معالي العلامة الشيخ محمد بن ناصر العبودي، من خلال تتبع بعض المحطات المهمة في حياة معاليه، بدءاً بمولده ونشأته وتعليمه، ومروراً بالوظائف التعليمية والتربوية التي اضطلع بها، وانتهاءً بالحديث عن وظائفه الدعوية التي أكملت حبات العقد الفريد في سيرته.

وستحاول الورقة البُعد عن المنهج السردي المعتاد في السير الذاتية، وتتجه إلى منهج التحليل والاستنتاج، من خلال محاولة معرفة أثر تلك المحطات في تكوين شخصية الشيخ محمد العبودي، ومن ثم أثرها في ما قدمه لنا من نتاج أو حصاد ثري، تمثل فيما بين أيدينا من موسوعات علمية في اللغة والأدب، وفي التاريخ بمختلف صوره، وفي الجغرافيا وفي البدائيات، وفي هذا الكم الوفير من كتب الرحلات.

هذه الثروة العلمية التي تجعلنا نقول، من دون تردد، إننا أمام شخصية غير عادية.

واسمحوا لي قبل أن أعطي نبذة عن حياة معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي أن أصادق على المقولة التي تقول إن: (المعروف لا يُعرف)، ولذلك فإني أقرُ ابتداءً بأني في مثل هذه العجالة، وفي مثل هذا الموقف، لن أستطيع

أن أوفي الشيخ ولو شيئاً يسيراً مما يستحقه من التعريف بحياته الحافلة بالعطاء، ولذلك فهي عبارات وجمل تذكيرية ببعض من حياة معالي الشيخ، أقول فيها مستعيناً بالله تعالى:

هو الشيخ محمد بن ناصر بن عبدالرحمن العبودي، ولد في مدينة بريدة عام ١٣٤٥هـ، وقد تهيأ للشيخ محمد العبودي بيئة دينية وتربوية وتعليمية، مكنته من أن ينشأ نشأة صلاح وعلم وتقوى، وأن ينطبع أثر ذلك فيه في مراحل عمره المختلفة.

فوالده كان (رجلاً شهماً، يحفظ أخبار الناس وأحاديث العرب وقصص المروءة والشهامة، وكان ذا معرفة بالأسر والأنساب، على الرغم من أنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب).

ووالدته (هي نورة بنت موسى بنت عبدالله الغضب، وكانت قارئة للقرآن وللكتب).

التحق الشيخ العبودي في بداية حياته بأحد الكتاتيب المعروفة في بريدة، وبالمدارس غير النظامية في بريدة، قبيل انطلاقة التعليم النظامي، ففي البداية التحق العبودي بأحد الكتاتيب التقليدية القريبة من بيته، هو كُتّاب الشيخ سليمان العمري، وهو دون السادسة من العمر، ثم لم يلبث أن انتقل إلى كُتاب آخر أحدث أسلوباً وأكثر تطوراً ، وهو كُتاب الشيخ محمد بن صالح الوهيبي، الذي كان يستخدم طرقاً تعليمية تفوق بعض الكُتاب

السابقين له، وعند افتتاح المدرسة النظامية في بريدة عام ١٣٥٦هـ، كان الشيخ محمد العبودي من أوائل الطلبة الذين التحقوا بها وأفادوا منها.

كما طلب الشيخ العبودي العلم على مجموعة من العلماء البارزين في المنطقة وفي غيرها، منهم:

- الشيخ صالح بن إبراهيم الكريديس.
- العلامة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد.
- العلامة الشيخ صالح بن أحمد الخريصي.
- الشيخ صالح بن عبدالرحمن السكيتي.
- الشيخ المربي عبدالله بن إبراهيم السليم.
- الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ، مفتي الديار السعودية.

وعمل الشيخ العبودي في السلك الوظيفي منذ وقت مبكر من حياته، وبالتحديد منذ عام ١٣٦٤هـ، وكانت أولى الوظائف الحكومية التي التحق بها هي وظيفة «قيم مكتبة بريدة العامة»، التي كانت من أقدم المكتبات العامة في المملكة العربية السعودية، وهي ما تُعرف الآن بمكتبة الملك سعود، التي تشرفت وحظيت قبل أعوام بافتتاح صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز - يرحمه الله - لمبناها بحلتها الجديدة.

وفي العام نفسه - أي عام ١٣٦٤هـ - عُين الشيخ محمد مدرساً في مدرسة بريدة.

وظل يجمع بين الوظيفتين إلى شهر صفر من عام ١٣٦٨هـ، حين عُين مديراً للمدرسة الثانية في بريدة، وهي المدرسة المنصورية، وفضّل أن يُعطي جل اهتمامه لإدارة المدرسة، فاستقال من عمله في المكتبة، وتفرغ لإدارة المدرسة.

ويبدو أن نجاح الشيخ محمد في إدارة المدرسة المنصورية دفع بالمسؤولين إلى اختياره مديراً للمعهد العلمي في بريدة بعد افتتاحه في مطلع ١٣٧٣هـ.

وقاد نجاحه في إدارة المعهد العلمي إلى موقع أعلى وأهم، ففي عام ١٣٨٠هـ عُين الشيخ محمد العبودي أميناً للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة عند افتتاحها، وكان بذلك أول موظف يلتحق بالجامعة.

واستمر الشيخ محمد يعمل في تلك الوظيفة، وتدرج في وظائفها إلى أن صدر قرار مجلس الوزراء بترقيته إلى وكيل للجامعة.

ثم في عام ١٣٩٥هـ انتقل إلى وظيفة دعوية هي الأمين العام للدعوة الإسلامية، وظل يعمل بها إلى عام ١٤٠٣هـ، حين رُشح للعمل أميناً عاماً مساعداً لرابطة العالم الإسلامي، وهي الوظيفة التي يشغلها الآن، متع الله حياته بالعمل الصالح[1].

---

(1) للمزيد من ترجمة العبودي يمكن الاطلاع على ما ورد في مقدمة كتاب (معجم بلاد القصيم) للعبودي. وانظر كذلك ما كتبه محمد بن عبدالله المشوح، (عميد الرحالين محمد بن ناصر العبودي: حياته - إسهاماته - جهوده) الطبعة الأولى، الرياض ١٤٢٤هـ. ص ٥١ - ١٢٣.

ويعد الشيخ محمد العبودي من العلماء الموسوعيين الأقلاء في زماننا الحاضر، فقد جمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا، ولا تستطيع أن تصفه أو تحصره في علم واحد من العلوم، فالعلوم كلها تتجادل فيما بينها، وكل منها يتنازع الشيخ وطلب وده.

فهو إلى جانب براعته في العلوم الشرعية، يعد عالماً من الدرجة الأولى في اللغة العربية وآدابها، والشواهد على ذلك عدد كبير من المؤلفات الفريدة في مواضيعه في علوم اللغة العربية وآدابها، مثل: كتاب «الأمثال العامية في نجد» أصولها ومقارنتها بالأمثال الأخرى، وهذا كان أول كتاب صدر للشيخ في عام ١٣٧٩هـ، وطور الشيخ هذا الكتاب بعد ذلك إلى أن صدر في خمسة مجلدات، رتبه على حروف المعجم، وعلى رؤوس الموضوعات، مع شرح لألفاظها ومعانيها. وكتاب "كلمات قضت"، وغير ذلك من الكتب في اللغة والأدب مما لا يتسع المجال لذكره.

ثم انتقل إلى علم آخر يطلب ود الشيخ، وهو علوم الجغرافيا والبلدانيات أو ما يعرف بالمعاجم الجعرافية، والشيخ كما تعرفون فرغ نفسه أو جزءاً من وقته لتأليف المعجم الجغرافي الكبير، (معجم بلاد القصيم) الذي صدر قبل حوالي عشرين عاماً في ستة مجلدات والذي كان ولايزال المرجع الأول لكثير من الباحثين والمهتمين. وهذا الكتاب في الحقيقة بحد ذاته يعد شاهداً على موسوعية الشيخ العبودي، فهذا المعجم من المؤلفات التي تجمع

بين عدد من الفنون، فهو مليء بالمعلومات الجغرافية والتاريخية واللغوية والأدبية وغيرها.

وقد بيّن العبودي منهجه في تأليف الكتاب وما يشتمل عليه من معلومات خلال مقدمته التي نقلت عنها بإيجاز قوله:

(فهذا معجم يضم المواضع الواقعة في بلاد القصيم ويشمل منطقة هامة من جزيرة العرب بل من قلبها).

وهذا المعجم يعتبر جزءاً من «المعجم الجغرافي الحديث للبلاد العربية السعودية» الذي تولى النداء لإصداره، ثم تولى الإشراف على إنجازه الأستاذ العلامة حمد الجاسر.

أما المواضع التي ستذكر في هذا المعجم فإنها تشمل على وجه الإجمال ما له اسم خاص من مدينة وقرية وبلدة وهجرة وواد، ومورد ماء وروضة، وخب بين الرمال، وكثيب رمل، وقصر مميز باسمه وبئر لها تاريخ تعرف به، ومنهل وقع فيه ما يجعله مادة للحديث، وقاع، وجبل، وهضبة، أو علم من الأعلام، أو قارة من القارات (بتخفيف الراء)، أو عرفة من العرف، كما يشتمل على ذكر الناحية من البلاد، والمرتع من المراتع في الصحراء. إلى جانب ذكر الطريق اللاحب، والسناف الممتد، والسهل من السهول، والجال المشرف، والعين الجارية، أو التي كانت جارية إضافة إلى ذكر الجواء والسباخ وذكر النقرة والوهدة والضرب، ومعدن الملح، ومنجم الذهب،

كما لا ينسى هذا المعجم أن ينوه بأسماء أحياء المدن، ومحلاتها، وأسواقها المشهورة.

وخطتي التي سرت عليها هي أن أذكر الموضع في الاسم المخصص له، حسب حروف المعجم، لا بالنسبة للحرف الأول فقط، بل بالنسبة أيضاً للحرفين الثاني والثالث ... الخ.

ثم أضبطه ضبط قلم، ثم ضبط حروف، بذكر الحركات اللفظية كما يلفظ باسمه في الوقت الحاضر، وليس على مقتضى اللفظ الفصيح، ثم أعرف الموضع تعريفاً مناسباً. أما بالنسبة للتعريفات القديمة والنصوص التي وردت فيه إذا وجدت فإنني أحرص على استكمالها وذكرها كلها.

ثم أذكر بعد تعريفي الخاص بالموضع، وتعريف القدماء به إن وجد، ثم أذكر الشواهد الشعرية، وبقية ما يتعلق به.

وقد تعمدت أن أذكر بعض اللمحات التاريخية التي حدثت في بعض المواضع على وجه الاختصار.

ثم أنقل الأشعار العامية التي ورد فيها ذكر الموضع.

من طريقتي في التعريف بالموضع أن أقرنه بذكر مكان مشهور، أو ناحية معروفة، وذلك كأن أقول: إن جبل (صارة) واقع في الجهة الشمالية الغربية من ناحية الجواء.

وقد جعلته معجماً حياً أخصص رسماً فيه إلا لموضع يسمى بذلك الاسم

الذي ذكرته له في الوقت الحاضر.

وإذا كان الموضع الذي أتكلم عنه يشترك في الاسم مع موضع آخر، أو مع مواضع عدة في الجزيرة العربية كلها قديمة التسمية، فإنني أختار من نصوص المتقدمين، وأشعار الشعراء ما ينطبق على الموضع الذي أتكلم عنه، أو ما اعتقده كذلك، إذا لم تكن دلالته عليه قطعية[1] دون أن أذكر المواضع الكثيرة التي يشترك معها الموضع القصيمي في الاسم. وذلك كله فعلته اختصاراً للكلام.

كما أنني قد أذكر الإدارات الرسمية والمؤسسات الحكومية في رسم البلدة أو القرية، ولكن ذلك ليس بعام شامل، إذ جربت التسابق مع النهضة الشاملة التي تعم المملكة العربية السعودية في هذه الأزمان، فكان أن سبقتني النهضة، فكان لابد من إعادة النظر في ذكر الإدارات كل شهر وذلك ما يصعب ملاحقته، فذكر بعضها منوهاً هناك أن ذكري لها هو على سبيل المثال لا الحصر، لأن فتح الإدارات والمؤسسات مستمر نما نمواً لا يتوقف ولله الحمد)[2].

ومن الجميل أن هذا المعجم ولد عملاً مهماً هو معجم أسر القصيم، الذي شارف العبودي على الانتهاء من بعض أجزائه المتعلقة بمعجم أسر بريدة، وعن ذلك قال العبودي في مقدمة معجم بلاد القصيم:

---

(1) يقصد أنه يترك ذكرها عمداً.

(2) انظر المقدمة التي كتبها العبودي، في معجم بلاد القصيم.

(... كما أنني في بداية التأليف أخذت أعمل في تقييدات تتعلق بأحوال الأسر التي تسكن في كل بلد من بلدان القصيم خصوصاً ما يتصل بتلك الأحوال من الأنساب على عزم أن أذكر فصلاً ألحقه في رسم بلد يتضمن أهم الأسر التي تسكنه وبيان الأشخاص البارزين من كل أسرة. وجلاء إيضاح الناحية التي برزوا فيها خصوصاً ما يكون منها له علاقة بتاريخ ذلك البلد، إلا أنني وجدت أن ذلك سيطيل أمد تسويد الكتاب لما لعلم الأنساب من أهمية وما هو عليه من تشعب، لاسيما في منطقة لم يؤلف كتاب في أنساب أهلها. وذلك إلى جانب كونه يجعل الكتاب أكبر حجماً، إلى درجة أن يثقل ذلك على من يريد معرفة البلدان من دون أن يكون له رغبة في معرفة الأنساب أو أحوال الأسر فيها.

فحذفت تلك التقييدات وجعلتها أصلاً لكتاب آخر غير هذا الكتاب، أسميته (معجم أسر أهل القصيم). وهو وإن كان حتى الآن بعيداً من التمام فإن ما أنجزته منه يعتبر مرضياً لي وحافزاً على إكماله بتؤدة وعلى تمهل، خصوصاً أنني وسعت دائرته حتى قصدت أن يكون سجلاً حافلاً بما يستحق الذكر من أخبار كل أسرة من أسر القصيم، وطريقتي فيه أن أذكر اسم الأسرة القصيمية، ومعنى الاسم واشتقاقه، وسبب تسميته إن وجد السبب وعرفته، ثم أذكر من أي بلد في القصيم تتكون تلك الأسرة، وبلدها الذي كانت فيه قبل وصولها إلى القصيم، ثم أذكر البارزين من

رجالهم وترجماتهم وأخبارهم بما في ذلك آثارهم وأشعارهم وتاريخ قبيلتهم حسبما تيسر لي من ذلك)[1].

ومن الكتب الفريدة في بابها كتاب (كلمات قضت)، وليس أدل على ذلك مما قاله المؤلف عن هذا الكتاب للتعريف به، وبمنهجه في تأليفه، إذ قال في مقدمته: (هذا الكتاب يشتمل على ألفاظ وكلمات من لغتنا الدارجة كانت حية نامية في كلامنا، بل كانت كذلك منذ قرون عدة).

وقد عدت عليها عوادي الزمن فاضمحلت حتى ماتت بعد أن تغيرت الحياة بنا نحن أهلها.

فكان أن ماتت تلك الألفاظ والكلمات القديمة، وإن كان موتها ليس فجائياً، فالألفاظ ليست كالأشخاص الذين قد يموت بعضهم موت الفجاءة.

وهذا ما حدا بي إلى تأليف هذا الكتاب الذي يضم آلاف الألفاظ، والكلمات العامية التي قضت نحبها، وماتت في مهدها، فنسيها أهلها، وتناساها حتى من كانوا يعرفونها، ونشأت الأجيال الطالعة لا تعرف عنها إلا كما تعرف من الألفاظ المنقرضة، أو من الكلمات المهجورة.

ولذلك سميت هذا الكتاب: (كلمات قضت) لأنها صارت بالفعل كذلك لدى أكثر الناس، فعلى سبيل المثال لو ذكرتها للمتخرجين في الجامعات الذين منهم حملة الشهادات العليا وجدتهم لا يعرفونها،

(1) المصدر السابق نفسه.

ولا يعرفون معانيها، ولا أوجه استعمالها عندما كانت مستعملة.

فرأيت أن ترك هذه الألفاظ والكلمات التي صحبتنا، واستعملها قومنا مئات إن لم يكن آلاف السنين، ثم شهدنا مصارعها في حياتنا من دون تدوين، هو من الجحود والنكران لتراث الأجداد، بل إهمال لجزء مهم من تاريخنا)[1].

وقد كتبت كتاباً أكبر من هذا يتناول هذه الألفاظ العامية وأصولها الفصيحة، واستشهدت على ذلك بأقوال أولئك العلماء المحققين، وبأشعار العرب الأقدمين، وأسميته: (الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة، أو: ما فعلته القرون باللغة العربية في مهدها).

أما في هذا الكتاب: (كلمات قضت) فإنني لم أتعرض لأصول الألفاظ والكلمات، وإنما أذكر مبناها ومعناها وشواهدها من الشعر العامي الذي هو الوسيلة المتوافرة لتوثيقها.

أما مرجعي في إثبات هذه الألفاظ التي قضت، فإنه ما أعرفه عنها من الاستعمال، وما عاشرتها عليه من الحياة، إضافة إلى توثيق بعضها بالشعر العامي، الذي يعرف المعنيون بالأدب العامي صحته وسلامة ألفاظه من الدخيل والمنحول.

وقد ساعدني في ذلك ما كتبته في (معجم الألفاظ العامية) الذي هو

---

(1) انظر: محمد بن ناصر العبودي، كلمات قضت، معجم بألفاظ اختفت من لغتنا الدارجة أو كادت، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض ١٤٢٣.

معجم ضخم يضم الألفاظ العامية ما كان منها حياً وما كان ميتاً[1].

وطبيعي أن الفائدة في تسجيلها ليست منحصرة في متعة معرفة ذلك، وإنما ذلك يستفيد منه الباحثون في نواحٍ عدة من فروع البحث.

فضلاً عن الباحث اللغوي الذي يريد أن يعرف المدة التي عاشتها تلك الألفاظ أو بعضها في جزيرة العرب حين يجدها.

أما مسرح هذه الألفاظ والكلمات فإنه بلادنا النجدية، التي يمتد مدى الألفاظ فيها إلى بعض أقطار الخليج شرقاً، وإلى حواضر المدن في غرب المملكة العربية السعودية، وفي بوادي الشام والعراق، وقد تقصر عن ذلك قليلاً)[2].

وقد قامت دارة الملك عبدالعزيز مشكورة بنشر هذا المعجم عام ١٤٢٣هـ.

ومن المؤلفات المشابهة لهذا الكتاب في بابه، بل وفي فرادته أيضاً كتاب (معجم الكلمات الدخيلة في لغتنا الدارجة).

وقد بيّن العبودي في مقدمته أسباب تأليف الكتاب ومنهجه الذي سار عليه في ذلك، إذ قال في مقدمته: (ومع اتساع الحضارة العربية بعد فتح الأمصار الذي وصل إلى حدود الصين، ونتيجة للتفاعل ما بينها وبين اللغة

---

(1) كان معجم الأمثال العامية من أوائل مؤلفات الشيخ العبودي، ونشرته مؤسسة اليمامة للبحث والترجمة في أربعة مجلدات في الرياض عام ١٣٩٩هـ.

(2) المصدر نفسه.

العربيـة في أمـصارهم، لاسـيما ألفـاظ الحـضارة، كالأسـتاذ والتلميـذ والمارستان (المستشفى) والإسطرلاب والديوان.

وانعكس الأمر بحيث وفدت كلمات قليلة من تلك الكلمات إلى بلادنا النجدية من الحواضر الإسلامية فاستوطنتها.

ثم أصاب الوهن عقول العرب المثقفين الذين كانوا قبل ذلك يسجلون كل شيء عن اللغة فعزفوا عن ذلك، أو عجزوا عنه.

وسارت الأمور ببلادنا حتى كادت تنفصل انفصالاً حضارياً كلياً عن مراكز الحضارة الإسلامية خارج الجزيرة العربية منذ نهاية القرن الرابع الهجري.

فعادت بادية العرب في الجزيرة إلى حالة أشبه بما كانت عليه قبل الإسلام، واستمر بها ذلك حتى ظهور دعوة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وتأييد الأمير محمد بن سعود، جد الأسرة السعودية الكريمة له، وإنشاء الدولة الإسلامية فيها، التي قضت على أحكام الجاهلية ووطدت الحكم بالشرع الشريف، فنشأت من ذلك حركة تدوين جديدة إلا أنها كانت مختصة بالعلوم الشرعية، وإن كان الأمر لم يخل من التطرق إلى شيء من الألفاظ العامية غير المقصود إيرادها، ولكنها وردت على ألسنة السائلين المستفتين، أو الفقهاء الذين يؤصلون المسائل الفقهية الافتراضية على النوازل.

وعندما عقلنا ما حولنا في منتصف القرن الرابع عشر الهجري، على وجه التقريب، وجدنا طائفة من الألفاظ غير العربية دخلت في لغتنا حتى حسبناها عربية صحيحة، أو أننا ونحن في حالة فكرية لا تقيم وزناً للبحث اللغوي، لم نكلف أنفسنا حتى عناء البحث في أمر تلك الكلمات والألفاظ المشتقة منها.

إلا أن الأمر الأهم هو الزلزال اللغوي الذي حدث عندما اكتشف النفط في بلادنا، ثم جرى استخراجه بمقادير كثيرة، فتغيرت بذلك أنماط حياتنا وتغيرت منها وسائل الحياة، وأدوات العيش، إذ استبدلنا الحديث بقديمنا العتيد الذي حمل معه طائفة، بل طوفاناً من الألفاظ الغربية، منها ما هو حديث، ومنها ما هو محدث، ومنها ما هو قديم.

وقد رأيت أن أجمع معجماً شاملاً مستوعباً للألفاظ العامية كلها، ما كان منها فصيحاً وباقياً على فصاحته، وما كان منها متغيراً، ولكنه يرجع إلى أصل فصيح، وما كان منها غير فصيح، من أجل تسجيل الألفاظ اللغوية التي كانت سائدة في بلادنا قبل التطور الأخير، وأثناءه، فكان من ذلك (معجم الألفاظ العامية) الضخم، الذي كتبت منه مجلدات عدة، وقد رأيت فيما رأيته أن الألفاظ الدخيلة هي أكثر مما قدرت، لذلك رأيت أن أسجلها في هذا الكتاب لمجرد التسجيل، فبعضها، وربما كان أكثرها، ذكرت ما تيسر لي من معلومات عنه، وبعضها سجلته مجرد تسجيل يوضح

لفظها وما تؤديه من معنى عندنا تاركاً للباحثين تقصي أصول هذه الكلمات ومعانيها إن أرادوا، والقصد من ذلك كله هو العلم والمعرفة بحال تلك الألفاظ)[1].

ثم يقول عن منهجه وما قصده بالألفاظ الدخيلة:

(لن أدخل تعريفات الألفاظ الدخيلة التي سأوردها في هذا الكتاب تعريفاً علمياً، وإنما استعرض حالة الألفاظ نفسها ليعرف من ذلك منهجي في إيرادها.

فأنا أريد بتلك الألفاظ، ما سجله العلماء إبان التدوين في صدر الإسلام، وما تلا ذلك من قرون النهضة العربية الإسلامية، ونصوا على أنه دخيل وبقي عندنا مستعملاً معروفاً.

وما دخل إلى لغتنا أخيراً من تلك الألفاظ غير العربية، وأكثرها يتعلق بالآلات كالمحركات وأدوات السيارات، وما جد علينا من وسائل البناء والزراعة وغير ذلك، وقد ذكرت ألفاظاً عامية ماتت الآن، بل إن حياتها كانت في بلادنا قصيرة، ولكنها وردت في الأشعار والمأثورات الشعبية فسجلتها لبيان ذلك.

وبعض الكلمات أجزم جزماً بأنها دخيلة، ليس ذلك لمجرد كون قالبها أو جرس الكلام فيها يدل على ذلك، وإنما كون اللغويين لم يذكروها،

---

(1) محمد بن ناصر العبودي، معجم الكلمات الدخيلة في لغتنا الدراجة، جزءان، مكتبة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٦هـ.

ولكونها حديث الدخول في اللغة، وإن كانت وجدت قبل التطور اللغوي التي نتج عن الوضع الاقتصادي المزدهر الأخير في بلادنا.

فتلك الألفاظ يجزم من له معاناة بهذا الأمر أنها ليست من الألفاظ العربية الأصيلة، ولا من الألفاظ المشتقة من الفصيح، ولكنني لم أعرف إلى آية لغة أعجمية تنتمي، ولا كيف دخلت إلى لغتنا، فسجلتها بغية أن يأتي من الباحثين من يستكشف أمرها، فيكشف سرها، أو على الأقل يكشف بعض سترها عن أصلها أو فصلها، أو أي شيء من أمرها.

وقد استشهدت بالشعر العامي على بعض الألفاظ، وذلك من باب التوثيق لما أوردته منها، ومن أجل أن يفهم القارئ الكريم معنى الكلمة من وجودها في كلام موزون مقفى هو الشعر العامي، الذي له أوزانه وقوافيه المعروفة، التي إذا أخل بها الناظم، أو المنشد فسد ولم يعد شعراً.

وحين يُذكر الشيخ محمد العبودي تأتي كتب الرحلات على قائمة مؤلفات الشيخ محمد. على الأقل من حيث الكم، فقد بلغت ما يقرب من مائة كتاب منشور، ونحواً من مائة كتاب تحت الطبع والإعداد.

وهذا النتاج لم يأتِ من فراغ، بل هو حصيلة رحلات كثيرة قام بها الشيخ محمد العبودي إلى معظم، بل ربما إلى جميع أنحاء العالم.

وحسب علمي عن الشيخ، ومن خلال رحلاته بأنه ربما لا يوجد بلد في العالم لم يقم بالترحال فيه، والكتب ـ كما ذكرت ـ خير شاهد على

رحلات الشيخ التي جمع فيها وصفاً دقيقاً لرحلاته.

إذاً نحن ـ في الحقيقة ـ كما ذكرت ـ بين شخصية فريدة نتمنى له طول العمر والمزيد من العطاء.

ومن خلال هذا العرض السريع عن حياة معالي الشيخ محمد العبودي يمكن أن نتوصل إلى أمر مهم هو أن ثمة عوامل مختلفة كان لها أثر في تكوين شخصيته وإبراز مواهبه، لعل من أهمها ما يأتي:

أولاً: أثر البيئة التربوية التي نشأ فيها:

فوالده كان ـ كما أشرنا إلى ذلك ـ (رجلاً شهماً، يحفظ أخبار الناس وأحاديث العرب وقصص المروءة والشهامة، وكان ذا معرفة بالأسر والأنساب، على الرغم من أنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب).

ووالدته (هي نورة بنت موسى بنت عبدالله العضيب، وكانت قارئة للقرآن وللكتب)، ولا شك أن للوالدين، ممن هم على مستوى والدي الشيخ، أثراً عظيماً في تنشئته وتكوينه خصوصاً في مراحل حياته الأولى.

ثانياً: مرحلة طلب العلم بمختلف صوره:

كان أثر هذه المرحلة بارزاً في حياة الشيخ وتكوينه العلمي، بدءاً بالتحاقه بالكُتَّاب، ثم في المدرسة النظامية، ثم ما صاحب ذلك وما تلاه من مراحل طلب العلم، ولا شك في أن من حظي بطلب العلم على أيدي كبار العلماء من أمثال الشيخ عمر بن سليم، والشيخ عبدالله بن حميد، والشيخ صالح الخريصي، والشيخ محمد بن إبراهيم، وغيرهم، رحمهم الله جميعاً،

قد حظي بخير كبير ونصيب وافر من العلم والفهم.

ثالثاً: أثر الصحبة والرفقة والزمالة الطيبة التي نال منها نصيباً وافراً:

فقد حظي الشيخ في مراحل عمره بالصحبة والزمالة لعدد من الزملاء في محيط الطلب، وفي محيط العمل، ربما يكون بعضهم أكبر منه سناً، وبعضهم أصغر منه سناً، وكان من أبرز من كان الشيخ على صبحة معهم الوالد الفاضل الشيخ صالح بن سليمان العمري[1]، والأستاذ علي الحصين، والشيخ فهد السعيد، رحمهم الله جميعاً، وغيرهم من الزملاء.

ولسنا بحاجة للتأكيد على أن الشيخ استفاد من تلك الصحبة خير فائدة من خلال تشجيعهم لبعضهم البعض، وتبادل الخبرات والتجارب فيما بينهم.

رابعاً: طبيعة الأعمال التي تولاها معالي الشيخ:

وكان لها - في رأيي - أثر مهم في تكوينه من جوانب عدة، وفي إبراز مواهبه وتفجير طاقاته، وفي إتاحة الفرصة له للإفادة من المزيد من الأعلام عن قرب.

١ - فغني عن القول مدى الفائدة التي تنعكس على من يعمل بالتعليم من حيث قربه من العلم والعلماء، خصوصاً إذا ما علمنا أن محيط التعليم

---

(1) وردت إشارات في أكثر من موضع إلى العلاقة بين الشيخ العبودي والشيخ العمري ومن ورد ذكرهم من الأعلام في كتاب الشيخ صالح العمري، «التعليم في القصيم بين الماضي والحاضر».

آنذاك كان يزخر بعدد من العلماء الذين تحولوا من ميادين التعليم التقليدية إلى ميادين التعليم النظامية مع انطلاقتها المجيدة آنذاك.

٢ ـ أما عن عمل معالي الشيخ قيماً لمكتبة بريدة فقد كان له أثر مهم في تكوين شخصية الشيخ العبودي العلمية يمكن حصرها بما أتاحته له من فرصة معرفية كبيرة حين جعلته على صلة وثيقة بالكتاب من خلال ما يقوم به من تزويد للمكتبة، وتزويد للباحثين والقراء من كتب، وما يحضره، بل ويشارك فيه من حوارات كانت تدور في محيط المكتبة التي كانت أحد أبرز الروافد العلمية آنذاك، والمأوى شبه الوحيد للباحثين عن المعرفة آنذاك، في وقت ربما لم تكن السبل المعروفة الآن من وسائل الثقافة قد اكتشفت، ناهيك عن أن تكون قد وصلت للمنطقة.

٣ ـ كما أن عمل الشيخ بالقرب من العلامة الشيخ عبدالله بن حميد، كان له أثر بالغ من خلال حضور العبودي لما كان يقوم به الشيخ من نظر في قضايا علمية مختلفة، ومن خلال ما كان العبودي يقوم به من تجهيز وتحضير لما يحتاج الشيخ ابن حميد إليه من مؤلفات للرجوع إليها في مختلف جهوده العلمية والتعليمية والوظيفية.

خامساً: أثر عمل الشيخ العبودي في الجامعة الإسلامية:

يبرز أثر عمل الشيخ محمد العبودي في الجامعة الإسلامية، من وجوه عدة أبرزها ما يأتي:

- قد لا نبالغ إن ذكرنا أن مرحلة تسنم الشيخ محمد العبودي مهامه المختلفة في الجامعة الإسلامية، ربما تعد الإنطلاقة الحقيقية للشيخ محمد العبودي، لتحويل تلك الخبرات التراكمية السابقة إلى نهر جارٍ نهل منه العالم الإسلامي من خلال تعرفه على مختلف أقطار العالم الإسلامي من خلال تواصله مع طلبة الجامعة وأساتذتها، الذين كانوا يمثلون مختلف بقاع العالم الإسلامي، وتوطدت تلك المعرفة بالرحلات المتتالية التي جاب الشيخ من خلالها معظم، بل ربما جميع أقطار العالم، ليقدم من خلالها للباحثين والقراء، وعلى طبق من ذهب معلومات، يصف فيها أحوال تلك البلدان وأوضاع المسلمين فيها. وكانت أولى تلك الثمرات كتابه الأم في الرحلات (في أفريقيا الخضراء).
- أتاح عمل الشيخ محمد العبودي في الجامعة الإسلامية العمل والإفادة عن قرب من شخصية علمية ودعوية فريدة، قل أن يجود الزمان بمثلها في عالمنا المعاصر. إنه سماحة العلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز، رحمه الله، الذي أفاد الشيخ العبودي منه ومن علمه وحنكته الشيء الكثير خلال رئاسته للجامعة الإسلامية، ثم تواصلت فائدته منه بعد ذلك من خلال العمل الدعوي الذي كلف به الشيخ العبودي بعد ذلك.

سادساً: عمل الشيخ في مجالات الدعوة وفي رابطة العالم الإسلامي:

يعد هذا العمل امتداداً وتطبيقاً عملياً لجهود الشيخ محمد العبودي وعمله في الجامعة الإسلامية، وكان أثره امتداداً لأثر تلك المرحلة، إلا أن ما

يستحق الذكر أن هذه المرحلة شهدت حركة أشمل وخطوات أوسع قام بها الشيخ العبودي في مجال الرحلات، خصوصاً وقد كان للنجاح والأثر الذي لقته كتبه الأولى في الرحلات دافع معنوي له للمضي قُدماً في هذه الرحلات وفي إمداد المكتبة بالمزيد من مؤلفاته القيمة عن الرحلات.

ومع تلك الجهود الدعوية والرحلات التي كان يقوم بها إلا أن الشيخ حاول أن يوزع جهده بين محبوباته، ولذلك نراه يعود بين حين وآخر إلى حنينه الأول اللغة وآدابها، ويتحف القارئ بإصدارات جديدة تسد ثغرات مهمة في تاريخنا وتراثنا وآدابنا.

بقي أن أشير بعض إشارات إلى بعض من طباع الشيخ وحياته الخاصة، فأقول إن الشيخ، على رغم تلك الأعمال يتسم بالحلم وسعة الصدر، وحسن الإنصات مع المحاورين له، كما أنه اعتنى عناية فائقة بتربية أولاده، الذكور منهم والبنات، فالجميع تلقى تعليماً جيداً، ونالت البنات منهم درجات علمية عالية.

ولسائل أن يسأل كيف استطاع الشيخ أن يوفق بين هذه المنجزات والعمل، ويتغلب على مشكلة الوقت؟

أقول بأن الشيخ يحترم الوقت جيداً، ويلتزم بمواعيده. وهو إلى ذلك لا يرغب بل يعتزل الارتباطات التي لا يرى فائدة منها. ولذلك يقتصر على الارتباط بمن يعتقد بجدوى الارتباط معهم، بحيث تتحول المناسبة التي

يعدها أو يحضرها مناسبة علمية، يدون خلالها أو بعدها ما خرج فيه من صيد ثمين من الحضور.

هذه ملامح موجزة من حياة الشيخ العلامة والرحالة محمد بن ناصر العبودي، اجتهدت في طرحها، وآمل أن أكون قد وفقت في عرضها، فإن أصبت فمن الله، وإن قصرت فمن نفسي، والله الهادي إلى سواء السبيل.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمد العبودي

النخلة الشامخة ـ أطراف من رحلاتي معه

الدكتور: عبدالله بن صالح الوشمي

ليست رحلتي الأولى مع معالي الشيخ محمد العبودي، بل سبقها اثنتان.

ربما يكون هذا الكلام مفاجئاً لكثيرين أولهم معاليه، إذ لن يتذكر، أو لن يدرك ما أعنيه بالرحلتين السابقتين بادئ الرأي، ولكنها الواقع الذي حقق جزءا من الأمنية القديمة عندي.

هكذا نحن مع كبار الشأن؛ نظل نتسقط أخبارهم، ونحتفي بساعات اللقاء معهم، ونستعيد أحاديثهم، ونروي مقولاتهم، ونفخر بما تيسر من أوقاتنا معهم، أو بما أتاحوه من أوقاتهم لنا.

وأما حين يكون الكبير قد اخترق المقاييس المعتادة لأمثاله. فمعاليه بمقوماته المتعددة أصبح بالنسبة لي حلماً، أو أقرب إلى الحلم، وهذا يتصل بصداقته لجدي الشيخ سليمان الوشمي، رحمه الله، وأستاذيته لوالدي الدكتور صالح الوشمي، رحمه الله، وأستاذيته لجيلي. فلم يعد اللقاء بمعاليه لقاء الصديق لصديقه، ولا التلميذ لأستاذه، وإنما صرت مع معاليه أشبه بلقاء الجيل للجيل، والواقع للتاريخ، والمفردات للأبجدية.

كانت الرحلة الأولى لي مع معاليه هي الرحلة مع كتاباته، وهي الرحلة الطويلة الممتدة إلى ما شاء الله. وقد بدأت مبكراً من خلال مكتبة والدي،

رحمه الله، وهو أحد تلاميذ معاليه، وقد اطلعت على عدد من كتابات معاليه في مكتبة والدي، وما زلت أحتفظ بها، وأستعيد قراءتها، وأجد تعليقات والدي تملأ الصفحات؛ بل إنني أجد آراء معالي الشيخ حاضرة بقوة وشموخ في معظم كتابات والدي.

نشأت مع جيلي، ونحن نسمع بالرجل الكبير الشيخ محمد العبودي، والناس يتحدثون عن أعماله وتآليفه وإنجازاته ورحلاته، وعن مشاريع أنجزها، ومشاريع لاتزال تنتظر الفراغ منها.

وتحول معاليه بمرور الوقت من أن يكون عالماً وباحثاً فحسب، إلى أن يكون أميناً أو مسؤولاً عن ثقافة تلجأ إليه لكي يحفظ لها ويحافظ عليها، وصار كثيرون يفزعون إلى علمه وثقافته ليكون شاهدهم الصادق على أحداث لم يعد يتذكرها إلا النابه من أمثال معاليه، ولم يعد يقدر على استعادتها والتأكيد على صحتها إلا هو وأمثاله.

وفي مجالس علمية كثيرة أجد الاهتمام لا يتخصص فقط بآراء معاليه، وإنما أصبح معاليه جزءاً من الموضوع، وذلك على مستوى التخصص والخبرة والوفرة والتنوع.

وأما الرحلة الثانية لي مع معالي الشيخ محمد العبودي، فهي من الرياض إلى بريدة، وهي رحلة قصيرة بمقياس الساعات والدقائق، ولكنها تمتد على مستوى العلم والفائدة. ومجالسة الكبير لا تنفك عن الفائدة والعطاء،

وهو ما كان في رحلتي مع معاليه إلى بريدة برفقة الصديق العزيز الدكتور محمد المشوح في يوم الخميس ١٤٣٠/٣/٢٢هـ، وهي الرحلة التي أخذت يوماً كاملاً أو ما يقاربه. وكانت احتفاءً بصدور كتاب الشيخ علي الحصين، بجهود ابنه الدكتور عبدالله الحصين، وهو الحفل الكبير في منزل الوجيه محمد البشر. وكانت هذه الرحلة تمتلئ بالدروس.

فأولاً: الوفاء الكبير الذي يتحمله معالي الشيخ، فهو القادم من سفره الجوي من مكة، ولا يلبث أن يذهب في سفر بري إلى بريدة، وفاءً لصديقه الشيخ علي الحصين، رحمه الله، ومشاركة لأصدقائه المحتفين به. وهو منهج أجده يسم جهود معاليه، فهو الوفي مع أمته في رصد نبضاتها، وآمالها، وآلامها. وهو الوفي مع بلده بتسجيل مواقف البذل والعطاء والبطولة في مسيرتها. وهو الوفي مع بلده ومسقط رأسه بتوثيق عدد كبير من مظاهر الحياة الثقافية والاجتماعية وغيرها في منطقة القصيم. وهو الوفي مع جيله، أساتذة وزملاء وتلامذة، وذلك حين يكتب عن أساتذته ويشير إلى جهودهم، أو حين يفصل القول في الحديث عن أصدقائه، أو حين يتجلى وفاءً في الثناء على تلامذته والإشادة بنبوغهم أو تميزهم، وهذا المنهج والسلوك صعب التوفر والتحقق إلا عند المخلصين والمجتهدين في الجمع بين العلم والأدب، أو بين الجمال والجلال، أو بين المعرفيات والأخلاقيات، ومعالي الشيخ محمد العبودي أستاذ في هذا السياق.

ولعل مما يكمل الفكرة هذه أن معاليه فريد في باب الأخلاق الحميدة في تعامله مع الناس جميعاً، وذلك من خلال التجربة الشخصية. فهو يحترم الجميع، وينزل الناس منازلهم، ويُجل أصحاب المقامات، ويفي لهم حقوقهم. وتمتد مواقفه النبيلة حين يلتقي من لهم نبوغ في فن لا يعرفه غيرهم، أو من له آباء أو أسرة تميزت في مجال، فتجد معاليه يفيض في الحديث عنهم، ويشيد بهم، ودائماً ما أجد معاليه يفيض نبلاً وأخلاقاً، وهو يتحدث عن جدي الشيخ سليمان الوشمي، رحمه الله، ويثني على ضبطه وأخلاقه وعقله ومواقفه، أو حين يشير إلى والدي، رحمه الله، ويحتفي بإنجازاته، وهو يتكرر مع كثيرين ممن يقابلهم، وقد كانت مشاركة معاليه في الكتاب الذي أصدره نادي القصيم الأدبي حول أبي وجهوده من أهم المشاركات التي وردت فيه.

وثانياً: احترام الوقت والوفاء بالموعد. ومثال ذلك أنه حين مرّ علي الدكتور محمد المشوح؛ لنذهب سوياً إلى معالي الشيخ في الموعد المضروب بيننا. كان الدكتور المشوح يحدثني عن ضرورة الوصول الدقيق في الموعد لأن الشيخ يلتزم ذلك بدقة، وبالفعل، كان ما خططنا له، وحين نزلت لأطرق الباب، فوجئت بمعاليه يخرج من بيته في الموعد المضروب أو قبله بدقيقة.

وثالثاً: التواضع المطلق الذي يقابل الشيخُ به الاحتفاءَ الكبير والمطلق من

العلماء والأدباء والعامة به، فوجود معاليه يحدث نوعاً من الافتتان به، فالعيون والقلوب والأسماع مصغية له، والناس يحملون أسئلتهم وأشواقهم وهم يقابلونه؛ بل إن أحد أساتذة العقيدة النابهين في جامعة القصيم في الحفل الذي أقامه الوجيه محمد البشر، سألني عن قدومي من الرياض، فقلت له: جئت أنا والدكتور المشوح بمعية معالي الشيخ، فكان يكيل المديح ويغبطني على هذه الفرصة التي تتاح لي، ويتمناها كثيرون.

❖ ❖ ❖

وأما الرحلة الثالثة لي مع معاليه، فهي الرحلة التي سعدت فيها برفقة الدكتور النبيل محمد المشوح، بمصاحبة معالي الشيخ محمد العبودي في رحلته العملية إلى لبنان، بتاريخ ١٤٣٠/٦/١٧هـ، وهي الرحلة التي لم تأخذ من الوقت إلا القليل، ولكنها أعطت من الرؤى والدروس والمواقف الكثير الكثير، مما سأحاول تسجيل ما احتفظت به الذاكرة وفق قاعدة تداعي المعلومات وأن الشيء بالشيء يذكر.

كان موعدنا في المطار لنستقبل معالي الشيخ الذي يصل من مطار جدة، ليقضي وقتاً طويلاً نسبياً في المطار، لنلتحق جميعاً بالرحلة المتجهة إلى مطار بيروت، وكان الوقت الذي قضيناه في الانتظار في صالة الفرسان من أمتع الأوقات، إذ تجلى الشيخ في سرد عدد من ذكرياته حول السفر وما شابه، وكنت اقترحت عليه وقتها أن يكتب ذكرياته في السفر من الباب

الذي لم يكتبه هو ولا غيره، وذلك من ناحية تجاربه في الحجوزات، وشركات الطيران، ومواقف الطيارين والمضيفين والمضيفات، ولحظات الانتظار، وساعات السفر الطويلة، والانتقال من الخطوط المختلفة، وتجربة السفر على وسائل متعددة، وتضمين ذلك منهجه في الرحلة، ورؤيته إلى السفر، وطريقة مخالطته للناس، وكيفية استفتاح الأحاديث، أو منهجه في السكن، واختيار الفنادق، وطرق السير، ومحطات الزيارة التي يرتادها، ورفاق الرحلات، وتفاصيل يومه في رحلاته، وموقف أسرته من أسفاره، وطريقة تواصله معهم أثناء سفره. لاسيما وهو كثيراً ما يغير خط سيره المعتمد في بداية رحلته، حتى لقد حدثني أن الله قد حفظه، فهو يذهب إلى مدن وقرى متعددة، ولا يعلم في بعضها إلا الله أين مكانه ومن هو، ولو جرى له أمر لما استدل عليه أحد، وما ذاك إلا من حفظ الله له، وهو ما يوجب برأيي على معاليه أن يرصد هذه التجارب.

كانت أولى المفاجآت لي هي حديث الشيخ عن السفر الأول لمعاليه إلى بيروت، والإشارة إلى سفرياته المتعددة بعدها، واحتفاظه بذاكرة جيدة ووفية للأماكن والأشخاص الذين التقاهم، فهو يتحدث عن اسم الفندق الذي سكنه، والذين قابلوه فيه، وصاحب المكتبة الذي اشترى منه وعائلته، ومكان سكنه، حتى ظل يسأل عنه أصحاب المكتبات الأخرى، ويستفسر عن مكتبته، وكيف آلت إليه.

يرسم معالي الشيخ منهج رحلته بدقة، فهدفه الرئيس مقدم على غيره، وفي سبيله يمكن التضحية بعدد من الأهداف الهامشية له، ولذلك بدأ بالتنسيق المبكر حول إنجاز ما أراد إنجازه، وهيأ لذلك سبل النجاح الكاملة، واستعد من الرياض بشكل دقيق للاحتمالات كافة.

طريقة إدارته للحديث مدهشة، فهو الرجل الذي خبر الناس وطرائقهم في القول والحديث، واستجاباتهم للمواقف، ولذلك فإنه قادر من خلال خبراته المتنوعة بين الدول والمدن والأشخاص والطبقات، أن يدخل في حوارات متنوعة حول مختلف القضايا.

ولا تكفي الإشارة هنا إلى استثمار الشيخ للمواقف والأحداث للمعرفة والعلم وتتبع الأقوال والرؤى، وإنما هو مميز بصناعة المواقف، وتكرارها، فهو مع ضيفه، أو سائق الأجرة، أو بائع المكتبة، أو مضيف المطعم، يصنع من المواقف ما يمكنه من استثمارها المعرفي وتكوين المعارف حولها.

ومع أنني بطبيعتي أستيقظ مبكراً قدر استطاعتي، وذلك تبعاً لظروفي غالباً، ومع ذلك تهيبت أن أطرق باب غرفة معاليه، خشية أن يكون نائماً! وظللت أنتظر الوقت المضروب بيني وبين الدكتور محمد المشوح لأطرق عليه باب غرفته، ومن ثم نبدأ يومنا مع معالي الشيخ، فقال لي الدكتور المشوح: إن الشيخ هو أول المستيقظين في الفندق، وبالفعل فقد أفطرنا في الثامنة

صباحاً، ولم يبدأ الناس جميعاً بوجبة الإفطار إلا بعدنا، ما عدا الشيخ الذي اكتشفت أنه سبقنا جميعاً، وهو منهجه المعتاد.

يعتني معالي الشيخ بأن يلبس الهندام المناسب في رحلته، على الأقل من وجهة النظر الشخصية التي يتمتع بها، وله في ذلك سمت عجيب، وقد أبدى ملحوظته على ملابس غيره، بصفتها قد لا تتناسب مع السياق الذي يوجدون فيه. ومن هنا فقد وجدنا الشيخ على أهبته حين جئنا إليه، إلا أنه طلب منا رسم تفاصيل اليوم قبل البدء به، فلن نتجه إلى أحد إلا بعد التأكد من وجوده، وضرب الموعد بيننا وبينه، وهو ما قمت به، حين اتصلت على القائمين على هدفنا، فأكدوا وجودهم، ولكن بعد فترة زمنية، وهذا ما كان فرصة جيدة ليطلب معالي الشيخ منا البقاء معه لتناول الشاي الأخضر والعبودية!

معالي الشيخ يوظف خبرته الطويلة في الحياة من الناحية العلمية، أو مشاهداته ورحلاته في أحداث يومه، فهو يرى في الشاي الأخضر شراباً يتفوق على غيره، ويرى في العبودية زاداً يتفوق على غيره. والعبودية هي ثمرة نخلة، يقطع معاليه بأنها لا توجد إلا عنده، وذلك انطلاقاً من أن نوى التمر حين تغرس تأتي بالمفاجآت، فغالبها ينتج الفحول، ومنها ما ينتج النبت المتفاوت، ونادراً ما يأتي منه الثمرة الجيدة (معلومة: السكرية أصلها نبتة!). وفي بيت معالي الشيخ في بريدة ظهرت هذه النبتة الطيبة، فسمّاها

بالعبودية، ولها شكل لا يتطابق مع غيرها، ولها خصائص يرى معالي الشيخ أنها تتميز بها على غيرها.

يتأكد معاليه من خطواته جيداً، فساعة الخروج مهمة، ونوعية التاكسي، والتأكد من مدة الطريق، ومتى العودة، وهل ينتظرنا التاكسي، أم نتفق مع غيره عند الخروج، وأخذ الاحتياطات الأخرى لإنجاح مهمته أو عمله الذي يُعنى به. إن الشيخ باختصار يكون في مهمته حتى ينتهي منها، ويلتزم منهجاً في ضبط هدفه وتحديد وسائل ذلك، أشك أنه قد يتكامل عند غيره، وهو في مهمته يأخذ اللبوس الجاد والحاسم، ولا مجال لذوبان الوقت في الأشياء غير المهمة.

هذا الوجه الجاد الحاسم الذي لا يتسامح مع ضياع الوقت، أو الأحاديث الجانبية غير المهمة أثناء إنجاز المهمة الجادة. هذا الوجه وهذه الملامح يأخذان مساراً مختلفاً عندما يجلس مجلس الانبساط مع أصدقائه أو رفاق رحلته، وهو ما يحدث عندما نخرج للغداء ـ مثلاً، وهو يختار موقعاً يرى أنه من أجمل الأماكن، وهو بالفعل جميل جداً، وذلك في المطعم المطل مباشرة على الروشة، ويعتني جيداً بأن تكون الطاولة على البحر مباشرة وقريبة منه، وهو يرى أن المكان والطعام مميزان هنا.

في مجالس معالي الشيخ البسيطة تنفتح أبواب علمية وأدبية وثقافية تسمعها من الشيخ للمرة الأولى، وحين تسمعها تظن بداية أن الشيخ يدرك

طرفاً منها، فيستمر في العطاء فتظن أنه ثقف نفسه فيها بشكل جيد، فيستمر في العطاء فتعتقد أنه متخصص فيها، وهذا كلام واقعي تكتشفه من الطرف والنوادر التي يحفظها، ويرويها، ويعقد بينها صلة مع الأحداث المختلفة، وينقلك من التراث إلى المعاصرة، ومن العصر العباسي إلى الشعر الشعبي، ومن أحداث كبار الشأن إلى عامة الناس، ومن الرجال إلى النساء، ومن العرب إلى غيرهم، ثم تكتشف لاحقاً أن هذا الفن قد أهمله الشيخ أخيراً، وأن أعماله العلمية والعملية قد صرفته عنه، وكل ما يحفظه مما تكون عنده في بدايات سنوات الطلب.

ومن ذلك أن معاليه تحدث عن شعر الغزل والحكم، وكان مما حفظت منه أنه استشهد بقول الشاعر:

احفظ لسانك لا تبح بثلاثة ... سن ومال إن سئلت ومذهب

فعلى الثلاثة تبتلى بثلاثة ... بمكفر وبحاسد ومكذب

ونحن على ضفاف الروشة أورد قول الشاعر:

أربعـــــــــة مُذهبـــــــــة ... لكـــــــل هـــــــم وحـــــــزن

المـــــاء والقهـــــوة والخـــــضرة ... والوجـــــــه الحـــــــسن

هذا إضافة إلى أن الشيخ يمتلك المكان الذي يجلس فيه لا بالقسوة والغلظة، وإنما بالعلم والأدب، فهو متحدث من الطراز الرفيع، وقادر على التنقل بين شتى المواضيع، وأن يقدم المفيد النافع فيما يطرح، مع أنه لا يستنكف أبداً من أن يحتفي ويقبل المعلومة الجديدة التي يسمعها للمرة الأولى.

وهو بارع في اللغة والطريف من القول، وقد طرح عدداً من الاختبارات اللغوية لي، وذلك في الأسئلة أو الألغاز اللغوية والنحوية الشعرية، طمعاً في نقل الكلام وتوجيه الحوار إلى عدد من المناحي العلمية.

ولمعاليه نمط من التأمل والتأويل، أو منهج خاص في التعاطي مع الأفكار والأحداث، فهو يفسر مظاهر الطفولة والشباب والكهولة، وله بصر واسع بمواقف الرجال وأقوالهم ورؤاهم، ويعقد صلة قوية بين هذه الأشياء ومرجعياتها. وما زلت أتذكر حينما ناقش قصة تتعلق بعشق رجل لامرأة استدل عليها من بقايا الإنسان، ثم انتقل من ذلك إلى أن بقايا الإنسان تدل على عمره، وربما هيئته، ولذلك انتقل بعد ذلك ليربط سبب الرأي الشرعي للاغتسال من بول الجارية ونضح بول الغلام. فموسوعيته تتيح له أن يربط بين ما لا يجد الناس رابطاً فيه، وتمكنه من علوم متنوعة أتاح له فرصة تنوع الرؤى والمعارف.

تمتد الرحلة ويزداد التآلف، ويجد معاليه راحة في رفقته، بحمد الله،

فتتنوع المواقف معه، ويصبح لنا موعد متكرر من الشاي الأخضر والعبودية، ومع مطعم الروشة، ومع الأحاديث الطريفة اللذيذة التي يتنقل بنا وبها معالي الشيخ من فن إلى فن، ومن قرن إلى آخر، ومن جنس إلى ضده، ومن جيل إلى تاليه، ومن رؤية إلى ما يعاكسها، وأنا أتأمله وأحمد الله أن منحنا معاليه هذه الفرصة التي لا تتكرر إلا نادراً، وأحمد الله أن وهب جيلنا رجلاً مثله يستطيع أن يكون مرجعية مستقلة فيما نختلف فيه.

نتشوق أنا والدكتور محمد المشوح إلى زيارة بعض الأسواق والمجمعات التجارية، ونعرض على معاليه الرفقة والصحبة إليها، وبعد أن يشير إلى أنه سينشغل بالكتابة أو القراءة، وهذا أمر حقيقي لا مجازي، يشير بكلمة عظيمة إلى أهمية أن نذهب ونشاهد ونرى ونتعرف، أما هو فقد (شبع!!)، وهي كلمة ذات إيحاءات ودلالات واسعة. كنت معها أتخيل نفسي حرفاً بجوار أبجدية كاملة، أو عتبة قبالة سلم طويل، أو غيمة بجوار سماء واسعة جداً.

فهل تتحدث عن الدول والمدن، وقد زار الكثير الكثير منها.

وهل تتحدث عن الوجوه، وقد رأى أشكالها.

وهل تتحدث عن الأنهار، وقد رأى أجملها واكتشف أسرارها وقممها ومنابعها.

وهل تتحدث عن الجبال، وهو الذي زارها وكتب عنها.

وهل تتحدث عن المؤلفات والحوارات واللقاءات وهو ابن بجدتها.

ولكننا حين ذكرنا (أنا والدكتور المشوح) لمعالي الشيخ رغبتنا بزيارة عدد من المكتبات في بيروت (المركز الثقافي العربي وبيسان وغيرها)، وظننا أن معاليه قد لا يرغب بها بحكم اتجاهها الحديث الذي قد لا يتفق مع رؤية الشيخ، ولكنه أكد على رغبته بذلك، وذهب بالفعل، واشترى أكثر مما اشتريناه، وعاد مرة أخرى واشترى كمية إضافية، وكان اللافت جداً ـ لي على الأقل ـ ما اشتراه من فنون متنوعة، وحديثه الطريف عنها، وكان لا يبيت في بيروت إلا بعد أن يقضي وقتاً طويلاً في القراءة. وقال لنا: اشتريت كتباً في الفلك، وهذا العلم العظيم لم أتفرغ له بعد كما يجب! وأنوي القيام بذلك! وقد جئنا له لجلسة الشاي الأخضر والعبودية، فرأيت أحد الكتب الكبيرة وقد انتصف في قراءته، فأكبرت في معاليه هذا العزم والعزيمة، وهذا الجلد والهمة الطويلة، وتذكرت الشاعر العربي، وهو يقول:

وإذا كانت النفوس كبارا

تعبت في مرادها الأجسام

وكلمة علي «رضي الله عنه» أكمل حين قال: تقول العامة: قيمة كل امرئ ما يحسن، وتقول الخاصة: قيمة كل امرئ ما يطلب!

وأشهد أن معالي الشيخ محمد العبودي من خاصة الخاصة في نشاطه العلمي، وحرصه على المعرفة وتتبع العلوم والفوائد والمعلومات وجلده في

استقصائها. أسأل الله أن يبارك في عمره وعمله ووقته وذريته.

وقد سمعته يسأل عن عدد من كتب الرحلات وطبعاتها الجديدة والمحققة، مما ذكرني بلقائه الجميل في المدينة المنورة، بحضوري وعدد من الزملاء، مع الباحث الكبير الدكتور محمد التازي، محقق رحلة ابن بطوطة، وقد احتفى الجميع بمعاليه ومنهم الدكتور التازي، فسمعت معالي الشيخ يتحدث مع الدكتور التازي عن تصديقه لابن بطوطة في رحلاته، وأن من أنكر بعض ما نقله ابن بطوطة بناء على العقل وما يصدقه، فإن معالي الشيخ يقول زرت ما تحدث عنه ابن بطوطة، ورأيت صحة ما ينقله في رحلاته، وهنا اندهش الدكتور التازي، وطلب من معالي الشيخ أن يقبل دعوته الفورية إلى زيارة المغرب العربي للحديث عن تجاربه ورؤاه، وقد وجدت معالي الشيخ يسأل عن الطبعات المحققة والمعلومات الجديدة حول رحلة ابن بطوطة وغيرها. وذكر لنا شيئاً طريفاً حدث له قبل خمسين عاماً ـ كما أذكر ـ حينما كان في المدينة المنورة، وذلك أنه اشترى مكتبة كاملة وحملها في سيارته، وكانت تمتلئ بالكتب النادرة والمخطوطات المميزة، ولاتزال في مكتبته إلى الآن، كما ذكر، حفظه الله.

والحديث عن الكتاب ومعاليه، أو حديث معاليه عن الكتاب حديث طويل، فله منهج خاص في التأليف والكتابة، وهذا متفق عليه، ولكن الذي تجب الإشارة إليه هو أن له منهجاً في الحث على التأليف وتحفيز الناس

على المبادرة في ذلك، وهو شيء يرد كثيراً في أحاديثه، فسمعته يحث صديقه معالي الشيخ محمد بن عودة على جمع سيرته مراراً وغيره؛ بل إنه سألني عن عدد مؤلفاتي، وأشاد بنبله الكبير بها، وعلى رأسها: فتنة القول بتعليم البنات، وتلك أخلاق الكبار، ولأنه منهج وجبلة وليس عرضاً عابراً، فأنت تجده يقف وراء بعض مؤلفات غيره، ومنها ـ للتمثيل فقط ـ كتاب معجم المطبوع من دواوين الشعر العامي للأستاذ محمد الحمدان، وهو ما يصرح به المؤلف نفسه.

وقد ذكر لي معالي الشيخ أنه طلب من أحد أصدقائه العلماء الذين في مكة، ممن يملك مكتبة ثمينة في الحرم المكي، أن يعيره بعض الكتب فاعتذر بأنه لم يعر أحداً، ولكنه أذن للشيخ أن يدخله المكتبة ويغلق عليه فيها، ويفتح له بعد عودته إليها بفترة طويلة، أظنها ليلة كاملة، فمكث الشيخ طوال الفترة يقرأ وينسخ، ولم يبق من هذه المكتبة إلا ما نسخه معاليه، إذ لحقها تلف كبير بعد الأحداث التي جرت في الحرم المكي إبَّان فتنة جهيمان.

هذا الولع بالكتاب ليس ولع الجمع والاستئناس بها فحسب، وإنما ولع الباحث المحقق الذي يجمع ويحلل ويستدل، وهو دأب الشيخ العام، وقد رأيت منهجه التحقيقي يتجلى في كتاباته عامة؛ بل إنه يدعم آراءه بأدلتها، ولا يستنكف أبداً من قبول الحق، ولكنه يشترط الدليل. وقد سمعت

أحدهم يخاطب معاليه بوجود خطأ في أحد كتبه، فيقول له الشيخ ما معناه: هذا كلام، ولكن أثبت الدليل، وسأقوم بتغيير ما كتبت.

سأقول شيئاً انطباعياً ومباشراً، وهو أن هيئة الشيخ هي الهيئة المعتادة لعلمائنا وكبار السن لدينا في المملكة، وذلك بلباسه البسيط، وطريقة تعاطيه الاجتماعي، وهذا يكشف لنا أنه ابن هذه الأرض، وهو ببساطة متناهية هو أحد ثمارها الجميلة. وقد ينظر إليه أحدنا أو يجالسه فيظن أن هذا الهيئة تخفي بساطة في التعاطي مع العلم والمعرفة، ولكن الواقع شيء آخر جداً، وهو ما يتمثل في التحرير والتحليل الكبير الذي يتميز فيه، وأذكر أننا في بيروت حين نوقف سائق التاكسي يبتدئ بعبارة عمي الشيخ، وهو يقصد معالي الشيخ، ويصرف الحديث إلينا باعتبارات ملامح الشباب فينا، ويتقلص اهتمام السائق بنا شيئاً فشيئاً إلى أن ينتهي، وينصرف إلى معالي الشيخ كاملاً، وذلك بما يجده من أسئلة مهمة، وانكبابنا جميعاً على معاليه، وحديث معاليه عن بيروت وعن لبنان بأشياء لا يعرفها عدد من أبناء بيروت نفسها، حتى أنني اندهشت، مع زميلي الدكتور المشوح، حين قال لنا أحد الذين قابلناهم من اللبنانيين، وهو لا يعرف الشيخ بتاتاً: هذا رجل عبقري وذكي. بل إن أحد سائقي التاكسي، وسائقو التاكسي في لبنان لا يختلفون عن اللبنانيين عامة، من حيث الثقافة والحس السياسي والعلمي، أقول: إن هذا السائق يقف بجوار الفندق ينتظر خروجنا نحن لكي

يسأل الشيخ، أو يحملنا إلى مقاصدنا بهدف الاستفادة من معاليه، ويقول: لا أريد شيئاً سوى الاستفادة منه.

يتحدث معالي الشيخ كثيراً معنا ومع من نقابلهم من اللبنانيين عن لبنان ومدنها وطوائفها ومزاياهم وساستها وكبار الشأن فيها، وأهاليها ورجالها ونسائها وطريقة تفكيرهم ورحلاتهم إلى العالم، وعن البارزين منهم في العالم، وعن جاليتهم الكبيرة جداً في البرازيل، وعن مطاعمهم وطعامهم وطريقة تقديمه في الدنيا، واحتفاء العالم بالطعام اللبناني. يتحدث عن كل هذه الأشياء، إضافة إلى أنه يتحدث عن أصحاب المكتبات والمطابع القدامى ممن توفوا، كما يتحدث عن العرب الذين سكنوا لبنان. يتحدث عن هذه الأشياء جميعاً، وأجد عدداً من اللبنانيين لا يعرفون بعضها، أو يتوقعون ألا يعرف هذه الأشياء غيرهم، ويناقشونه فيها. وما زلت أتذكر حديثه عن اتجاهنا للروشة حين تغير، فسأل السائق ونحن ـ أنا والدكتور المشوح ـ لا نعرف الطريق، فقال له: إن الاتجاه المعروف مغلق مؤقتاً، وإنني سأتجه من الجهة المقابلة، إضافة إلى حديثه عن المكون البشري والمذهبي لمدن لبنان.

وكعادة الكبار، فقد كنت ملتزماً وظيفياً بالعودة المبكرة من لبنان قبل عودة معالي الشيخ والدكتور محمد المشوح، فوجدت من الرجل الكبير معالي الشيخ حديثاً فاجأني عندما قال: إننا لا نسمح لك، وكان بلطفه الكبير يتحدث عن الألفة وضرورة استمرارها، وأن تأجيل الرحلة طيب. ولم

يقتنع إلا بعد علمه بالارتباط الوظيفي لي، فعدت، ومازلت نادماً على ساعات فاتت وربحها زميلي الدكتور محمد المشوح في صحبة معالي الشيخ محمد العبودي.

❖ ❖ ❖

لا يحتاج الواحد منا كثيراً من الوقت لكي يكتشف كبار القدر والشأن، فالكبير لا يتضح من كتاباته ورؤاه فقط، وإنما ينكشف من خلال مواقفه وطريقة كلامه وعباراته ومنهجه في الحياة، وأما معالي الشيخ محمد العبودي فهو جماع ذلك كله.

يظل المهمومون بالحرف والثقافة والفكر بحاجة إلى المثل النموذجي أمامهم، من حيث اعتباره دليلاً إلى الأفق الممكن وليس المستحيل، وتظل وصايا الأساتذة والآباء لمن دونهم سقفاً مثالياً لا يتحقق إلا من خلال النموذج الذي يتجسد أمام العيون.

ولأن حديثي يتصل بهذه الفكرة من خلال رجل هو ملء العيون والأبصار، وهو الذي استطاع أن يحقق المعادلة الصعبة والدقيقة في الجمع بين الأضداد بتوازن كبير، وهو معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي، حفظه الله، فسوف ألملم أطراف حديثي القليل عن موضوعي الكبير في محاور متعددة.

معالي الشيخ محمد العبودي كتاب مفتوح واسع من خلال كتبه

الذائعة، ومن خلال لقاءاته المتنوعة، ولكني سأكتب رؤيتي هنا من خلال ما أشترك فيه مع الناس جميعاً بقراءة كتبه، ولقاءاته العامة، ومن خلال ما تشرفت به حين كنت قريباً من معاليه، وتلميذاً في مدرسته، برفقة أخي الدكتور محمد المشوح، وكنا في لبنان، إذ الروعة في كل شيء، وكان للناس لبنانهم الوحيد، ولنا لبناناتنا ولباناتنا في معاليه، إذ كل لحظة مملوءة بالنبل والفائدة والمتعة، وكان معاليه هو المتفضل بكل ذلك، وهو ـ ربما دون أن يشعر ـ يعطينا الدرس تلو الدرس في طريقة تعامله، ورؤيته للحياة، وطريقة تفكيره وتحليله للمسائل، ولذا ستكون رحلتي السعيدة مع معاليه أحد مصادري في استكناه شخصية معاليه، وذلك من خلال محاور متعددة.

المحور الأول، هو المتصل بالتكوين الثقافي لمعاليه، وهذا يتضح لقارئ كتبه ويتضح لمجالسه والمستمع لحواراته وأحاديثه الإعلامية، فالشيخ العبودي رجل منهجي التكوين، ولذلك تجده واعياً لاستخدام اللغة وتراكيبها واشتقاقاتها، وله باع كبيرة في الاطلاع على العلوم الشرعية، وهو إلى ذلك وغيره بصير باللجهات والأمثال والتراجم والأنساب، ويعي مناهج العلماء في التأليف، ولذلك تأتي مؤلفاته مميزة بعدد من السمات، وعلى رأسها الابتكار والجدة والتنوع، وهذا ما يشير إلى الشمولية والموسوعية الراشدة في تآليف معاليه وعلومه، وهي إنتاج فكري مميز ومتنوع جاء

استجابة ورد فعل طبيعي للتنوع والوعي في التكوين والثراء العلمي والجلد في التحصيل.

وقد وظف مسيرته الوظيفية لتعزيز الجوانب العلمية عنده، واستفادت منه بقدر ما استفاد منها، فاهتمامه بالأنساب والمواقع الجغرافية واللهجات خدمه في تنقلاته الوظيفية في المملكة، وكان ذلك يتجلى بصورة أكبر في رحلاته العالمية، فأنت تقرأ أو تسمع، وتدهش عندما يتحدث عن قبائل الصينيين، أو عن المفردات العربية في اللغة الأردية، في ظاهرة فريدة تدل على تداخل العلوم وتآخيها.

وأظن أن معاليه فريد وجنس وحده، أو هو ضمن نسق فريد عندنا، وهو الاتجاه الذي عني مبكراً بالأدب واللغة، فالمهتمون من علمائنا وكبارنا باللغة والأدب قليل، وغالبيتهم اتجهوا إلى القضاء والفقه والحديث. وأصبح أنموذج الشيخ العبودي نادراً ضمن هذه الطبقة، ولا يعني ذلك أن معاليه انفصل عن الاهتمام بما اهتم به جيله، فهو تلميذ بارز في المدرسة الشرعية، ولكنه ضم إلى ذلك الأدب واللغة، واستفاد أسلوبه من اهتمامه المبكر بها، فنما أسلوبه وتمكن في اللغة.

المحور الثاني، هو ما يتصل بالجانب التاريخي الذي حضر معاليه من خلاله، إذ يشكل معالي الشيخ محمد العبودي ركناً رئيساً في الحركة الثقافية المعاصرة، وهو رجل يجيء لنا مصطلياً بوهج بداياتها، وملتصقاً

بأهم مؤسساتها، فالصلة بالمكتبة التي تعد الحجر الرئيس في تكوين الثقافة تمثلت في تكليفه من أستاذه الشيخ عبدالله بن حميد بالقيام على مكتبة جامع بريدة، وهي من أهم المكتبات ذات التاريخ العلمي والثقافي في نجد، واللحظة الأخرى تتمثل في قيامه بتأسيس معهد بريدة العلمي، وهو أحد المعاهد التي أحدثت حراكاً ثقافياً مهماً في نجد، وكان نجاحه الكبير في إدارته والقيام على شؤونه سبباً في اختياره أول موظف في الجامعة الإسلامية، وهو معدود من أهم مؤسسيها، وهو برأيي ورأي كثيرين المصدر الوحيد الذي يملك معلومات لا توجد عند غيره عن هذه الجامعة.

ومعالي الشيخ، حفظه الله، يمتد بعلمه إلى أجيال عدة، وأنا واحد من كثيرين يدينون له بالفضل في جوانب معرفية متنوعة، بل إني أجد نفسي تجاهه بمثابة الجد العلمي، فهو أستاذ لأبي، وأستاذ لجيله، ولايزال، بارك الله في علمه وعمله وعمره، يعطي للجيل المعاصر، وحين تتزاحم تعليقات الآباء والدارسين المتقدمين لآراء معاليه، فإن الباحثين المعاصرين من الشباب يفعلون الشيء ذاته، وتزخر كتاباتهم بذكره وآرائه، وتجدهم يمتلئون بالشوق إليه وإلى سماع قوله.

ثم إن معالي الشيخ بما توفر له من خصائص يعد شاهداً أميناً وموثوقاً لتاريخنا على المستوى الشخصي والثقافي، فأنت تجده يحفظ لكثيرين من تواريخ أسرهم وآبائهم ما لا يعرفونه هم، بل إن لديه وثائق لأسر لا تملك

شيئاً منها، إضافة إلى المواقف واللقاءات والآراء، وأنا شخصياً حدثني عن جدي بما لا أعرفه من مواقف متنوعة.

ودائماً تجد معاليه يربط بين الأقوال وأصحابها، وبين الشخص وأسرته، وذلك على مستوى الرأي والشبه والشخصية، ويذكر الناس بتاريخهم، وهو صاحب منهج يحتفي بإنجازات الناس وتاريخهم، ويشير إلى إنجازات الناس وأسرهم، ولا يجد أي غضاضة في أن يقول الحق الصراح الذي عرفه من دون أن يخضع لموجهات العصبية أياً كان نوعها.

ولأهمية التاريخ وقيمة الحقيقة، فقد اعتز الشيخ واعتنى بمصدرين كبيرين من مصادر التاريخ، فجعلهما من أصدق مصادره، وهما: سماع الشهود والروايات الشفهية من أصحابها والوثيقة.

الأول، فقد اعتنى كأكبر ما تكون العناية بما يقوله الناس، وله في ذلك تجارب واسعة، فهو يرحل ويقابل المهتمين بالتاريخ، ويسجل كثيراً من أخباره من أفواه المعنيين، أو من رواتهم وأبنائهم وأسرتهم. ويعتني كثيراً بقيمة الشهادة أو الرواية التاريخية التي يسجلها من الثقاة في هذا السياق، وكنت وما زلت أسمع من العلماء والقضاة ومن كبار السن عن جدي والثقة الكبرى فيه، رحمه الله، وأن كتابته بمثابة الوثيقة، ولكني سمعت من معالي الشيخ كلمة تؤكد ذلك، عندما قال لي: جدك تقطع على كلامه الرقبة! وهو أنموذج وحيد على ذلك، وله نماذج متعددة في روايته عن الناس.

الثاني، هو حرصه على الوثيقة، وهو حرص رافقه منذ بداياته، فمعاليه حريص على الوثيقة، باعتبارها ترصد التاريخ وتوثق المعلومة، ولذلك اعتمد عليها، فجمعها ودرسها وتأملها واستنبط معلوماتها، وأظن أن الشيخ أحد قليلين تميزوا في هذا الفن، لا على مستوى الجمع والحصر فحسب، إذ اجتمع لديه من الوثائق الشيء الكبير والمتنوع والواسع، وإنما كان التميز والبراعة في قراءة الوثيقة وفهمها والوعي بخطوطها وكتابها وشهودها ورموزها، حتى إني أتمنى على معالي الشيخ أن يكتب عن تجربته في جمع الوثائق وقراءتها في كتاب مستقل، يشير فيه إلى طريقة استنباطه للمعلومة التاريخية من الوثيقة، وهي المعلومات التي تتمثل في أسماء الأماكن والرجال والنساء والتواريخ والمواضيع والشهود والكتاب، ثم يتم إرفاق عدد من النماذج التي تدل على تنوع الوثائق طولاً وخطاً وضبطاً وغرابة، وأعتقد أنه سيكون كتاباً منهجياً فريداً، لأن المعتاد في مثل هذه المسائل أن تتم الكتابة عن المخطوطات العلمية فحسب.

ولهذه الامتدادات التاريخية العلمية والوظيفية نستطيع أن نقول: إن معالي الشيخ محمد العبودي أستاذ جيل ورجل دولة.

فهو أستاذ جيل لاكتمال مقومات الأستاذية فيه، إذ أسس جيلاً علمياً مميزاً، وانتشر طلابه في الأرض، وقرأ الناس علومه، واستمعوا إلى آرائه، وامتد أثره إلى محيطه القريب في المعاهد العلمية، وفي الجامعات الإسلامية،

وفي الروابط العالمية.

وهو رجل دولة من خلال المناصب التي تولاها، والتمثيل الرسمي الذي قام به، والمؤتمرات التي شارك فيها ممثلاً للدولة.

المحور الثالث، هو التفرد والاختلاف والنسيج المستقل بذاته عن غيره والتنوع في عطائه، حتى أصبح مضرب مثل في هذا الباب.

فهو رائد في التأسيس للحركة العلمية في بلادنا، وذلك من خلال المعهد العلمي ببريدة، والجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وغيرهما.

وهو رائد في نوعية اهتماماته، إذ جمع بين الشريعة والتاريخ والجغرافيا والرحلات واللغة والأدب.

وهو رائد في رحلاته المتعددة، حتى سماه الدكتور محمد المشوح عميد الرحالين، وهي تسمية أخذت في الانتشار والذيوع، ويصدقها الرحلات الكثيرة جداً في زياراته لدول العالم، وكتاباته الكثيرة عنها، حتى كتب عن بعض الدول عدداً من الكتب.

وهو رائد في كثرة الكتب والمؤلفات والمشاركات، فمؤلفاته تزيد على الثلاثمائة والستين، وهي في زيادة ونمو مستمرين.

وهو رائد في طول المؤلفات، فله مؤلفات في الستة مجلدات وفي العشرة والخمسة عشر والعشرين.

وهو رائد في معرفته بالرجال والناس والعوائل والأسر والأنساب.

وهو رائد في تكوينه، إذ جمع بين علوم متعددة، وليس غريباً أن يكون في بدايات طلبه للعلم منشغلاً بتعلم اللغة الإنجليزية.

وهو رائد باهتماماته المتعددة، من العلم إلى الدعوة إلى التعليم إلى مجالات الخير.

المحور الرابع، هو المنهجية في التعاطي مع الحياة، فرؤيته واضحة وأهدافه مرسومة بدقة، وهو ما يمكن أن يتمثل في المبادئ الكبرى التي يلتزمها في حياته، ويمكن أن نشير إلى أبرزها، وهي:

- الاستمرار في طلب العلم.
- العناية بالكتاب.
- التحقيق العلمي.
- المشاركة الثقافية في المشهد المتنوع.

أما المحور الخامس، فهو ما يتمثل في الإشارة إلى سماته العلمية ورؤيته إلى الحياة وطريقته في التحصيل، ومنها:

دقة الملاحظة:

وهو أمر مشاهد وواضح في معالي الشيخ وأحاديثه وحواراته وأسئلته، فهو لا يقف عند ما يلفت الجميع من الأشياء الظاهرة، وإنما يتجاوز ذلك إلى استنباط الدقيق من العلم والمواقف والآراء والسمات. وحين تقرأ له أو تسمع فيلفتك هذا التدفق الكبير من المعلومات التي لا يستطيع استنباطها إلا

مماثلوه.

وهذه السمة أفادت معاليه قدرة واسعة على توثيق رحلاته، فهو يكتب في مشاهداته ورحلاته الأشياء التفصيلية الدقيقة، وهذا لا يقف على رحلاته، وإنما يمتد ليكون قادراً على الملاحظة في كل شيء، سواء في المسائل العلمية أو الوثائق أو العلاقات الاجتماعية، وأما شأنه في الرحلات فكبير، لأنه يصرح عن نفسه بأن الفضول يقوده إلى أشياء متنوعة.

الدخول إلى التفاصيل:

فبدلاً من إعطاء المعلومة العامة تجد معالي الشيخ ينتقل إلى تفاصيل المعلومة وأطرافها، ويستدل بالأشياء الخارجة عنها عليها، ورغبة في تحقيقها تجده يسأل ويستفسر عما تظنه بعيداً منها، ولكنك تفاجأ بأنه يريد أن يستوعب تفاصيل القول فيها.

وتبعاً لذلك يتجلى عند معالي الشيخ القدرة على الربط بين القضايا والمواقف والأحداث، وأن ينتقل من الحدث البسيط المهمل عند كثيرين، إلى قضية تاريخية، ومن القضية التاريخية إلى قضية فقهية وهكذا.

التدفق اللغوي:

يمتاز أسلوب معالي الشيخ بالبساطة في الكتابة، والسهولة في التناول، وأما أسلوب حديثه، خصوصاً الإذاعي منه، فيمتاز بالتدفق اللغوي الكبير، والبراعة في ضبط اللغة وفصاحة القول. وهو دائم حريص على اللغة واحترام

قواعدها وأطرها، وقد أفاده في ذلك النشأة العلمية الصارمة التي تكوّن من خلالها.

وقد علمت من أحد المهتمين باللغة أنهم يريدون تقديم تجربة معالي الشيخ لطلاب اللغة العربية، بوصفها أنموذجاً لغوياً فريداً على اللغة العربية المتقنة والسهلة.

الذاكرة:

يتمتع معالي الشيخ بذاكرة مميزة، فهو يروي ما شاء الله من المواقف والمعلومات بشكل توثيقي دقيق، وقد سمعت من كثيرين شاركوه في عدد من المواقف وأحداث الحياة، ويعولون على روايته، ومنهم الشيخ عبدالعزيز المسند، رحمه الله، الذي سافر معه وشاركه في عدد من المواقف، ويشير إلى هذه المسألة.

العزيمة والجلد:

هي السمة الرئيسة المهمة في سمات معاليه، وبها استطاع أن يكوِّن نفسه علمياً وإدارياً، وأن ينتج ويعطي هذا العطاء الكبير بتوفيق الله سبحانه وتعالى له.

وعزيمته تتصل بجميع مراحل حياته، بدءاً بنسخ الكتب بخط يده، ورحلته على الدواب إلى بعض المدن للحصول على الكتاب، ومروراً بسنوات الطلب والقراءة والتأليف، وجمع العلم والمعلومات من مصادرها، وانتهاءً

برحلاته العالمية، ووظائفه التي تقلدها ولايزال، والانصراف لتوثيق المعلومات، وإصدار المؤلفات.

والرجل بعمره الآن، وما نجده من حرصه ومتابعته للعلم ولوسائل الثقافة وللتأليف والسفر مما تفتر عنه عزائم الشباب، يدل بشكل قاطع على هذه العزيمة والهمة.

ومما أتذكره أن أعضاء وفد ضيف الشرف لمعرض الرياض الدولي للكتاب ٢٠٠٨، وهي دولة البرازيل، كانوا يتحدثون معي شخصياً عندما ذكرت لهم كتب معاليه عن البرازيل، وعدد المدن التي زارها في البرازيل فقط، وكانوا يتعجبون من ذلك، وأشاروا إلى أنهم لا يتصورون أحداً في البرازيل قد زار ما زاره معاليه من البرازيل، وأما مؤلفاته عن البرازيل فذلك يقطعون به.

وأما السمات الماثلة في مؤلفاته، فمنها:

براعة العنوان:

لمعالي الشيخ طريقة لطيفة في اختيار عناوين كتبه، وهو يجتهد في الاختصار والسمة الأدبية، شريطة ألا تقلل من الدلالة العلمية للكتاب.

الموسوعية:

عدد من كتبه تمثل موسوعات كبيرة في بابها، فكتاب (معجم بلاد القصيم)، أو كتاب (الأمثال العامية)، أو كتاب (معجم أسر بريدة)، أو

كتاب (معجم الأصول الفصيحة)، تمثل الموسوعية بحقيقتها، وهو ما يدعوني أن ألفت نظر معالي الشيخ إلى أن يجتهد في تكليف طلابه أو أبنائه أو الدور الناشرة بأن تعتني بالفهارس المفصلة التي تقوم بتفصيل المعلومات الدقيقة للكتاب، لأن كتاباً مثل: معجم أسر بريدة، ليس كتاب تراجم فقط، ولا يستفيد منه إلا أبناء كل أسرة يبحثون من خلال الحرف الذي يوصلهم إلى أسرتهم فحسب، وإنما هو كتاب توثيقي كبير للحياة الثقافية والعلمية في بريدة، وهذا يوجب أن يلحق به فهارس متنوعة وتفصيلية، كما نجد ذلك في المصادر المماثلة في المنهج والعدد، مثل: سير أعلام النبلاء، والأغاني، وغيرهما. وذلك بوجود فهرس الأعلام والأماكن والكتب والوثائق والكتّاب والشهود وغير ذلك.

المشاريع الكبرى:

لمعالي الشيخ مشاريعه الخاصة والكبيرة، وانتشاره واشتهاره بالعمل الإسلامي، والرحلة إلى أصقاع الدنيا، حجب عند بعض الأجيال الجديدة ما يتفرد به معاليه من علوم، وما يعكف عليه من مشاريع كبرى، فهو صاحب منهج رصين مبكر، ومشاريعه الرئيسة ولدت مع شبابه، ولايزال عاكفاً عليها، وهو ينجز منها الواحد تلو الآخر، ولا ينقطع عنها في رحلة أو عمل أو كتاب مختلف إلا ليعود إليها، وتظل هي هجيراه وأنسه وأنيسه الدائم، وهي التي ستبقى كعلامة كبرى في مسيرته العلمية، كما يقدر ذلك الراصدون

لسيرته ومسيرته.

يتضح مساران كبيران في مشاريع معالي الشيخ محمد العبودي، وهما:

- الأعلام والتراجم.
- التاريخ والجغرافيا.

فكتاب (معجم بلاد القصيم)، الذي يعد من أوائل مخرجات مسار التاريخ والجغرافيا الذي سلكه، إذ يعدُّ هذا المعجم البوابة الأولى ضمن المشروع الكبير الذي عمل في رصد المواقع الجغرافية ودراسة تاريخها الثقافي واللغوي والأدبي في المملكة العربية السعودية من خلال فريق من العلماء، وكان جهد الشيخ هو الأكبر من بينها على مستوى الحجم، وكان هو البداية الفعلية الأولى التي ولدت عدداً كبيراً من الدراسات حول تاريخ المنطقة وجغرافيتها.

ولنتخيل قليلاً هذا المشروع الضخم عندما يتصدى له رجل فرد! في غياب مطلق لأدوات البحث الحديثة، وأدوات التسجيل الكبيرة، وإنما تصبح المسألة مقصورة على العزيمة فحسب، فيقوم به معالي الشيخ ليرسم من خلال الكتب والوثائق والمشاهدة والمعاينة لمناطق القصيم حجراً حجراً، ويقدم لنا هذا السفر الضخم الذي لايزال بحاجة إلى الفهرسة الدقيقة، لأنه تجاوز الموضوع الواحد، فليس كتاب جغرافيا فحسب! وإنما تجد فيه الحديث عن اللهجات والقبائل واللغة والتاريخ، بل إن فيه معلومات

متخصصة يعزُّ أن تجدها في غيره.

وهذا القول حول «معجم بلاد القصيم» ينطبق على المعاجم الأخرى كالأمثال والأصول الفصيحة وغيرها.

التنوع:

السمات السابقة توصلنا إلى سمة مهمة في معالي الشيخ ومؤلفاته، وهي التنوع والثراء والجدة:

فمن أراد التحقيق والبحث العلمي فيجد ضالته في المعاجم.

ومن أراد جدة الأفكار فليقرأ كتاب «حكم العوام».

ومن أراد السرد التوثيقي فمشاهد من بريدة.

ومن أراد الرحلة فكثيرة لا تحصر.

ومن أراد العاطفة والتجلي في الوصف فعليه برحلات معاليه إلى البرازيل.

ومن أراد القصة فعليه بمطوع في باريس.

ومن أراد النهج التأليفي التراثي فدونه المقامات الصحراوية.

ومن أراد الإخباريات فهذه أخبار أبي العيناء.

ومن أراد حكايات الآباء والأجداد فكتاباته عن أخبار مطوع اللسيب أو قني.

ومن أراد الحديث الشرعي فهذا كتاب نفحات من السكينة القرآنية.

❖ ❖ ❖

كل هذه المداخل والمفردات حول سيرة معاليه العلمية والعملية توجب أن

يتحرك محبوه للاحتفاء بهذا الأنموذج المميز من أبناء هذه الأمة وهذا الوطن، وهو الاحتفاء الذي يتجاوز حفلات الطعام والسلام والتحية إلى لقاءات العلم والدراسة والاستفادة، وذلك بأن يقدم للجيل المعاصر بصفته الحقيقة التي يتجلى فيها جلد آبائنا وأجدادنا في طلب العلم، والسعي في طرقه، ومغالبة الحياة والكدح في سبيل الوصول إلى ما يحقق المعرفة والعلم.

ولا بد في كتابة كهذه الكتابة التي أعنى بها الآن، أن ألمح ـ ولو بإشارة عابرة ـ إلى الفكرة التي احتفى بها سمو أمير منطقة القصيم الأمير فيصل بن بندر، رعاه الله، وسعى إليها عدد من الزملاء، وعلى رأسهم: د. محمد المشوح، والأستاذ صالح التويجري، وهي فكرة إنشاء مركز ثقافي يحمل اسم معالي الشيخ، وقد علمت أن معاليه وعد بتزويد هذا المركز بوثائق ومخطوطات وكتب ثمينة، وقد كان لي شرف الإسهام بتحريك هذه الفكرة في أروقة وزارة الثقافة والإعلام، وأرجو أن يتحقق لهذه الفكرة التحول إلى حقيقة بشكل عاجل، وذلك تحت مظلة الاتجاه النبيل من الحكومة في تكريم ورعاية الثقافة وأصحابها، ولعل جهود وزير الثقافة والإعلام ووكيله للثقافة سعادة الدكتور عبدالعزيز السبيل تعزز هذا الاتجاه، وهم الأعرف بقيمة الشيخ العلمية والثقافية.

هي فكرة، وما زالت الأفكار تولد وحيدة مرتجفة، ولا تجد الأنس

والدفء إلا من خلال تواتر الأمنيات والجهود والكتابات، فمعاليه له حق على وطنه ومنطقته، وليس هذا حقاً مجرداً، بل إن مثل هذا المركز سيرتد نفعه وأثره على المنطقة، فمثل هذا المركز ليس فقط تخليداً لاسم الشيخ، فهو خالد بإذن الله بمؤلفاته وعلمه، وإنما بهذه الخطوة ومثيلاتها سيحفظ تاريخ المنطقة وتاريخ رجالاتها، خصوصاً كمعالي الشيخ، الذي رصد تاريخها، وقابل كبارها، وجمع وثائقها، وهي أمنية نسعى إليها لمثل هذا الرجل الكبير، ولأمثاله في مناطق المملكة بشكل عام.

❖ ❖ ❖

معالي الشيخ محمد العبودي هو أحد أكثر المؤلفين الكبار في تاريخ المسلمين، وهو الأبرز محلياً دون شك، وهو إلى ذلك وهذا صاحب ثقافة موسوعية ضخمة، واستطاع بجهوده وعزيمته وبتوفيق الله سبحانه وتعالى له أن يدرك ما لا يتيسر لغيره من مجالات العمل والعلم والدعوة، وهو ما يدعوني هنا أن أختم هذه الانطباعات العابرة بعدد من الاقتراحات التي أرجو أن تكون سبيلاً لنفع أعم وأشمل.

- من حق تلاميذك يا معالي الشيخ، ومن حق جيلك، ومن حق بلدك وأمتك، أن ترصد تجربتك الشخصية في الحياة العلمية والعملية بكتاب يتصل بسيرتك الذاتية، تُسجل فيه الآمال والآلام التي مررت به؛ لتكون نبراساً للجيل الصاعد، ووثيقةً تشهد للتاريخ بما مررت به أنت وجيلك من

أمور نتخيلها ولا نعيها، ولن يجد جيلنا ناصحاً وصادقاً وأميناً إلا في معاليك وأمثاله.

- ماذا عن اللقاءات المفتوحة؟ أعلم جيداً أن معالي الشيخ ممن حطمه الناس بالزيارات وطلبات اللقاء والدعوات المتكررة، وهو ممن يجتهد في الاستجابة للناس، ولكنه يعي أن الوقت ثمين جداً. ومن هنا فأقترح على معاليه أن يحدد مساء أحد الأيام في كل أسبوع، أو أسبوعين، أو شهر، يجلس فيه لتلاميذه ومن يرغب زيارته، فيتعارف الناس على ذلك ويشيع، وبذلك يجد الناس فرصتهم للاستفادة من معين الشيخ الواسع، ويجد معاليه فرصة لضبط طلبات الزيارة العامة، وهي فرصة تتاح لطلبة العلم في اللغة والأنساب والجغرافيا والتاريخ والدعوة، ليجدوا بغيتهم في معاليه، وليجد معاليه فرصة لاستماع وجهات النظر المختلفة والمعاكسة، وهو أحد الرجال الذين يؤمنون بقيمة الرأي والرأي الآخر، ولا يجعل نفسه في معزل عن الحق، وقد سمعته مراراً وهو يتحدث عن قيمة الحقيقة وميزة الرأي المدعم بالأدلة.
- هناك مشاريع كثيرة مؤجلة من معالي الشيخ، وهي معروفة عند كثيرين، ولأن معاليه رجل منهجي ومنجز، فإني أذكره بأن طلاب العلم ودراسي الفترة التي يوثقها معاليه ما زالوا بانتظار هذه المشاريع، وذلك مثل: سيرته الذاتية، وترجمته للشيخ ابن حميد، وابن باز، وحمد

الجاسر، وأعلام العالم الإسلامي الذين قابلهم.

- أتمنى على معاليه أن نرى قريباً مراسلاته كافة، سواء ما صدر من معاليه إلى الناس، أو ما صدر من الناس إلى معاليه.
- افتتح موقع معاليه على «الإنترنت»، بجهود كبيرة من تلميذه الوفي وصديقنا العزيز النبيل الدكتور محمد المشوح، وجهوده مستمرة ومشكورة في نشر علوم معالي الشيخ وآدابه، ولكن الموقع ليس نهاية المطاف، وإنما نتمنى من معالي الشيخ أن يخص هذه النافذة الإلكترونية ببعض الصور والوثائق والرسائل والمسودات والكتابات القديمة وصوراً لمكتباته، وتلك هي لغة العصر الحديث، فلعل معاليه بهذه الخطوة يضيف لهذا الموقع حياةً جديدة.

❖ ❖ ❖

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يكلل مساعي معالي شيخنا الجليل محمد العبودي بالسداد والتوفيق، وأن يبارك له في عمره وعمله وذريته ووقته، وأن يجزل له الأجر والمثوبة جزاء ما قدم إنه ولي ذلك.

معجم سعودي لكلمات اندثرت أو كادت
محمد بن ناصر العبودي يتناول أكثر من ٢٠٠٠ مفردة
مع حكايات تعطي صورة اجتماعية عن ظروفها

د. إبراهيم بن عبدالله السماري

يكاد يتفق الباحثون المتمرسون على أن العمل المعجمي من أصعب الأعمال العلمية، إن لم يكن أصعبها على الإطلاق؛ لأنه ذو طبيعة شمولية تقوم على الاستقصاء في دائرة أقصى الممكن، كما أنه يحتاج إلى أن يكون القائم به ذا فكر متوقد وممن يملك قدرات مميزة؛ ليتمكن من معالجة تلك الشمولية بواسطة أدوات البحث المتاحة بين يديه، بطريقة آمنة ومثمرة في الوقت ذاته. وربما يفسر هذا قلة الأعمال المعجمية عند استعراض قائمة إحصاءات الإنتاج العلمي البشري بروح المقارنة، قياساً إلى غيرها من الأعمال التي تقذف بها المطابع يومياً، وتصبح أهمية العمل المعجمي أكبر وأشد ضرورة عندما تتعلق بتسجيل مادة كادت تنقرض، أو انقرضت من التداول وأصبحت مجرد ذكريات تسكن في الصدور، كما أن هذه الصعوبة قد تفسر إلى حد «ما» سر اقتصار التأليف المعجمي على فئة من الضالعين في كل فن من فنون العلم. وربما أصبح هذا التأليف في كثير من الأحيان من مهمات البيوتات والمؤسسات العلمية ذات الكوادر الخبيرة والمؤهلة القادرة على إثراء العمل المعجمي والموسوعي، وهذا هو ما يمكن أن نصف به الكتاب الذي بين أيدينا ، وهو كتاب «كلمات قضت» ـ معجم

بألفاظ اختفت من لغتنا الدارجة أو كادت ـ تأليف محمد بن ناصر العبودي، الذي نشرته دارة الملك عبدالعزيز بالرياض في مجلدين. وهو ـ في جانب آخر ـ يربط بين جيلين في مجال اللغويات السائدة والبائدة، ويقوم بشرح معاني عدد من الكلمات التي أصبحت في الجيل التالي غير مفهومة من دون هذا الشرح، يضاف إلى ذلك ما فيه من استشهادات بمسميات وأبيات شعرية قديمة وحديثة فصيحة وعامية، وما تضمنه من حكايات يمكن أن تعطي صورة اجتماعية واضحة عن أزمنة وظروف مختلفة، تعين الدارسين المتخصصين على تحديد المعالم الدينية والاجتماعية والثقافية والعلمية والاقتصادية والسياسية لتلك المجتمعات، فالكلمات التي يتداولها المجتمع المحلي في زمن سابق للدلالة على استخراج الماء من الآبار بواسطة الحيوانات، أو للدلالة على أدوات الحرث والري والحصاد وتربية الماشية، أو للتعريف بأنواع الطعام وطريقة خزنه، أو للرمز إلى الحاكم والمسؤول المحلي وأدوات الحرب والعراك، وما إلى ذلك من كلمات تعبر عن واقع معين، كلها يمكن أن تلقي ضوءاً واضحاً تتبين من خلاله طبيعة ذلك المجتمع، وطبيعة معاشه، وطبيعة علاقاته مع بعضه البعض ومع غيره، والفائدة من هذا المعجم متاحة للجميع من دون استثناء، فعلاوة على أهميته للمتخصصين في اللغويات، فإن المتخصص في علم الزراعة أو في علم الأدوية مثلاً قد يجد أسماء لنباتات كانت موجودة في وقت لاستخدامات دوائية أو زراعية ثم

انقرضت، كما سيجد الباحث الاجتماعي حتماً في معاني كلمات الألعاب الترفيهية مثلاً السائدة في تلك الحقبة مادة ثرية لدراسة درجة التكيف الاجتماعي آنذاك، وهكذا في مجالات أخرى يمكن أن تثريها كلمات ذلك المعجم أو أن تفتح لها آفاقاً أعمق لدراسة العنصر البشري أو المكاني أو الزماني في المجتمع الذي يحكي ذلك المعجم كلماته التي قضت وانقرضت، يضاف إلى ذلك أن جانب اللغويات التي تكاد تنقرض أو انقرضت، ظل مقصوراً على اجتهادات المستشرقين في كثير من الأحيان، مما جعل مسار الأهداف المتوخاة من دراسة هذه اللغويات ينحرف أحياناً، بل كثيراً، عن الآمال الوطنية المخلصة، ومما يحضرني من تلك الدراسات على سبيل المثال «أصول اللغة العربية العامية والفصحى»، ألفه الفرنسي «دي سفاري» سنة ١٧٨٤، وقد نشر الكتاب بعد موت مؤلفه، وعهد بنشره وتنقيحه إلى ميخائيل الصباغ أحد مدرسي العامية في فرنسا، و«أمثال المكيين»، ألفه الهولندي «سنوك هورونجيه»، و«بحث في لغة نجد الحالية»، كتبه الفرنسي «جان هيس» عام ١٩١٢، و«الكلام الدارج بمصر القاهرة»، بحث قدم لمؤتمر لندن عام ١٨٩٢، و«لغة الجزائر العامية»، ألفه «هوداس»، و«العربية ولهجاتها»، ألفه السويدي «الكونت دى لاندبرج»، وقدمه للمؤتمر الدولى في الجزائر عام ١٩٠٦، و«مباحث عامية»، ألفه الإيطالي «جيوسب فورلاني»، و«قواعد في اللغة العامية المصرية»، ألّفه

الأمريكي «فسك»، و«في النصوص العربية والأعجمية في مدينة العرائش»، ألفه الأسباني «مكسيميليانو أغوسطين» ونشره عام ١٩١٠، و«مواد لدرس لهجة عرب البدو في افريقية المتوغلة»، ألفه الألماني «جورج كمبفماير» ونشره فى برلين عام ١٨٨٩، و«لهجة قبائل اليمن وما جاورها من جنوب الجزيرة العربية» لـ«جورج كمبفماير» أيضاً، و«ثلاث مقالات في اللهجات العامية»، أَلَّفه الألماني الدكتور«فيشر» ونشره عام ١٨٩٨، و«معجم اللهجة المغربية العامية»، ألفه الفرنسي «بوسييه»، و«لهجة عرب هوارة»، ألفه الألماني «هنس ستومة» مع أستاذه «ألبرت سوسين»، و«أشعار البدو بين قطري تونس وطرابلس الغرب»، للمؤلف نفسه ونشر سنة ١٨٩٥م بعناية الإيطالي «نالينو»، و«مجموعة عن الأدب الشعبي العراقي، نشرها الألماني «إدوار ساخو»، في عام ١٨٨٩، و«حكايات من العراق» للألماني «بروثومايستر» عام ١٩٠٢، و«دراسة فى فنون العراق»، للألماني «فرانزها يتريش فايساخ» ونشر عام ١٩٣٠.

أعود لكتاب «كلمات قضت» لأشير إلى أن مما أضفى عليه أهمية علمية ورونقاً ثقافياً جذاباً أنه يُرجع كثيراً من الألفاظ الدارجة إلى أصولها العربية، بما يملكه مؤلفه من زاد علمي وفير وخبرة عملية واسعة، ولاسيما أنه كان شاهداً على كثير من تلك الألفاظ التي تضمنها معجمه بالممارسة والمعايشة، وقد أوضح العبودي أن الكلمات المتداولة في أي مجتمع ليست

كالإنسان يمكن أن تموت موت الفجاءة، ذلك أن موتها في هجران أهلها لها، وهذا لا يكون بين ساعة وأخرى، وإنما تنشط ثم ترتخي وتمرض حتى تموت، إذا عَدَت عليها عوادي الزمن، وصرعتها الثقافات الجديدة المصحوبة بكلماتها المناسبة لها.

معجم الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة
أو: ما فعلته القرون بالعربية في مهدها

أ/ محمد بن عبدالله الحمدان

هذا المعجم ألفه لتوه صاحب المعالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي ليضاف إلى مؤلفاته الكثيرة المنوعة في الدين والأدب والرحلات، ومؤلفاته المقبلة التي تدور عليها عجلات المطابع الآن، كتاب في الأمثال (٨) مجلدات، وكتاب في أُسر أهل بريدة في (٢٣) مجلداً.

ما شاء الله، تبارك الله، أهنئ شيخنا أبا ناصر على هذا الْجَلَد والصبر والجد والنشاط النادر، وفقه الله وأعانه على إخراج ما بقي لديه من درر ونوادر، ووفق الجهات المعنية لدعمه وتشجيعه هو وأمثاله.

أعود ـ والعود أحمد أحياناً ـ لكتاب الشيخ الجديد، المذكور اسمه أعلاه، إنه يتكون من ١٣ مجلداً (ثلاثة عشر)، تتراوح صفحات المجلد منها بين ٣٥٠ و٦٠٠ صفحة، أخرجته (مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض) وهي الرائدة في كثير من نواحي المعرفة.

وفي آخر مقدمة المؤلف الفاضل قال: «ولا يفوتني هنا أن أنوه بجهود صاحب المعالي الأستاذ الكبير، إبراهيم بن عبدالرحمن الطاسان، رئيس الشؤون الخاصة لخادم الحرمين الشريفين، على جهوده المشكورة لطبع هذا المعجم.

والشكر الجزيل لأصدقائي الكرام، في مكتبة الملك عبدالعزيز

العامة، وعلى رأسهم صاحب المعالي المستشار بالديوان الملكي، والمشرف العام على المكتبة، الأستاذ فيصل بن عبدالرحمن بن معمر، وسعادة نائبه الدكتور عبدالكريم بن عبدالرحمن الزيد، فلهم الشكر الجزيل، وبالله التوفيق» (ص٣١).

في المجلد الأول (تصدير) لمكتبة الملك عبدالعزيز العامة، (في صفحتين)، ثم مقدمة المؤلف ـ التي تقدمت الإشارة إليها ـ وقد جاءت في ٢٣ صفحة، من عناوينها:

ـ المراد بالعامي

ـ خطورة النقل غير المباشر

ـ العامي الفصيح

ـ معجزة اللغة العربية

ـ خطة البحث

ـ جمع الألفاظ العامية

ـ توثيق الكلمات العامية

ـ كتابة الشعر العامي

ـ كتابة الألفاظ العامية

ـ الكلمات الفصيحة

ـ أهمية دراسة هذه الألفاظ

- نماذج من أنواع الكلمات العامية الواردة في المعجم

- اختصار المعجم

ذكر في هذا العنوان أنه أخرج هذا المعجم خوفاً من تأخر صدوره وترك أشياء كثيرة ستكون في المعجم الكبير (معجم الألفاظ العامية).

وقد أجاد الشيخ في هذا الكتاب وأفاد - كعادته في مؤلفاته الكثيرة - التي كتبت عن بعضها في هذه الجريدة، وكتب عنها آخرون، وأوفى د. محمد المشوح الحديث عن الشيخ وكتبه وبحوثه في كتابه (عميد الرحالين.. الشيخ محمد بن ناصر العبودي).

من أمثلة استقصاء المؤلف وعمقه أن كلمة (بسر) (ب س ر) تكلم عنها في صفحتين من المعجم.

لست هنا في مجال دراسة عن الكتاب، ولكني فقط أبشر نفسي والقراء بصدوره لأهميته وفائدته، يكفي أن تعلم أن صفحات الكتاب بلغت ٦٢٧٤ صفحة.

مصادر الكتاب

رجع الشيخ في معجمه لـ (٣٥٤) مصدراً ومرجعاً، وقال إنه لم يثبت في المعجم من الكتب والأوراق التي رجع إليها إلا ما ورد ذكره في الكتاب أو حواشيه.

وأذكّر القارئ ببعض كتب الشيخ أعانه الله على بقيتها.

١ - كلمات قضت.. معجم بألفاظ اختفت من لغتنا الدارجة أو كادت،

مجلدان (١٥٥١) صفحة، نشرته دارة الملك عبدالعزيز ١٤٢٣هـ.

٢ ـ معجم الكلمات الدخيلة في لغتنا الدارجة، مجلدان، نشرته مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ١٤٢٦هـ في ٧١٩ صفحة.

٣ ـ معجم بلاد القصيم، ٦ مجلدات، صفحاتها ٢٦٣٢.

٤ ـ نفحات من السكينة القرآنية، أثنى عليه الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد، رحمه الله، طبع عام ١٣٨٠هـ.

٥ ـ مأثورات شعبية، طبعته جمعية الثقافة والفنون (طبعة يتيمة) عام ١٤٠٢هـ وجاء في ٣٨٨ صفحة.

وللشيخ كتب الرحلات في حوالي ٢٠٠ جزء، طبع بعضها، والبعض الآخر ينتظر وزارة الثقافة أو غيرها، وله كتب أخرى كثيرة في الأدب، والمقامات وغيرها.

أين وزارة الثقافة... أتساءل ـ ويتساءل معي الكثيرون ـ عن دور الوزارة في تشجيع المؤلفين، والمساعدة في طباعة المفيد منها، كمؤلفات الشيخ العبودي وأمثاله.

شيء مؤسف، والمؤسف وجود كتاب للشيخ العبودي عن الأمثال العامية وصلتها بالأمثال العربية، ظل يراوح مكانه في دهاليز إحدى الإدارات الثقافية منذ سنوات!!

حاشية كتب ربان هذه المجلة مرة عن وجوب بر الرجل بوالده، بأمور

عدة أقلها ذكر اسم أبيه حين يكتب اسمه في أمر أو شأن، أعجبتني الفكرة التي كنت طبقتها منذ بدأت أكتب، ثم بدأت أبثها بين من أعرف وأشجعهم على البر بآبائهم ولو بهذا العمل.

وكذلك المرأة يجب أن تذكر اسم أبيها، وأن تفصل بين اسمها واسم أبيها بكلمة (بنت) ،كما تفعل بعض الكاتبات والمسؤولات.

فالمرأة هي فلانة بنت فلان، وليس اسمها (فلانة فلان).

كذلك الرجال يجب أن يفصلوا بين أسمائهم وأسماء آبائهم بـ (ابن)، لأن اسم أحدهم فلان بن فلان وليس اسمه (فلان فلان)، فـ (فلان) اسم أبيه.

والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ محمد بن عبدالله وليس محمد عبدالله، وهكذا بقية أسماء الصحابة والتابعين والعلماء وغيرهم.

قلت في إحدى مقالاتي ـ قبل سنوات ـ يجب أن نقول للمحسن أحسنت، وليتنا نستطيع أن نقول للمسيء أسأت.

طرفة تذكرني هذه السجعة بقصة طريفة ظريفة اسمها لطيفة (نسيت نصها) وملخصها أن فتاة تحب زوجها، ويحبها (حسبما سمعت من مصدر غير موثوق) لما توفي زوجها أنشدت وهي تتجول (بالجيم المهملة) في بستان أبيها: أيها الموت لقد أسأت، لماذا تركت الابن والأخ وبالزوج بدأت. فلما سمعها أبوها أو أخوها استفسر منها عما قالت، فردت: لقد قلت: أيها الموت لم تركت الخوخ والجوز وبالكرم بدأت. فصدقها.

قراءة في مشاهد من بريدة للعبودي

الكتاب فيلم تصويري توثيقي للحياة الاجتماعية في بلاد نجد

أ/ قاسم الرويس

كنت قد وعدت القراء في قراءتي لكتاب (أخبار قني) للشيخ محمد ناصر العبودي، في العدد ١٥٠١١ وتاريخ ٨ شعبان ١٤٣٠هـ، باستعراض كتاب (مشاهد من بريدة) وغيره من إصدارات الشيخ الأخيرة، ثم شغلنا عنها بغيرها ، وهانحن نعود إليها مرة أخرى.

جاء هذا الكتاب في ١٦٨ صفحة بدون تبويب أو ترتيب معين، وإنما كان أشبه بالفيلم السينمائي الذي جرى تصويره في بريدة القديمة، ابتداءً من منزل الشيخ نفسه، الذي قصد بريدة يوم الخميس ١٤٢٣/١/٢٨هـ، للاطلاع على بيته الذي يبنيه هناك، ومعاينة المكان الذي سيضع فيه لوحة تذكارية تاريخية هي الأولى من نوعها في مدينة بريدة، ونص اللوحة: (اشترى عبدالرحمن بن عبدالكريم العبودي أرض هذا البيت في عام ١٣٠٧هـ وحوشه وحفر فيه بئراً في العام نفسه، ثم عمره بيتاً أنهى عمارته وسكنه في عام ١٣١٣هـ، وبقي ملكاً له حتى توفي في عام١٣٢٣هـ، فاشتراه من ورثته ابنه ناصر بن عبدالرحمن العبودي، وبقي معه حتى توفي فيه عام ١٣٧٠هـ، فاشتراه ابنه محمد بن ناصر العبودي، وسكنه فترة ثم هدمه وبناه بالأسمنت المسلح، وقد خطط مبناه وأشرف على تنفيذه ابنه المهندس

المعماري (ناصر بن محمد العبودي)، وتم بناؤه في عام ١٤٢٣هـ، أي بعد مائة عام من وفاة مؤسسه وبانيه الأول).

ويبرر الشيخ وضعه لهذه اللوحة بسبب عدم وجود لوحات معلومات توضيحية على الأماكن والأبنية التاريخية في بريدة.

والحقيقة أن هذه اللوحات، التي تحكي تاريخ الأبنية والمعالم، مفقودة في جميع أنحاء البلاد، على رغم أهميتها، إذ إن وضع هذه اللوحات يعتبر سلوكاً متحفياً تاريخياً حضارياً معمولاً به في جميع أنحاء العالم؛ ففكرة الشيخ هذه يفترض أن تكون مشروعاً وطنياً تتبناه هيئة السياحة بوجود صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان آل سعود.

تنثال ذكريات العبودي على صفحات هذا الكتاب انثيالاً، بأسلوب مشوق يجبرك على متابعة القراءة كلما أردت التوقف، بدأ العبودي ذكرياته بجولة تاريخية خيالية في شارع بيته، وهو في زاوية من زواياه تحت الإنشاء، فشاهد والده وجيرانه وجيران الجيران الذين نسيت أخبارهم، إذ قال: «وقد جربت الحديث مع أحفاد أولئك الشيوخ فوجدتني أحدثهم حديث آبائهم وأجدادهم، كما أحدثهم عن شخصيات تاريخية يعجبهم الحديث عنها، لأنه لم يهتم أحد من أسرهم ولا من غيرهم بالحديث عنهم أو بيان أحوالهم» ومن هنا تأتي أهمية هذا الكتاب.

فترجم الشيخ في هذا الكتاب تراجم موجزة لعدد كبير من جيرانهم

قبل ٧٥ سنة، ومنهم على سبيل المثال:

١ ـ صالح بن سليمان الغليقة الذي يعده الشيخ من النابهين النبغاء، إذ يحسن مهناً عدة إلا أن هناك مهنة لا يجيدها غيره من أهل بريدة وهي تقدير الشجاج، فعنده مسبار من المعدن يقيس به الشجة.

٢ ـ عبدالله بن سمحان، أحد رجال عقيل، الذي وصفه العبودي بالمفكر، فقد فكر في استغلال بعض الآبار القديمة، فأحضر معه على بعيره من العراق مضخة قوية تحرك باليد، التي كانت موضع عجب الناس في ذلك الوقت.

٣ ـ ناصر بن عبدالرحمن العبودي، والد الشيخ الذي تميز بصنع البارود في القصيم.

٤ ـ محمد بن علي الطرباق، القوي الذي لا يسيطر على مجانين بريدة غيره.

٥ ـ علي بن منيّع، أول من أدخل «البامية» إلى الحي، إذ لم تكن معروفة في ذلك الوقت.

٦ ـ دحيم الرسي، الذي عاش في دبي ٢٥ سنة، وكان يقص على الناس قصة معيشته هناك.

٧ ـ علي بن محمد الحامد، معلم البناء الماهر، الذي طلبه الملك عبدالعزيز فيمن طلب لبناء قصور المربع سنة ١٣٥٣هـ.

٨ ـ عبدالله بن خليفة السعيدان، أول نجدي سافر للولايات المتحدة

الأمريكية التي عاد منها قبل الحرب العالمية الأولى.

وقال «ص٢٧» موضحاً منهجه في هذا الكتاب: «وقد حاولت أن أكسر هذه القاعدة القائمة على الجهل أو التجاهل بما كان عليه آباؤنا وأجدادنا وأهل بلادنا، خصوصاً ما يتعلق بذواتهم وما يحسنونه من قول أو فعل، وبصفاتهم وما يكون فيها من حسن يجمل ذكره، أو قبيح يحسن ستره، وليس لنا مثل السوء في تتبع القبيح، وإن لنا في نشر الحسن الصحيح ما يغنينا ويغني التاريخ عنه، فضلاً عن الإكثار منه».

العودة إلى الواقع:

كان جميع ما ذكره الشيخ من معلومات وتراجم، حتى الصفحة ٢٨، عبارة عن جولة تاريخية متخيلة لما يصادفه ويصادف والده في الذهاب إلى دكانهم في سوق بريدة القديم أو العودة منه، وربما كانت مقدمة لما بعدها، إذ انتقل بعد ذلك إلى كتابة مذكراته بعد مضي سنتين، انتهى فيهما بناء البيت، فعاد إليه للتذكر ابتداء من عام ١٣٥٠هـ إذ (طِقّ التيل) في بريدة، والتيل المراد به البرقية، الذي وضعه الملك عبدالعزيز على رغم معارضة بعض المتشددين الذين رأوا فيه سحراً وكهانة.

ليعرج على محطات حياته متناولاً عدداً من الأحداث والمواضيع، منها وفاة الشيخ عبدالله بن سليم سنة١٣٥١هـ، وعمل والده وأسرته، ذكريات الطفولة، ووصف البيت وجميع مرافقه، حادثة «الختان» في سن الثالثة، وتحدث عن تخويف الأطفال بـ (الدفّاع)، أو (عبيد القاعة)، أو (الدودله

بالحسو)، أهل البيت، كيفية قضاء اليوم، وفاة والده سنة ١٣٧٠، الدكان، إهداء إبراهيم الرشودي له كتاب ابن القيم (عدة الصابرين)، طريقة صناعة البارود، الطريق إلى الدكان، جيران الدكان.

والشيخ يتخذ من الوصف الدقيق للمكان طريقة يسير عليها في كتابه من خلال العبور المتخيل في شوارع بريدة وحاراتها، فيذكر الحوادث ويترجم للأشخاص، حسب مروره ببيوتهم ودكاكينهم، انطلاقاً من بيته، فترجم للشيخ الخريصي، وعقلا بن موسى الحسين، ومحمد بن عبدان، وأبوطامي والد عبدالله الطامي، أول سعودي ينشئ إذاعة خاصة (إذاعة طامي)، وتحدث عن سوق الصنّاع، ليترجم للطويعينة أول من صنع سراج التنك في بريدة، إذ كان عجيبة من العجائب التي لم تستوعبها عقول بعض الناس، فقالوا عندما رأوه: «كفرنا به وآمنا بالله»، وهي نفسها العبارة التي رددها بعضهم عندما رأوا السيارة للمرة الأولى.

ثم تحدث عن بعض الخرافات الشائعة في ذلك الوقت، كخرافات شباط والمربعانية، ليتحدث بعد ذلك عن أسواق بريدة ودكاكينها، التي أحصاها سنة ١٣٥٧هـ، فبلغت ٣٢٧ دكاناً، ويشير إلى وجود دكاكين خاصة تبيع فيها النساء، ومنهن: النوصا، والتنشا، والسودا، وسعره، وأم الدعاجين، ومن المعلومات التي ذكرها العبودي، وربما يستغربها البعض، أن التبغ (التتن) كان يزرع في القصيم في مطلع القرن الرابع عشر، كما

تحدث الشيخ عن جردة بريدة، والحواشيش، والغزو والحرب، وغيرها من المواضيع التاريخية التي ينقلها الشيخ عن معايشة وإدراك وتعطي تصوراً عن واقع نجد قبل ٧٥ سنة.

الشعر والشعراء في الكتاب:

تضمن الكتاب بعض الأبيات الشعرية، وإشارات إلى بعض الشعراء، وذكر بعض المعلومات التي لم يدونها غيره مثل:

إشارته إلى شاعر مفلق اسمه سلطان زين العين، الذي انقطعت أخباره وأخبار أسرته. وإشارة إلى الشاعر عويدات المرداسي القائل:

يا كبر حظك يا العبودي يوم أن حسوك طلع حلوٍ شرابه

وإشارته إلى شاعر الحماسة محمد بن سليمان الصغير «ص ١٢٩».

ثم حديثه عن الشاعر محمد بن عبدالله العوني، الذي أسماه (أمير الشعراء)، ووصف موقع بيته وصفاً دقيقاً، وذكر عنه بعض القصص التي لم يذكرها غيره، وأشار إلى نقص الأبيات في قصيدته المسماة (المستحيطة) والموجودة في ديوانه، كما تحدث عن علاقته بالملك عبدالعزيز والهبات التي كان يمنحها له.

وفي نهاية الكلام في آخر الكتاب يقول الشيخ العبودي بكل تواضع: «ويقف الكلام في هذا المقام ليستريح القراء من هذا الذي يعده بعضهم هراءً من الهراء والله المستعان، وعليه التكلان».

والحقيقة أن هذا الكتاب يعتبر فيلماً تصويرياً توثيقياً للحياة الاجتماعية في بلاد نجد، لا يستغني عنه الباحث التاريخي، وبه من المعلومات التي لو لم يدونها الشيخ العبودي لذهبت هباءً منثوراً، فجزاه الله عن حفظ تاريخ بلادنا خير الجزاء.

بقي الإشارة إلى أن الكتاب صدر في طبعته الأولى عام ١٤٣٠هـ عن دار الثلوثية للنشر والتوزيع.

الشيخان حمد الجاسر ومحمد العبودي

د. محمد بن عبدالله المشوح

عندما تلقيت من سعادة وكيل وزارة الثقافة والإعلام للشؤون الثقافية، ومدير مركز حمد الجاسر الثقافي الدكتور ناصر الحجيلان، خبر تكريم معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي، وذلك تقديراً من مجلس الأمناء لجهود معاليه العلمية والثقافية.

عدت ورجعت إلى العلاقة الأولى التي بدأت بين العالمين الجليلين الشيخ حمد الجاسر والشيخ محمد العبودي.

حدثني شيخنا قائلاً إنه تعرف في أوائل الستينات الهجرية على الأستاذ ناهض بن عبدالعزيز الناهض، عندما كان يعمل مسؤولاً عن التفتيش في بريدة، وكان ناهض، رحمه الله، مثقفاً وقارئاً ثم انتقل لاحقاً إلى الرياض فلم تنقطع الصلة بينهما.

يقول شيخنا سنة ١٣٧٠هـ تقريباً قدمت إلى الرياض واتصلت بالأستاذ ناهض الذي دعاني إلى بيته قائلاً إن لديه الشيخ حمد الجاسر ولعلنا نجتمع سوياً.

فحضر إلى بيت الأستاذ ناهض، وكان هذا أول لقاء جمعه بالشيخ حمد الجاسر، إذ تعمقت الصلة العلمية، وصار الشيخ حمد الجاسر يهدي شيخنا بعض الكتب المهمة ويشجعه ويحثه على المزيد من الكتابة والتدوين، ثم

بدأ بنشر بعض مقالات الشيخ العبودي في مجلة «اليمامة» لاحقاً.

المؤكد أن الشيخ حمد الجاسر توقع من هذا الشاب الأربعيني آنذاك ملامح النجابة والنبوغ والتميز.

فلم يتردد في كتابة تلك المقدمة الحافلة لكتاب شيخنا الأول «الأمثال العامية في نجد»، الذي قام بطبعه سنة ١٣٧٩هـ، بمشورة وتأييد من الشيخ حمد الجاسر، الذي من المؤكد أيضاً استبشر به خيراً، مشيراً في تلميح عميق إلى أن ذلك سوف يكون بداية لدراسات تراثية علمية جادة عن أدب الجزيرة العربية، وهو ما حصل بالفعل، خصوصاً من شيخنا محمد العبودي، الذي نهض بهذه المهمة، وصار إماماً لتلك الدراسات الأدبية واللغوية في الجزيرة.

يقول الشيخ حمد الجاسر في مقدمة ذلك الكتاب: «وكتاب الأمثال العامية في نجد يعتبر باكورة طيبة من بواكير الدراسات الأدبية في قلب جزيرة العرب، هذه البلاد التي لا تزال بحاجة إلى كثير من الدراسات في جميع أوجه مظاهر الحياة العامة لسكانها، من تاريخية واجتماعية وأدبية وغيرها».

إلى أن قال: «ولئن كان من حق المؤلف الكريم على القراء ـ وهذا من حقه بلا ريب ـ أن يقدروا ما بذل من جهد حق قدره، وأن يستقبلوا هذا الكتاب أحسن استقبال، فإن من حق هؤلاء القراء على المؤلف أن يستنجزوه

الوعد بسرعة إصدار القسم الثاني منه، وأن يستحثوا عزيمته، لا لاستكمال البحث في موضوع الأمثال فحسب، بل بالاتجاه إلى نواحٍ عدة أخرى في هذه البلاد بالدراسة والتأليف، لأن هذه الباكورة اليانعة الطيبة التي قدمها الأستاذ العبودي تدفع إلى التطلع إلى ثمار شهية ناضجة من دراساته المقبلة».

وبالفعل وفّى العلامة العبودي بما وعد به صديقه علامة الجزيرة الشيخ الجاسر، فأصدر لاحقاً الأمثال العامية في نجد في خمسة مجلدات، الطبعة الأولى نشرته دار اليمامة، بدعم من دارة الملك عبدالعزيز سنة ١٣٩٩هـ، والثانية نشرته دار الثلوثية سنة ١٤٣١هـ.

لم تتوقف العلاقة بين العالمين الجليلين عند هذا فحسب، بل توجت كذلك باختيار الشيخ محمد العبودي لكتابة المعجم الجغرافي لبلاد القصيم، وذلك بترشيح وإلحاح من الشيخ حمد الجاسر، الذي لم يجد أكفأ ولا أقدر من العلامة محمد العبودي لكتابة هذا العمل العلمي العظيم.

وكذلك صدق حدس الشيخ حمد الجاسر في صديقه، فقدم للقراء والباحثين سفره الكبير «معجم بلاد القصيم»، والواقع في ستة مجلدات، وصدرت منه الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩هـ ليكون شاهداً على الحس العلمي الراقي والذائقة البحثية المميزة التي حباها الله الشيخ محمد العبودي. مما

دعا مرة ثانية الشيخ حمد الجاسر إلى كتابة مقدمة نادرة لصديقه في معجم بلاد القصيم، مناشداً منذ أكثر من أربعين عاماً إلى تكريم هذا العلامة والاحتفاء به لقاء ما قام من هذا الجهد الكبير.

وها هو مركز الشيخ حمد الجاسر ينهض بهذه المهمة برعاية وتشجيع ودعم من أمير التاريخ والثقافة، صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز، الذي ما فتئ يشيد بجهود الشيخ ويرعى تكريمه والاحتفاء به في مناسبات عدة كان آخرها تكريم دارة الملك عبدالعزيز له بصفته أحد أبرز الرواد لتاريخنا المحلي.

لقد استطاع العلامة الشيخ محمد العبودي أن يقدم أنموذجاً رائعاً ومميزاً للعالم الموسوعي الذي يكاد تنقطع صفته في هذا الزمن بعد رحيل عدد من رموزه ورواده، وعلى رأسهم العلامة شيخ الجزيرة حمد الجاسر، رحمه الله.

بل إنه كذلك أنموذج قدوة للمثقف السعودي الجاد، الذي بذل وقته وجهده لخدمة العلم والأدب والثقافة فحسب.

إن العلاَّمة «العبودي» يحمل سمات علمية نادرة تستحق الدرس والعناية، يقع في قمتها الجدية والانضباط والبعد عن الوهمية والشتات.

إنه صاحب مشروع وإبداع وابتكار يحسن اختيار الموضوع، ويبذل وسعه في تقصي المعلومة، يحلل ويناقش لا يستسلم للرأي المجرد بل يستحضر الأدلة والشواهد ويحكم العقل والمنطق في دراسة الحدث والرواية.

يأسرك في حديثه وتصغي إليه باحترام في جمال سرده وحكايته.

لا يتعصب لرأي أو هوى، يتراجع للحق ويعشق الحقيقة، لكنه لا ينحاز أبداً للعاطفة المجردة.

لقد رافقت شيخي سنين طويلة وكثيرة، فأذهلني ببحور علمه وسعة أفقه وحسن منطقه وسمته وخلقه.

أحببت العلم والثقافة من كثرة ما رأيت تعلقه بهما، علمنا البحث والإبداع والدراسة لا النقل والتلقين.

كتب في الرحلات وصار عميدها، ودون في المعاجم وأحياها بعد موات، فكتب في المعاجم اللغوية ما لم يكتب من قبل، صنف في أخبار الدهاة والأذكياء ودون قصص وفكاهة الظرفاء.

استنطق التاريخ عبر دراسته المضيئة الشاقة في الوثائق، ففك رموزها وطلاسمها ونفض الغبار عن ورقاتها وتعاقب السنين عليها، فترجم للأشخاص والأعيان وعرف بالمصطلحات الواردة بين سطورها وربط تاريخ الأجداد بحديث الأبناء والأولاد.

حكى سيرة الوطن وشظف العيش وألم الجوع والفاقة، قبل توحيدها على يد الموحد الملك عبدالعزيز، وكأنك تشاهد تلك القصص والوقائع.

إنه أشبه بالـ «السيناريو» المدون لتاريخ بلادنا، لا ينفك عن التدوين، ولا يمل من مرافقة القلم حتى غدا وأصبح بلا منازع إمام المؤلفين السعوديين بل

والعرب بلا منازع.

قال عنه وزير الإعلام د. عبدالعزيز خوجة: «إنه طرف من تاريخنا المضيء في شخص هذا العالم الجليل سيوطي العصر علماً وتصنيفاً وتأليفاً وهو يعيد إلى أذهاننا تلك الموسوعية التي كانت ميزة من مميزات حركة التأليف في تراثنا الخالد».

هنيئاً للأستاذ معن الجاسر، الذي بر بوالده ميتاً، كما بر به حياً، حين تحققت أمنية الشيخ حمد الجاسر بتكريم صديقه العلامة محمد العبودي، حين قال ما نصه: «إنني على ثقة من أن أحداً لن ينكر أن هذا المؤلف فذ في بابه وأن مؤلفه أفرغ جهده في عمله ومن هذه بعض صفاته أليس جديراً بأن يقدر خير تقدير؟!».

رحم الله علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر، وأمد في عمر العلامة عميد الرحالين وإمام المؤلفين المعاصرين الشيخ محمد العبودي ومتعه بالصحة والعافية.

وخاتمة الشكر وأجزله لأمير الرياض وراعي الثقافة الذي جعل من الرياض قلعة للعلم ، ومورداً للعلماء والمثقفين ، على رغم مسؤولياته المتعددة.

مُرابط في واحة الأمجاد

إهداء على معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي

مشوح بن عبدالله المشوح

إلى واحـة الأمجـادِ يمـضي ويعـبرُ ... ومـن حولـه الأهـوال تعـوي وتـزأرُ
تناديـه: يـا مقـدام دَرْبُـكَ مُـوحشٌ ... ظـلامٌ وأشـواكٌ وصـمتٌ مخـدرُ
فقـال: إليـكَ اشـتقت يـا غايـة المنـى ... ومـا لـسواكِ اشـتاق قلـبي المزمجـرُ
لـئن كنـتِ أشـواكاً فـبين جـوانحي ... لهيـبٌ سـيُفنيها ونـارٌ تَـسعَّرُ
وإنْ كانـتِ الأخـرى ظـلامٌ ووحـشةٌ ... فنـورُ فـؤاديَ اليـومَ أبقـى وأكـبرُ
أو الـصمتُ.. يـا للـصمتِ.. سـوف يقـدُّهُ ... نـدائي لإنقـاذِ الـذين تَـذمَّروا
وإنقـاذِ أحبـابٍ لنـا مـا تـذوَّقوا ... لطعـمِ الكـرى طعمـاً لذيـذاً يُبَـشِّر
تُـؤَرِّقُهُمْ نِيْـرانُ حَرْبِهِمـو الـتي ... تُجَنْـدِلُهُمْ كالأُسْـدِ حـينَ تَـضوَّرُ
أقـولُ لعـيني حـين تُبـصِرُ حـالَهُمْ ... فتمْطِـرُ دمعـاً مثلمـا المُـزْنُ تُمْطِـرُ
سـأبقى لهُـمْ يـا عـين عونـاً وخادمـاً ... ليـسعدَ قلـبٌ في الـدياجيرِ يَـسْهَرُ
وتَهْجَـعَ عـينٌ كلمـا داعَـبَ الكَـرَى ... محاجِرَهـا أقـصاهُ عنهـا التَّـذكُّرُ
فتُـضْحِي وفي أجفانهـا الـسُّهْدُ ... عـالقٌ وفي جوفهـا دمـعٌ إلى اللهِ يَجْـأَرُ
سـأبقى لهُـمْ قـد قالهـا وهـو صـامتٌ ... ونمـت بـه أفعالُـهُ وهـيَ تَجْهَـرُ
سـأبقى لهُـمْ قـدْ قالهـا وهـوَ صـادقٌ ... ويَعْـضُدُ هـذا الـصِّدْق فعـلٌ مـؤثِّرُ
سـأبقى لهـم قـد قـال هـذا محمـد ال ... عبـوديُّ والأفعـالُ عنـهُ تُخَبِّـرُ
فقـد طـاف في طـولِ الـبلادِ وعَرْضِـها ... وكـان لهـذا الـدِّينِ عقـلاً يُفَكِّـرُ
وكـان لأبنـاء العقيـدة بلـسماً ... وغيثـاً علـى كـل الميـادين يَقْطُـر
وكـان لكـل المـسلمين مـساعداً ... يُـسانِدُ والـدمعاتُ منـهُ تَحَـدَّرُ

فكم من يتيمٍ نال سَعْداً بفضله ... وكان قُبَيْلَ الشَّيْخِ بالهمِّ يَزْخَرُ
وكم من مريضٍ أسعَفَ الشَّيْخُ نَفْسَهُ ... فصار بفضل الله بالأُنسِ يخْطُرُ
وكم من وجوهٍ خبَّأَ الفقرُ حُسْنَها ... غدت بعدَهُ بالحُسْنِ تَزْهُو وتُبهِرُ
وكانت قُبيلَ الشَّيْخِ من فَرْطِ بُؤْسِها ... يُغلِّفُها الحُزْنُ المَرِيرُ المُكَدِّرُ
فما حالهمْ إلا كمَنْ في سفينةٍ ... يَمُوجُ بها مَوْجٌ عَنِيفٌ مُزَمْجِر
وليس لَهُمْ من مُرْشِدٍ في طريقهم ... ولا من مُعِيْنٍ في الملمَّاتِ يَظْهَرُ
إلى أن أتى الشيخ العبودي مُنْقِذاً ... يَخُوْضُ لَهُمْ سُوْدَ البحارِ ويَمْخَرُ
فأسعَدَ بالحُسْنى قلوباً كئيبةً ... وطَيَّبَ بالسَّلْوى نُفُوْساً تَحَسَّرُ
ألا يا بلادي جادَكِ اللهُ بالرِّضا ... وأسقاكِ غيثاً مِنْهُ بالعِزِّ يُمْطِرُ
أشاهدتِ قبل اليومِ كالشَّيْخِ عالماً ... له مِن نصيبِ العِلمِ ما هو أكثرُ
وهل أبصرت عيناكِ من قبلُ هِمَّةً ... كهمَّةِ هذا الشيخِ أو هيَ أكبرُ
يسيرُ إلى العَلياءِ يحدوه عزمُهُ ... ومَجْدٌ، وإيمانٌ به يتبخترُ
ويَسْبُرُ أغوارَ الصِّعابِ بصَبْرِهِ ... ويركَبُ أمواجَ العَناءِ ويُبْحِرُ
ويَغْدُو بميدانِ الدُّعاةِ كفارسٍ ... إذا سارَ لا يَكْبُو ولا يَتَعَثَّرُ
فَيَنْصُرُ بالإحْسانِ دِيْنَ نَبِيِّهِ ... ويَمْحَقُ بالحَقِّ الضَّلالَ ويَدْحَرُ
ألا يا بلادي إنَّ فضلَكِ واسعٌ ... وحسْبُكِ هذا العالِمُ المُتَبَحِّرُ
له في قلوب العارفينَ مكانةٌ ... وكُلٌّ لهُ يُعْلِي ويُسْنِي ويُكْبِرُ
فإنْ قامَ قامَ الناسُ مِنْ فَرْطِ قَدْرِهِ ... وإن قالَ أخنى الكُلُّ حينَ يُعَبِّرُ
ومن يستمعْ يوماً لبعضِ حديثِهِ ... يَخالُ بأن الدُّرَّ مِنْ فيهِ يَظْهَرُ
ومن مثلُهُ جاب البلاد بعرضها ... ومَنْ مِثْلُهُ في كلِّ فنٍّ يُسَطِّرُ
ومن مثلُهُ يحكي اللغاتَ بدِقَّةٍ ... ومن مثلُهُ بين الكِرامِ يُقدَّرُ
ألا أيّها الشيخُ العُبُوديُّ إنَّما ... بك المجدُ والإبداعُ والعِلمُ يفخَرُ

فأنـتَ سـبقتَ النـاسِ بـالعلمِ والتُّقـى ... وبالــدعوةِ الحُــسنى الــتي تتخيَّــرُ

وشــيَّدْتَ مِــن بــين البريَّــةِ رحلــةً ... يُعانقهــا إخلاصُــكَ المُتَفَجِّــرُ

وخلَّفـتَ بـل خلَّـدتَ في النَّـاسِ سِـيْرةً ... كِفَاحُــك فيهــا مِنْــبرٌ يَتَــصدَّرُ

وأبقيــتَ للأجيــالِ واحتَــكَ الــتي ... ســناها يُـضيءُ الكـونَ إبَّـانَ يُـسفِرُ

وحتمـاً سـتبقى الـدَّهْرَ في خافقِ الـورى ... لِيَزْهُــو بــكَ التــاريخُ حــينَ يُخَبِّــرُ

وتَـشْدُو بـكَ الـدُّنيا علـى أيـكِ مَجْـدِها ... وتــذكُرُكَ الأيــامُ وهــيَ تَبَخْتَــرُ

وحُــقَّ لهــا أن تــستعزَّ بمــثلكم ... بعـصرٍ كـثيرٌ فيـه مَـنْ بـاتَ يَهْـذُرُ

فَلَــوْ لم يَكُــنْ في الأرضِ إلاكَ عــالمٌ ... لكــانَ حَرِيّــاً أن نَعِــزَّ ونَكْبُــرُ

فَفِكْــرُكَ وَضَّــاءٌ، وأُفْقُــكَ واسِــعٌ ... وعِلْمُــكَ في شــتى الميــادينِ يُمْطِــرُ

مشوح بن عبدالله المشوح

عضو هيئة التحقيق والإدعاء

١٤٣٢/١٢/٢٠هـ

فهرس المقالات

م	الموضوع	الصفحة
١	مدخل	٥
٢	أول مقال لمعالي الشيخ محمد العبودي	١١
٣	معالي د/ عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر	٢٥
٤	معالي الشيخ/ صالح بن فوزان الفوزان	٢٧
٥	معالي الشيخ صالح بن عبدالله بن حميد	٢٩
٦	معالي الشيخ د/ علي بن مرشد المرشد	٣٦
٧	د/ عبدالرحمن الشبيلي	٤٠
٨	الأستاذ / عبدالرحمن المعمر	٤٧
٩	د/ إبراهيم بن عبدالرحمن التركي	٥١
١٠	د/ عبدالعزيز الجار الله	٥٣
١١	الأستاذ / علي بن زيد القرون	٥٩
١٢	الأستاذ / علي التمني	٦٣
١٣	الأستاذ / محمد أحمد الحساني	٦٧
١٤	الأستاذ / محمد القشعمي	٧١
١٥	الشيخ / إسماعيل بن عتيق	٨١
١٦	الأستاذ / ناصر بن إبراهيم الهزاع	٨٥
١٧	د/ عزيزة المانع	٨٧
١٨	الأستاذ / إبرهيم بن عبدالعزيز المعارك	٩٠
١٩	الأستاذ / عطا الله الرشيدي	٩٤
٢٠	الأستاذ / خالد بن عبدالله المشوح	٩٨
٢١	د/ فاطمة بنت محمد العبودي	١٠١
٢٢	المهندس عبدالعزيز بن محمد السحيباني	١٠٤
٢٣	حنان بنت عبدالعزيز آل سيف	١١٣

فهرس الدراسات

م	الموضوع	الصفحة
٢٣	د/حسن بن فهد الهويمل	١٢١
٢٤	د/ ناصر بن محمد الجهيمي	١٣٩
٢٥	د/ أسعد بن سليمان عبده	١٤٦
٢٦	د/ عبداللطيف بن محمد الحميد	١٦٤
٢٧	د/ عمر بن صالح السليمان العمري	١٨٤
٢٨	د/ عبدالله بن صالح الوشمي	٢٠٦
٢٩	د/ إبراهيم بن عبدالله السماري	٢٤١
٣٠	الأستاذ / محمد بن عبدالله الحمدان	٢٤٦
٣١	الأستاذ / قاسم الرويس	٢٥١
٣٢	د/ محمد بن عبدالله المشوح	٢٥٨
٣٣	مشوح بن عبدالله المشوح	٢٦٤
٣٤	الفهرس	٢٦٧